

صدر الدين محمد الشيرازي

مجموعة الرسائل الفلسفية

المجلد الثالث

إكسير العارفين في معرفة طريق الحق واليقين،
الواردات القلبية في معرفة الربوبية

منشورات الجمل

صدر الدين محمد الشيرازي
ملا صدرا

مجموعة الرسائل الفلسفية

المجلد الثالث

إكسير العارفين في معرفة طريق الحق واليقين،
الواردات القلبية في معرفة الربوبية

ترجمة المقدمتين: غسان حمدان

منشورات الجمل

صدر الدين محمد الشيرازي ملا صدرا، مجموعة الرسائل الفلسفية / المجلد الثالث،

ترجمة المقنمتين: غسان حمدان، الطبعة الاولى

كافة حقوق النشر والاقتباس باللغة العربية

محفوظة لمنشورات الجمل، بيروت - بغداد ٢٠٢١

تلفون وفاكس: ٠٠٩٦١ ١ ٣٥٣٣٠٤

ص ب: ١١٣/٥٤٣٨ - بيروت - لبنان

© Al-Kamel Verlag 2021

Postfach 1127, 71687 Freiberg a. N. - Germany

WebSite: www.al-kamel.de

E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

إكسير العارفين في معرفة طريق الحق واليقين

تحقيق وتقديم

الدكتور سيد يحيى يثربي

إكسير العارفين

في معرفة طريق الحق واليقين

نتكلم في هذه المقدمة عن موضوعين وهما الملاً صدرا وحكمته المتعالية وكذلك عن محتويات كتابه هذا.

١ - تقييم الحكمة المتعالية

يجب أن تكون هناك ثلاثة محاور منفصلة من أجل الحديث حول هذا الباب: الملاً صدرا نفسه، وما قام به، والأسلوب الذي اتخذه؛ وهنا نقوم بشرح هذه المحاور:

الملاً صدرا نفسه:

ليس هناك أي شك في القدرة العقلية، والطموح، والاهتمام بالنظام والانضباط، وسلاسة الكلام، والإخلاص، والشجاعة، والحب الحقيقي، والاستقامة في كسب المعرفة وفي كلمة واحدة النبوغ، للملاً صدرا؛ فهو يستحق إعجاب المفكرين ومدحهم بعد أربعة قرون من تفجر نبوغه العلمي.

خيمت شخصيته الشامخة على جميع الذين ساروا من بعده في مجالات الإيمان المختلفة، وكل من قدم أطروحاته الفكرية والعلمية إما كانوا من تلامذته أو تأثروا به عن طريق طلابه، وأو كتاباته. ويمكننا أن نعد الملاً صدرا من صنف الفارابي وابن سينا؛ ولهذا حاول الكثير من المحدثين الحفاظ على تراثه، والاهتزاز بأستاذه. ومثلما اجتاز بنجاح المراحل المختلفة للتعليم والبحث والمناظرة والتحقيق والتأليف، فإنه جرب العزلة والرياضة والسير والسلوك. وقد

تكاثفت هذه الاستقامة والموهبة وصنعت منه شخصية رائدة حيث تؤكد أخباره
الحسنة من جهة وأعماله القيمة من جهة أخرى على كمالاته وجدارته.

ما قام به الملاً صدرا:

ليس هناك جدل في أنّ الملاً صدرا ابتكر المسائل الفلسفية المتعددة وأدلتها،
إذ إنّ جميع أعماله تعد خير مثال على وجهة النظر الجديدة، والبرهان الجديد
والبيان المبتكر من قبله. كما أنّه أدرك الأعمال الموجودة في عصره من ضمنها
البراهين المشائية وأصولها ومبانيها حتى الدعاوي العرفانية وتبيين أهل العرفان
وتحليلهم لتجاربهم المتعددة، وهذا ما يسمى بالعرفان النظري.

مع هذا ما يميّز الملاً صدرا عن الآخرين ويعطيه مزية وفراة هو تنظيمه
وتركيبه لمبادئ المدارس الفكرية المختلفة ومسائلها.

والقصد من «التنظيم» هو العمل الشبيه بما يقوم به الموسيقي صاحب الذوق
الرفيع والماهر في أصول فنه، فيما يتعلق بالترانيم المحلية وتصانيفها وتلحينها؛
إذ إنه لا يضيف أي شيء إلى ما هو موجود، ولكنه يرتبه بحيث يتناغم مع
الأصول المعروفة ويكون قابلاً للبحث والتعبير بلغة أهل الفن المتفقة عليها.

وبرأيي أن هذا أهم أعمال الملاً صدرا، ولكن «التركيب» يأتي في المرتبة
الثانية من عمله.

الآن نقوم بدراسة الموضوعين - أي التنظيم والتركيب - مع انتخاب عدة
مسائل من أجل اتخاذها كنماذج، وفي انتخاب هذه النماذج لا يمكننا تجاهل
مسائل أخرى مثل أصالة الوجود والحركة الجوهرية والمعاد الجسماني.

(١) أصالة الوجود:

إذا كنا نريد دراسة أصالة الوجود وتقييم أعمال الملاً صدرا فعلياً ألا نغفل
سابقة تاريخ هذه المسألة، إذ تعدّ مسألة أصالة الوجود وكذلك أصالة الماهية في
الأصل، مسألة خلافية بين الفلاسفة من جهة، وبين الأفلاطونيين الجدد وأهل
العرفان من جهة أخرى. وبناءً على المصادر الفلسفية وموازينها فإن المعرفة هي
الاستناد بحقيقة الهويات والماهيات والتأكيد عليها. إنّ أشخاص الإنسان،

والحجر والنبات والحيوان معترف بهم واحداً واحداً من قبل إحساسنا وعقلنا بصفتهم هوية مستقلة وماهية منفصلة. ولا يقبل نظامنا الذهني حمل الـ«هو هو» بين شيئين أبداً، فإطار الهوية غير قابل للكسر، لأن كسره لأي سبب كان هو بمعنى زوال الهوية؛ فالمثلث هو مثلث، والمربع هو مربع، والإنسان هو إنسان، والحصان هو حصان. إن كان هناك ذهنٌ يخالف هذا الأمر فهو مثل الأمير الساماني ذاك الذي توهم نفسه بقرة، حيث أصيب باختلال في جهازه الفكري حتى عالجه أبو علي سينا. وهذا هو المعنى الصحيح لأصالة الماهية، وليس أن يأتي أحدهم ويصدق أنه هنا، أي في عالم خارج عن الذهن... لدينا ماهية حقيقية ليس لها وجود، ومن دون وجود أصبح لديها واقعية. وهذه الفكرة تستحق الرفض والاستخفاف بها، وهذا ما قام به الملاً صدرا وأتباعه. لا، فهذا تناقض أساساً أن يصدق أحدهم أن حقيقة واقعية ليس فيها أي وجود! فهذا عكس المسألة، والإخلال في تنقيح وتبيين الموضوع بقصد أو غير قصد؛ بل إن أصل المسألة هو أننا نواجه حقيقة في عالم الوجود ونقوم بتلقيها بإحساسنا وتجاربنا، ثم ننظم اكتشافات إحساسنا وتجاربنا بالعقل والفكر.

والآن علينا أن نرى من هو الذي لديه أصالة، أي يملك وجوداً حقيقياً، هل هو الهويات والتعينات التي هي منشأ الآثار الخارجية - أي إن الحصان هو من يمشي والإنسان من يفكر، وإن الحجر من له حجم ووزن - أو إن الوجود الأصيل والحقيقي هو حقيقة أخرى تكون الماهيات والتعينات من شؤونها وتجلياتها، وهو غير الظواهر الوهمية؟^(١)

وإزاء هذا السؤال لدينا إجابتان معروفتان: إجابة الفلاسفة التي تعطي الأصالة إلى الهويات والماهيات، وجواب أهل العرفان الذين يعطون الأصالة للوجود وهذا حقيقة سارية في هذه التعينات التي تنسب الآثار والخواص كلها للوجود، وليس للماهية.

وإن كان تحليل أي شيء بالماهية والوجود - الذي اشتهر لاحقاً بعنوان

(١) من أجل المزيد من المعلومات راجع كتابي رسالة القهصري والأسفار للملاً صدرا.

موضوع «زيادة الوجود على الماهية» - طرح في أعمال أرسطو قبل ابن سينا^(١)، فإنّ مبحث الأصالة وعدم أصالة الماهيات المتكثرة الخارجية أيضاً طرح عند الإغريقين قبل الفلاسفة المسلمين ومن ثمّ تبناها الأفلوطينيون الجدد.

ومنذ القدم كان هناك أشخاص يشككون في أصالة الكثرة المحسوسة، إذ كانوا يبحثون عن حقيقة أصيلة أخرى. وكان تقديم نظرية «المُثل» من قبل أفلاطون أحد إنجازات هذا البحث؛ كما أنّ مبحث الكلّي هو أصيل، وله وجود خارجي أو الجزئيات - كما سنشرحها في المباحث اللاحقة.

ولهذا الفهم لأصالة الوجود النتائج التالية:

أ) تخرج هذه المسألة من حالة الانتزاعية الصّرفة وتتحول إلى مسألة متعلقة بالواقعية لها وجهة معرفية وكذلك وجهة رؤية كونية؛ إلّا أنّه لا يمكن أبداً إثبات أي وجهتي النظر هاتين بالبرهان، أي إنّ لا أصالة الوجود ولا أصالة الماهية يمكن استدلالهما بمعناهما الصحيح، كوجهة نظر عالم الخارج أو أصالة التصور تماماً.

إذا خرجت مسألة من حالة مسألة جادة خارجية وأصبحت مناقشة ذهنية، ويسبب أننا جميعاً نوافق في عالم الخارج أنّ هذا حجر وذاك حصان وهذا الآخر هو حصان ولكل هذه الأشياء آثارها وخواصها المعروفة: الإنسان يفكر ويتحرك، والحصان يمشي ويُمطّط، والحجر ينفع البناء... والآن نقوم بتحليل هذه الأشياء، لا في الخارج بل في ذهننا، في جزئين أحدهما الوجوب والآخر هو الماهية. ثمّ نقدم هذه المسألة أنّ أي منهما هو الأصيل والآخر اعتباري. ولنفرض الآن أن يقول أحدهم إنّ الوجود هو الأصيل والآخر يقول إنّ الماهية؛ ما الفرق الذي يكون بين الاثنين من ناحية إدراكنا نسبةً إلى الواقعية؟ فالحصان هو حصان والإنسان هو إنسان سواء أكان الوجود أصيلاً أو أن تكون الماهية أصيلة؛ وإذا كان القصد من الماهية ليس التعيّن المتحقق في الخارج بل المفهوم الذهني للإنسان أو الحجر، فمن يمكنه أن يعتبره أمراً خارجياً وأصيلاً؟

(١) ذكر هذا الموضوع في أعماله مثل الإشارات والتنبيهات، نمط ٤.

ب) تنسجم أي وجهة نظر مع بنيتها المعرفية، بهذا المعنى لو اعتبرنا الوجود أصيلاً والهويات والتعينات أموراً وهمية واعتبارية، ستكون علاقة الذهن بعالم الخارج علاقة ضعيفة وعديمة القيمة، لأن ما يدخل الذهن وينتظم بالذهن ويقسم ويرتبط ببعضه الآخر هو التعينات والماهيات إياها. ولأننا نعتبرها أموراً وهمية واعتبارية، لأن معرفة حواسنا وعقلنا ترتبط بهذه الامور، فإن معرفتنا ستكون وهمية وظاهرية أيضاً. إلا أن الوجود الخارجي، الذي يعد أصيلاً وواقعياً، ليس له إمكانية الانتقال إلى الذهن أبداً. لذلك فإن مجال معرفتنا الحسولية عاجز عن الدخول إلى باطن هذه التعينات الوهمية، أي الوجود الأصيل؛ وسنضطر إلى استخدام أدوات وطرق أخرى للمعرفة وهي طريق السلوك والفناء في حقيقة الوجود واتحاد العاقل والمعقول.

فلذلك فمن يرى أداة الإنسان الوحيدة لنيل معرفة العالم الآخر، حواسه وعقله ليس لديه أي خيار غير الاعتقاد بأصالة التعينات وماهيات الظواهر. كما أن من يرى الوجود أصيلاً فعليه أن يفكر بطرق وأدوات أخرى غير طريق الحس والعقل من أجل نيل معرفة الوجود، وهذه الطرق هي السير والسلوك والفناء التي تسبب ظهور البصيرة الباطنية في الإنسان وتوصله إلى المعرفة الشهودية.

ج) أصالة الوجود لها ملازمة مع وحدته، لأن ما يمكنه إعطاء الكثرة والانقسام للوجود والحقيقة الخارجية حقاً هو التعينات والماهيات إياها؛ ولو اعتبرناها أموراً وهمية وأن أصالتها بسبب وجودها، فبالتأكيد سيكون الوجود حقيقة واحدة من دون أي تكثر وانقسام، إلا الكثرة والانقسام المتعلقين بالمراتب والتجليات وهما في الحقيقة ليسا الكثرة والانقسام ذاتهما؛ مع أن الملاً صدرا اعتبر اهتمامه بأي من هاتين المسألتين نتيجة توفيقه وهداية الله المنفصلة له، ولم ينتبه إلى هذه الملازمة^(١).

والآن حان الوقت لندرس عمل الملاً صدرا حول هذا الأمر؛ العمل الذي قام به صدر المتألهين هو أنه أعطى مساحة فلسفية لهذه المسألة المثارة للخلاف

(١) الأسفار، ج ٢، ص ٢٩٢.

بين وجهتي نظر الفلسفية والعرفانية، ودرسها ليس بصفقتها أصلاً كشفياً وذوقياً بل بصفقتها مطلوباً برهانياً.

وإن كان قد استخرج هذه المسألة بصورة مسألة بحثية، نظراً إلى اهتمامه الدقيق بالنصوص العرفانية، فمن دون شك لقد قام بعمل ظريف جداً. غالباً ما اهتم الفلاسفة والمتكلمون القدماء بالمفهوم العام والبديهي إلا أن الملاء صدرًا قدّم الوجود بصفة حقيقة عينية أمام التعينات، والأدلة التي جاء بها على الموضوع بعضها من إبداعه والبعض الآخر اقتباس منظم لتصريحات أهل العرفان؛ في حين أنه في بعض الأحيان يهتم بشكل عميق برأي العرفانيين الخاص في أصالة الوجود بمعناها الحقيقي وفي مكانها الصحيح^(١).

(٢) الحركة الجوهرية

كما قلنا فإن محور إدراكنا وفهمنا لقوانا الحسية والعقلية يستند على أصل الهوية وثبات الهويات؛ ولكل ظاهرة حد نوعي جامع للأفراد ومانع للأغيار، وأن هذين الحدين يشكلان مجموعتنا المعرفية.

وأساساً فإن الغاية النهائية للمحاولات الفلسفية تصنع من الإنسان موجوداً شبيهاً بالله؛ ولهذه الشبابة بالرب وجهتان: إحداها الوصول إلى التجرد عن الماديات، والأخرى الإحاطة على الكليات. والإحاطة على الكليات ليست إلا الحصول على العناصر الثانية لهيكل بنية تصوراتنا وتصديقات ذهننا.

وهذه العناصر الثابتة تجعل حدود أي ظاهرة ودائرة أي قضية غير قابلة للاختراق لتصبح جامعة للأفراد ومانعة للأغيار.

إن الاهتمام بالمقدمات المذكورة آنفاً يجعل قبول أي حركة وتغيير في جوهر الظاهرة أمراً غير ممكن؛ هذا ماء وذاك حصان وهذه الأخرى شجرة. إن حركة

(١) من أجل المزيد من المعلومات راجع كتاب رسالة القيصري بتوضيح المؤلف (العرفان النظري، القسم الثاني، المقصد الأول) وقارنها بالأسفار، ج ١، ص ٣٨، وما بعدها؛ و٢، ص ٢٩١ وبعدها.

وتغيير تلك الاشياء في المكان، والوضع والكمية والكيفية، أمر واضح ومحسوس؛ لأن تغييرات مثل هذه على بنية ثبات الجوهر، بعنوان موضوع هذه العوارض، يمكن تحقيقها. ولكن كيف يمكن تصور التغيير والحركة في جوهر الظاهرة؟ بعبارة أدق بتغيير الكمية يصبح الصغير كبيراً وبتغيير الكيفية يصبح الأبيض مثلاً أحمر اللون، وبتغيير المكان يصبح البعيد قريباً؛ ولكن بتغيير جوهر الماء ماذا سيحصل للماء؟ وماذا سيحصل للإنسان والحصان بتغيير جوهرهما؟

ولإزاء هذا السؤال ليس لدينا سوى إجابتين:

أولاً يصبح الماء أكثر ماءً ويصبح الإنسان أكثر إنساناً! والإجابة الثانية هي أن يتحول شيء إلى شيء آخر؛ على سبيل المثال يتحول الجمد إلى نبات والحيوان إلى إنسان: ولكن من وجهة نظر مباني فلسفة المشائين تحقق هذين الأمرين غير ممكن لأن العناصر الثابتة لماهية أي ظاهرة وهويتها، أغلقت الطريق أمام فرض أي نوع من الاتحاد والتغيير. ولا يمكننا أن نقول إن «ح» «ج» «ر» اتحدت وأصبحت حجراً.

يمكن تبرير هذا التحول والتغيير فقط بمباني الأفلاطونيين الجدد وأهل العرفان، وذلك بناءً على القوس الصعودي وإن كانت الحركة الاشتدادية في الجوهر فإن موضوع القوس الصعودي والسير الحُبي للموجودات في هذا القوس هو من أصول التصوف والعرفان. كما أن التحول في جوهر الظاهرة يمكن فرضه في هذه البنية؛ مثلما قدّم شيخ الإشراق الاشتداد الجوهري تحت تأثير الأفلاطونيين الجدد والتصوف، ودافع عنه خلافاً لوجهة نظر الفلاسفة^(١).

وبتطبيقه لتعاليم أهل العرفان وأنسه وميله لهذه المباني تقبّل الملاً صدرا الحركة في الجوهر بسهولة وأصبحت هذه المسألة أحد ابتكاراته التي تدعو للفخر. واليوم علينا إعادة النظر في مبحث مقولات أرسطو وتصنيف موجودات العالم حسب إنجازات فيزياء الحديثة - وربما يكون تصورنا عن الجوهر شيئاً

(١) المشاريع والمطارحات، مجموعة مصنفات شيخ الإشراق، ج ١، ص ٢٢٣ وحكمة الإشراق، مجموعة مصنفات، ج ٢، ص ٧٨ - ٧٧ و١٢٨ - ١٢٦.

آخر غير ما كان يتصوره الملاً صدرا - ولكن على كل حال، بناءً على هذه المباني الفلسفية المتفق عليها، هناك إشكالات مهمة على الحركة الجوهرية وهي كالتالي:

(أ) مسألة بقاء الموضوع: حين نفرض التغيير في الجوهر، لن يبقى موضوع ثابت لهذا التغيير وبالتالي يتضرر محور هوية الظاهرة، وعندها لا نواجه مشكلة فلسفية فقط بل نرى مشكلة معرفية أيضاً. على سبيل المثال ونظراً إلى أن ذهننا لا يقبل أي اشتداد أو اتحاد أو انقلاب، إلامَ سيتحول الماء أو الإنسان بعد تغييرهما الجوهرى. وقد حلّ الملاً صدرا المشكلة الفلسفية بالثنوية الموجودة في الجوهر الجسماني، أي إنه افترض المادة كحركة والصورة قابلة للتغيير؛ إلا أنه أغفل المشكلة المشائية للمعرفة في هذا الخصوص، في حين أنّ هذه المشكلة تبدو أهم من المشكلة السابقة.

(ب) ومن أجل توجيه الحركة الجوهرية لجأ إلى عدد من المباني العرفانية المسلّم بها، مثل أصالة الوجود، وأنّ تشخص أي ظاهرة هو بالوجود. لذلك فبدلاً من تغيير وجهة نظر الفلاسفة حول المباني الفلسفية قام الملاً صدرا بتنفيذ هذا الأمر بمباني التصوّف، في حين أنّ للفلاسفة بعض المباحث في هذه المباني.

وليس هذا التغيير - أي الحركة الجوهرية في عالم الخارج - أي نتيجة عينية في عالم الخارج؛ أو بعبارة أوضح: مع أن هذه المسألة تتعلق بالعالم المحسوس والمادي - لأن الحركة من لوازم المادة - إلا أن تقبّل أحدهم وجهة النظر هذه أو عدم تقبلها لن يؤثر الأمران في معرفته لظواهر العالم المحسوسة.

(ج) لن تصل الحركة الجوهرية إلى غايتها إلا في الإنسان؛ أي إنه ما من ظاهرة لهذه الحركة تخرج من حدودها فعلاً. أي إنّ الإنسان وحده يستطيع، بناءً على الأصل العرفاني لجامعية الوجود، أن يجتاز الجماد ويصل إلى الملاك وما فوقه. والشيء المؤثر هنا هو جامعية الإنسان إياها، وليس الأصول والمباني الفلسفية.

على كل حال فإن عمل المَلّا صدرا هو عمل موفق إلى حد ما بسبب محاولته في جعل مسألة عرفانية، فلسفية. وتعد محاولته هذه من ابتكاراته القيمة، ولكن - كما قلنا - فإنها تواجه إشكالات ونواقص ما يجعلها لا تنتهي من النقاش والبحث.

٢) المعاد الجسماني

المبحث الرئيس هنا هو حول كيفية المعاد التي يتجادل الفلاسفة المسلمون حولها مع المتكلمين وأتباع ظواهر الكتاب والسنة منذ نشوء هذه العقيدة، إذ يعد المتكلمون والمُتشرِّعون المعاد معاداً جسمانياً وذلك بناءً على قرائن ظاهر الآيات والروايات؛ بهذا المعنى أنّ الإنسان سيبعث يوم القيامة بهذا الجسم المادي إياه بجميع سماته وجميع عوارضه، وإن كان من الصالحين سيعيش حياة مملوءة بالسعادة واللذة، وإن كان من المذنبين سيبتلي بحياة مملوءة بالعذاب والألم. وبالتأكيد ستكون هذه اللذة والعذاب من نوع اللذة والعذاب الدنيويين، ولكن بشدة أكبر ومدة أطول وفي بعض الحالات بشكل أبدي ودائمي.

ولكن لم يستطع الفلاسفة قط أن يطبقوا هذا المعاد مع الأصول والقوانين المسلمة بها فلسفياً وأن يقوموا بإثباته.

وكمثال على ذلك سنطرح إحدى مشكلات الفلاسفة السهلة على أهل الكلام والمُتشرِّعين، وهي مسألة الظهور المجدد للإنسان التي يقبلها المتكلمون بسهولة بناءً على القدرة الإلهية ومشيتته. بهذا المعنى بما أنّ الله خلق الأجسام الإنسانية للمرة الأولى فإنه يستطيع أن يلبسها لباس الوجود مجدداً ويهبها الحياة.

ولكن هذه المسألة السهلة تبدو صعبة وغير ممكنة أمام الأصول والقوانين الفلسفية، لأن الفلاسفة يعتبرون المتكلمين في فهم هذه الجملة «بما أنّه خلق المرة الأولى، فإنه سيخلق مرة ثانية» بأنهم سطحيون وغير دقيقين. لأنهم لو نظروا إلى الخلقة الأولى بدقّة لعرفوا بأنّ هذه الخلقة الأولى إياها لم تكن بهذا المعنى أنّ الله خلق الشخص بصفته ظاهرة منفصلة عن كل شيء بشكل مفاجئ وفوري؛ بل إنّ الإنسان بصفته ظاهرة في العالم المادي هو حصيلة الآلاف من

العلل والعوامل التي مهدت لظهوره، وأتينا جمعياً نتاج زماننا وخلفيتنا ومن دون هذا الزمان والخلفية لكان ظهورنا غير ممكن.

والآن لو وجدت هذه الظاهرة مجدداً فيجب تحقق كل تمهيداتها وأزمتهها وعللها وعواملها الوجودية. وليس صحيحاً أن يخلق الإنسان منفصلاً عن الزمان والمكان والعلل والعوامل وبشكل مستقل، فإن تحقق شيء كهذا غير ممكن من ناحية الأصول والموازن الفلسفية. وأن جميع موجودات العالم كورق الأشجار، والأزهار محددة بمشخصاتها وعللها وعواملها الخاصة وأنها ظهرت بصورة ظاهرة فريدة لا يمكن تكرارها. بلى، تتشكل الآلاف من الأوراق والأزهار المتشابهة ولكنها ليست تلك الأوراق والأزهار السابقة إياها، بل كل منها جديدة ومختلفة، ولكن لا يمكن فهم هذه المسألة بوضوح إلا من قبل أصحاب الأذهان المتمرسه، ولذلك فإن موضوع امتناع إعادة المعدوم يبدو أمراً باعثاً على السخرية لبعض السطحيين، في حين أن هذا الموضوع هو من المسائل البديهية والضرورية لأصحاب الأذهان المتمرسه^(١).

نعم، إن وجود مشكلات كهذه تجعل التحليل الفلسفي وتبيينه صعباً، ووضعت الفلاسفة في مقابل المتكلمين والمشرعين ومهدت للطعن بهم وفي تكفيرهم.

وبما أن مبحث المعاد الجسماني يرتبط بمعتقدات المشرعين العامة فإنه ذو حساسية قصوى، ولذلك فإن الفلاسفة تعاملوا مع هذا الأمر بحذر. وهنا نعرض تعاملين مختلفين أحدهما يعود إلى ابن سينا والآخر للملا صدرا:

(١) ابن سينا والمعاد الجسماني: في كتابه «الإشارات والتنبيهات»، الذي يعد آخر كتبه الفلسفية^(٢)، طرح ابن سينا المعاد من دون التعرض إلى موضوع

(١) راجع: الشفاء، الفن ١٣، المقالة ١، الفصل ١٥ والتحصيل لبهمنيار، ص ٢٩٠ والمطارحات ٢١٧ - ٢١٤ والمباحث الشرقية، ج ١، ص ٤٨ والأسفار الأربعة، ج ١، ص ٣٥٦.

(٢) النمط السابع، الفصل ٢٧ - ٢٤.

جسمانيته أو روحانيته؛ واكتفى فقط برفض آراء الأشخاص الذين يعتبرون الملذات الحسية أصيلة وواقعية، وأن الملذات الأخرى ضعيفة وخيالية^(١).

ولكنه في كتابيه الفلسفيين الآخرين - أي الشفاء والنجاة - له بيان آخر، إذ يقول في النجاة^(٢):

يجب أن تعلم أن المعاد منه مقبول من الشرع ولا سبيل لإثباته إلا من طريق غير الشريعة وتصديق خبر النبوة، وهو الذي للبدن عند البعث وخيرات البدن وشروره معلومة لا تحتاج إلى أن تعلم...

ويقول في الشفاء: «علينا أن نعلم بأن نوعاً من المعاد المتفق عليه من قبل الشرع والوسيلة الوحيدة الموجودة أمامنا لإثباته هو الشريعة وتصديق خبر النبي ﷺ، هو المعاد وعودة الجسم وقت الحشر»^(٣).

٢) صدر المتألهين والمعاد الجسماني: بعد نقله للأقوال والعقائد المختلفة حول كيفية المعاد يقول صدر المتألهين: «إن إزالة تناقض الآيات والأحاديث المنقولة مع أصول المباني التحقيقية حول المعاد، هي بانطباقهما وتقربهما من البعض؛ بهذا المعنى أن نقول: إن الجسم الأخروي هو شيء ما بين الجسم الدنيوي والتجرد الأخروي، وفي الحقيقة هو التجرد والجسم»^(٤).

كما أنه يقول: «والآن قد حان الوقت أن نهتم بتحقيقنا الموعود حول المعاد الجسماني، وأن تذكر حشر الأجسام والمسائل والأحوال المتعلقة به بالمقدمات اليقينية والأصول البرهانية المناسبة لأهل البحث»^(٥).

وكما نرى، فإن الملاءمة صدرت عن إثبات المعاد الجسماني خلافاً لابن سينا وبأصول برهانية وبأسلوب أهل البحث (الفلاسفة المشائين). وأن جهده هو

(١) النمط الثامن، الفصل ٢ - ١.

(٢) النجاة، الآلهيات، المقالة ٢، الفصل ٣٧، منشورات جامعة طهران، ص ٦٨١.

(٣) الشفاء، الفن ١٣، المقالة ٩، فصل ٧. (٤) الأسفار، ج ٩، ص ٢٥٦.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٥٧.

لمطابقة الآراء المتناقضة والمتباينة لمنكري ومؤيدي المعاد الجسماني بناءً على نوع من الجسم البين - بين، الذي لا يكون دنيوياً دنيوياً ولا أخروياً أخروياً!

وسوف نذكر تقييماً لحجم توفيقه وذلك بعد إتمام المبحث؛ والآن نهتم بتحليل الفلسفي وتبيينه لكيفية المعاد وننقل رأي كل من ابن سينا والملا صدرا، وبعد ذلك نقوم بنقدهما وتقييمهما.

(أ) المعاد عند ابن سينا

يقوم ابن سينا بتبيين وإثبات المعاد الروحاني بذكر مسألتين:

إحداهما أن هذا النوع من المعاد تم تأييده من قبل الأنبياء، لأنه مع أن ظاهر الكتاب والسنة يدلان على المعاد الجسماني، ولكن في المعاد الجسماني تحضر روح الإنسان مع الجسم وتتحقق معه^(١). والأخرى هي أن الشريعة أوضحت كيفية المعاد الجسماني، وأن الفلسفة ملتزمة فقط بذكر كيفية المعاد الروحاني ولذا هذا النوع من المعاد وعذابه.

ومن أجل التمهيد لمقدمات تبين هذا النوع من المعاد يعرض ابن سينا الأصول التالية:

(١) لكل من القوى النفسانية لذة خاصة بها، وأن جميعها مشتركة في هذه الحقيقة بأن لذتها هي إدراكها للكمال المناسب الخاص بها.

(٢) تتمتع هذه القوى باللذة الأعلى والأكثر بنسبة الأفضلية بالفعل والكمال والإدراك.

(٣) في بعض الحالات مع أن تحقق الكمال ولذته واضحاً بالبرهان إلا أن كيفية هذه اللذة لا يمكن إدراكها طالما لم تتم تجربتها شخصياً، وما دام لم يتم إدراكها لذلك لن يظهر في الإنسان الشوق والرغبة إليها؛ مثل لذة الموسيقى عند الصم.

(٤) في بعض الأوقات لا تتلذذ القوة الإدراكية بالحصول على الكمال

(١) الشفاء، الفن ١٣، المقالة ٩، الفصل ١٧ والإلهيات، النجاة، المقالة، الفصل ٣٧.

المناسب لها بسبب وجود بعض الموانع، لذلك تميل إلى نقيضه؛ مثل ذائقة بعض المرضى تجاه الطعم الحلو.

(٥) وفي بعض الأحيان يبتلي الإنسان بنقيض كماله، ولكن بسبب وجود مانع، لا ينفر منه ولا ينزعج.

ومع تمهيد هذه المقدمات هكذا يستنتج بأن: كمال النفس الناطقة في أن يتغير إلى عالم معقول يكون موازياً ومطابقاً للعالم العيني تماماً، وذلك من ناحية سعة المعرفة وعمقها، وأن يصل إلى مرحلة من المعرفة لينال الحسن المطلق والخير والجمال المطلقين. إن النيل بهذه المعرفة يبعث على لذة وبهجة لا يمكن وصفهما، وستكون مقارنتهما باللذائذ الحسية أمراً بشعاً وباعثاً للسخرية. وحتى الآن ما عرض هو نتيجة المقدمتين الأولى والثانية.

ولكن طالما لم نتحرر من حجاب الجسم وبقينا أسرى لمفاتيح الحياة الحيوانية، فلن نكون مطلعين على هذا النوع من اللذة والبهجة كما جاء في المقدمة الثالثة. وكذلك كما جاء في المقدمتين الرابعة والخامسة طالما بقينا في قبضة موانع عالم المادة فإننا لا نلتذذ بكمالنا الواقعي ولا نتعذب أيضاً لكوننا أسرى نقيض الكمالات، وسوف نبقى في الغفلة حتى مجيء ملاك الموت.

يزول حجاب الجسم بالموت وتنتهي موانع الإدراك وتنتبه نفس الإنسان إلى حقيقة كمالها ونقصانها. وإن امتلكت هذه الكمالات فإنها ستغرق في البهجة واللذة الحقيقيتين، وبفقدانها ستتعذب وتصاب بالآلام. العذاب الذي لا يمكن مقارنته أبداً بالعذاب الدنيوي وآلامه من ناحية الشدة، كما أنه لا يمكن مقارنة لذة وسعادة ذلك العالم باللذائذ الدنيوية وسعادتها. وبما أن المراحل الأولى للملكات العلمية والكمالات النفسانية يمكنها التحصيل فقط عن طريق معية الجسم، فإن نقصان الكمالات في ذلك العالم سيكون غير قابل للتعويض، وبالتالي سيكون هذاب الناقصين وآلامهم أبدياً^(١).

(١) الإلهيات، النجاة، المقالة ٢، الفصل ٣٧.

وهذا المبحث كان التحليل الفلسفي لابن سينا للمعاد في كتاب النجاة؛ كما أنَّ شرحه حول هذا الأمر يطابق ما جاء في عمله الكبير أي «الشفاء»، وأن مبحث المعاد والمباحث الأخرى في هذين الكتابين متشابهان من ناحية النصوص والعبارات أيضاً^(١).

وبعد ذلك يعرض ابن سينا عدة مسائل حول هذا الموضوع، ومن وجهة نظري التعرض لبعضها ضرورياً:

(١) دور العمل في حصول كمالات النفس. يقول ابن سينا: إنَّ السعادة الحقيقية الكاملة لا يمكن تحقيقها إلا بإصلاح الناحية العلمية للنفس. ثم يهتم بتعريف الخلق وتحليل ملكة حد الوسط، ويعد ملكة الاعتدال وحد الوسط في تسليم القوة الحيوانية وتسَلِّط القوة الناطقة، ويرى خلافها كإفراط وتفريط وهما خلاف لفطرة النفس الناطقة^(٢).

علينا الانتباه إلى أنَّ دور العمل في حصول كمالات النفس يختلف حسب البنيتين الإشراقية والمشائية، فمن وجهة نظر الفلاسفة المشائين تعد الكمالات العلمية غاية في عرض الكمالات العملية، ولكن من وجهة نظر الإشراقيين وأهل العرفان الكمالات العلمية هي مقدمة ووسيلة لتحصيل الكمالات المعرفية.

(٢) حاجة بعض النفوس إلى الحياة الجسمانية. يقول ابن سينا: بعض النفوس الساذجة التي لم تدرك الشوق إلى الكمال الحقيقي لو أصبح لديها هيئات وحالات جسمانية سوف تشتاق إلى هذه الأجسام وستتعذب بفقدانها. ويبدو أن بعض العلماء صدقوا القول بأن هذا النوع من النفوس يحقق الحالات الأخرية المفضلة لديه بناءً على المعلومات الناتجة عن المفهوم العام حول القبر والقيامة والجنة والجحيم، عن طريق وضع الأجسام والأجرام السماوية بالتخيل، لأنَّ هودتها إلى الأجسام الإنسانية الأخرى على شكل تناسخ غير ممكن إطلاقاً.

(١) الشفاء، الفن ١٣، المقالة ٩، الفصل ٧.

(٢) المصدران السابقان (الشفاء والنجاة).

وهذا النوع من النفوس إن كان طاهراً سيكون في التعيم والملذات الخيالية وإن كان من النفوس الدنيئة وغير الطاهرة سيبتلى بالعقاب الخيالي لأعماله.

ويعتد بتشبيهاها بالأحلام والرؤيا يؤكد على قوة هذه الصور الخيالية؛ مع هذا التوضيح أن جميع الآلام والملذات سواء كانت في الأحلام أو اليقظة، هي ناتجة عن الصور الذهنية، مع هذا الفرق أن الصور الخيالية نبعت من داخلنا وصور عالم اليقظة حصلت في الخارج؛ لذلك فإن المنشأ الرئيس للأثر هو الصور الذهنية، مع أنها لم تحصل عن طريق الموجودات الخارجية، لأن الموجودات الخارجية هي سبب بالعرض^(١).

لذلك لا يستبعد ابن سينا أن بعض النفوس الناقصة بالشرح المذكور يكون لها نوع من المعاد الجسماني، مع أن المعاد في الحقيقة هو أمر روحاني.

٣) الإنسان مع أكثرية تعيسة. بناءً على أصل فلسفي في عالم الوجود، كل ما هو موجود هو إما الخير أو كثير الخير؛ لأن إيجاد موجود يكون شراً محضاً، كثير الشر أو حتى المساوي في الخير والشر لا يوافق حكمة الحق وعنايته وكذلك النظام الأحسن للوجود. لذلك فإن كل حادثة يجب أن تكون إما الخير المحض أو كثير الخير على الأقل^(٢). ولكن في المعاد الروحاني الذي تكون فيه السعادة منوطة بالاستكمال العلمي للنفس، ستكون فئة قليلة من الناس سعيدة. لأن الجهل والغفلة قد سادا على أكثرية الناس، وهذا يعد خلافاً للحكمة الإلهية وعنايتها والنظام الأحسن والعناية الإلهية، وهذا إشكال دقيق جداً.

وقد ورد هذا الإشكال على أساس المعاد الجسماني للمشرعين أيضاً، لأن أساس السعادة الأخروية هو الاعتقاد بالدين وحتى مذهب والالتزام بأحكام ذلك الدين والمذهب، ولم يحط أي من الأديان والمذاهب الموجودة في العالم، أهلية الناس. وفضلاً عن ذلك فإن قلة معدودة فقط من أتباع مذهب ما، التي

(١) المصادر نفسها، والإشارات والتنبيهات، النمط ٨، الفصل ١٧.

(٢) الإشارات والتنبيهات، النمط ٧، الفصل ٢٣.

تعمل بأحكام ذلك الدين بدقة، ستكون من أهل السعادة، وأن بقية الناس ستبلى بالعذاب الإلهي.

وقبل أن ننقل جواب ابن سينا على هذا الإشكال، يجب أن نذكر أولاً بأنه من وجهة نظر المشرعين والمتكلمين الذين يرون الله فعلاً لما يشاء، ولا يقبلون الحسن الذاتي للأفعال والأعمال وقبحها، فإنّ نجاة الأقلية وهلاك الأكثرية لا إشكال فيهما لأن مشيئة الله قد قررت هكذا: كل ما يفعله لذيد.

ولكن جواب هذا الإشكال من قبل علماء الدين الذين يعتقدون بالعدل الإلهي والحسن الذاتي للأعمال وقبحها يبدو صعباً جداً، خاصةً وأنهم لا يمكنهم أبداً أن يعتبروا أتباع المذاهب والأديان الأخرى وحتى الأشخاص العصاة لمذهبهم، من أهل النجاة. لأن طرح سؤال كهذا في الكتب الاعتقادية لهذه المجموعة ليس له سابقة ولا يمكنني أن أقول شيئاً حول جوابهم.

ولكن جواب ابن سينا على الإشكال المذكور هو أنه يعتبر أكثرية الناس - خلافاً لنظرية علماء الدين والمذاهب - من أهل النجاة. ومن أجل تبیین نجات أكثرية الناس يستخدم المباني التالية:

أولاً: إنّ السعادة الأخروية ليست منحصرة بنوع واحد. وثانياً: إن الوصول إلى السعادة الأخروية ليس منحصراً في الاستكمال العلمي، مع أن السعادة الحاصلة عن هذا الطريق أكثر قدراً ومقاماً. وثالثاً: ليس كل ذنب يستلزم العذاب أو العذاب الدائم، لذلك فإن الكثير من النفوس المتوسطة والناقصة تُكمل نفسها وذلك بعد طي مراحل، ولو بصورة التعلق بالأجسام السماوية، وتصل إلى مقام التجرد التام والكمال اللائق بها. ورابعاً: فإن الكثير من الجاهلين والمذنبين ستشملهم الرحمة الإلهية الواسعة وفي النهاية سوف ينجون^(١).

وقد قام بشرح وتحليل هذه المسائل واحدة تلو الأخرى في النمطين السابع

(١) كتاب الإشارات والتنبيهات، النمط ٧، الفصل ٢٥.

والثامن من كتاب الإشارات والتنبيهات وكذلك في مبحث المعاد في كتابي الشفاء والنجاة^(١).

ب) المعاد عند صدر المتألهين

يهتم صدر المتألهين في البداية، كابن سينا، بتمهيد المقدمات وذكر الأسس والأصول التي أثبتت كل منها في موضعها؛ وعدد هذه الأصول والمقدمات سبعة في الشواهد الربوبية^(٢)، وأحد عشر في الأسفار.

وهنا نُشير بشكل مختصر إلى هذه الأصول ومع تغيير طفيف في ترتيبها:

(١) الأصالة بمعنى التحقق العيني ومنشأية الآثار، هي وصف الوجود وليس الماهية.

(٢) إنَّ الوجود حقيقة متشككة حيث لها مراتب قوية وضعيفة ذاتياً.

(٣) إنَّ تشخص ظواهر العالم أعم عن المجردة والمادية هو محصول وجوده الخاص، وإنَّ الأعراض من لوازم شخصيته وليست من مقدماته.

(٤) إنَّ قوام أي موجود هو بصورة فصله الأخير ومبدئه، وتعد الفصول والأجناس الأخرى بمثابة اللوازم.

(٥) إنَّ هوية الجسم والأعضاء، برغم تغييرها وتحولها، ثابتة مع باقي هويات النفس؛ لأنَّ هوية الجسم بالنفس وليس بالجسم.

(٦) إنَّ إمكان الحركة التكاملية في أفراد نوع واحد هو على نحو يجتاز حد هذا النوع ويصل إلى حد نوع آخر؛ على سبيل المثال، يتحول الجماد إلى حيوان، والحيوان إلى إنسان. وقد طرح الملا صدرا هذه الإمكانية في كتابه

(١) انظر كتاب الإشارات والتنبيهات، النمط ٧، الفصل ٢٥ - ٢٤ والنمط ٨، الفصل ١٧ - ١١٢ والشفاء، ص ٦، مقالة ٩، فصل ١٧، وإلهيات النجاة، المقالة ٢، الفصل ٣٧.

(٢) كتاب الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية، وباعتقاد أساتذة الفن ألف هذا الكتاب في أواخر حياته وهو يحتوي على ملخص عقائده حول المسائل الفلسفية، كما ذكرها في مقدمة الكتاب.

الأسفار على قاعدة إمكان الاشتداد في الوجود، وفي الشواهد الربوبية على قاعدة إمكان الاشتداد في الجوهر.

(٧) الصور والمقادير، إن كانت تصدر عن الفاعل بناءً على استعداد المادة، قد تصدر أحياناً عن مبادئ فاعلها من دون مشاركة المادة.

(٨) إنّ الصور الخيالية قائمة بالنفس، مثل قيام المعلول بالعلّة؛ وليست كالأعراض لتكون حالة وعارضة على النفس.

(٩) إنّ خلق النفس هو على نحو يمكنها من إيجاد الصور والمقادير من دون مشاركة المادة لتكون هذه الصور قائمة بها، وليس حالة فيها؛ وإنّ هذه القدرة في الدنيا خاصة لأهل الكرامات وهي عامة في الآخرة.

(١٠) إنّ قوّة الخيال التي تُعد الجزء الحيواني للإنسان، هي جوهر مجرد لا تزول بالفساد وزوال الجسم بل تبقى مع النفس الإنسانية الناطقة.

(١١) إنّ الوحدة الشخصية ليست متساوية في جميع الوحدات، إذ تختلف هذه الوحدة في المجردات والماديات. وفي بعض الحالات هي جامعة المتخالفات، وفي حالات أخرى لها كثرة بالقوة، وفي حالات أخرى لها سعة وجودية وفي حالات أخرى محدودة.

(١٢) تنحصر الأكوان والعوالم مع جميع كثراتها، في ثلاثة أكوان: عالم الطبيعة، عالم المثال، وعالم المجردات. ومن بين موجودات العالم، الإنسان وحده بصفته الكون الجامع، يملك العوالم الثلاثة في سعته الوجودية؛ ويمكنه اجتياز جميع العوالم والأكوان بحركة جوهرية، وأن يصل من المرحلة الجمادية إلى أعلى مرحلة في التجرد.

(١٣) منشأ المادّة هو النقص والفقر الوجودي، لأنّ المادة هي الاستعداد ذاته؛ ومنشأ القوة والاستعداد هو الإمكان. لذلك فإنّ النفوس على نوعين: يتعلق بعضها، بسبب نقصها، بالجسم حتى تصل إلى الكمال والفعلية؛ والبعض الآخر منها كاملة ويحتاجها الجسم لتتفرغ إلى إيجاد وتديره. وبالطبع تُعد هذه النفوس كاملة مقارنة مع نفوس الجسم الأسيرة، إلّا أنّها في كمالها لم تصل بعد إلى مرحلة التجرد العقلاني كي تكون مستقلة عن الجسم.

وهذه هي الأصول والمقدمات التي ذكرها الملا صدرا في كتابيه؛ ومن بينها جاءت الأصول ٣، ٤، ٦، ٧، ٩ و ١٠ في الكتابين، والأصول ١، ٢، ٥، ٨، ١١ و ١٢ ذكرت في الأسفار فقط، وجاء أصل ١٣ في الشواهد الربوبية فقط^(١).

نتيجة الأصول وتبيين المعاد: ما يظهر في مسرح المعاد هو كالشخص تماماً من حيث النفس والجسم؛ لأن في التشخص وبقاء الإنسان، بقاء النفس مهم جداً وليس بقاء سمة محددة من الجسم سواء أكان صغيراً أو كبيراً، مادياً أو مثالياً. على كل حال، فإن الجسم هو جسم هذا الشخص وليس جسماً مادياً مغايراً أو مثالياً لشخص آخر^(٢).

ج) نقد وتقييم معاد الملا صدرا

إن نقد وتقييم آراء وأفكار شخصية كبيرة مثل صدر المتألهين لا يقللان من منزلته ومقامه فحسب بل إنهما أفضل طريقة وأسلوب لتعالي التفكير والوصول إلى حلول جديدة للمشكلات العالقة. لو كانت السيرة والسنة على ألا يتكلم أي تلميذ أمام أستاذه فمن دون شك ستغلق طريق التعالي والتقدم العلمي أمامه؛

(١) انظر كتاب: الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة المعروفة بالأسفار الأربعة، أو «الأسفار» طباعة بنیاد حکمة صدرا الإسلامية، ج ٩ ص ٢٧١ - ٢٦١ والشواهد الربوبية، طباعة بنیاد حکمة صدرا الإسلامية، ص ٣١٦ - ٣١١.

(٢) الأسفار، ج ٩، ص ٢٧٦ - ٢٧٥، الشواهد الربوبية، ص ٣١٧ - ٣١٦، من الجدير ذكره أن الملا صدرا لم يكتب الاستنتاج وتطبيق النتيجة بالمقدمات بنفس مزاجه ونفسه الطويل في تمهيد المقدمات والمسائل الفرعية الأخرى. وما يمكن ذكره بشكل مختصر حول نتيجة المقدمات هو أنه بناء على الأصالة والتشكيك والاشتداد في الوجود فإن الإنسان بصفته الكون الجامع يمكنه اجتياز المراحل المختلفة للوجود الجوهرى بالسير التكاملية من الجماد حتى التجرد التام. وبما أن عامل التشخص هو الوجود وكذلك بقاء الهوية هو بالفصل الأخير، لذلك تستمر هوية الإنسان وتشخصه ببقاء النفس. عند ذلك تكون النفوس الكاملة في التجرد التام ومعادها يصبح روحانياً. ولكن النفوس الناقصة بسبب نوع تناسبها وتعلقها بالجسم تُشكّل أجساماً مناسبة لها بالتخيّل بناءً على تجرد الخيال وإمكان صدور الصور والمقادير من النفس وقوام هذه الصور والمقادير بالنفس؛ وعلي هذا المنوال يصبح معادها جسمانياً. وهذا الجسم سيكون جسم تلك النفس لا جسم مادي أو مثالي آخر.

لذلك بالاعتراف والمعرفة بالعظمة الفكرية للملأ صدرا وبأنه أحد النوابع القلّة في العالم، نذكر بعض الملاحظات حول آرائه ونظرياته:

(١) أسلوب صدر المتألهين: قبل كل شيء يلزم إلقاء الضوء على أسلوب الملأ صدرا في حل المسائل الفلسفية إذ إنه - كما معروف عنه - قد جمع بين جميع الأساليب، وتشتمل حكمته المتعالية على فلسفة المشاء وحكمة الإشراق والكلام والعرفان، وقد امتدحه الكثير من المحققين الكبار بسبب عمله الفريد والمدّمش هذين^(١).

ولكن علينا قول الحق بأن خلافاً لتأييد أتباعه الكبار، من أمثال الفيض الكاشاني (الوفاة ١٠٩١ هـ.ق) حتى العلامة طباطبائي (الوفاة ١٩٨٣ م) إنّ شيئاً كهذا (أي الجمع بين الأساليب) لا يمكن في العرض بتاتاً؛ بهذا المعنى أنّه يمكن أن يكون شخصاً ما متكلماً وثم يصبح فليسوفاً وبعد ذلك يتحول إلى العرفان، ولكن لا يمكن استخدام أسلوبين أو أربعة أساليب بشكل متزامن لتنظيم رؤية كونية، لأن المباني، والمسائل، والأدوات وأهدافها تختلف عن بعضها البعض. وإنّ مزج الفلسفة بالعرفان وتعويض نقص أحدهما بالآخر ليس فقط غير منطقي بل إنه سينتهي بنتائج وآثار غير صحيحة أيضاً، وسوف نبحث هذا الأمر في هذه المقدمة.

(٢) عدم الانتظام في المقدمات والنتائج: تزامنت مقدمات واستنتاجات صدر المتألهين مع الإشكاليات وعدم الانتظام من عدة جهات، وهنا نُشير إلى بعضها:

٢ - ١) حذف بعض المقدمات الضرورية مثل تبیین اللذة، ورجحان اللذة العقلية والروحية، وكذلك أسباب عدم اهتمامنا بهذه الملذات في هذا العالم، والاهتمام بالآخرة وبنية اللذة والعذاب العقلاني.

(١) انظر كتاب: مقدمة الأسفار بقلم المرحوم الشيخ محمد رضا مظفر؛ وكتاب الخدمات المتقابلة بين الإسلام ولهران، لمرتضى مطهري، ص ٥٨٧ - ٥٨٦، ومقدمة السيد جلال الدين الأفشاري على مجموعة رسائل السبزواري، ص ٣٧ - ٣٦.

٢ - ٢) ذكر بعض المقدمات غير الضرورية مثل: «إن النقص والإمكان هما منشأ المادة»^(١).

٢ - ٣) عدم تفكيك المقدمات المرتبطة بمبحث إمكان عن المقدمات المرتبطة بمبحث كيفية المعاد. تساعد بعض مقدمات الملاً صدرا على تحليل وتبيين إمكان المعاد، مثل المقدمات الأولى حتى السادسة والمقدمة الثانية عشرة؛ وتساعد البعض الأخرى على تبين كيفيته (جسمانية المعاد) مثل المقدمات السابعة إلى الحادية عشرة والمقدمة الثالثة عشرة^(٢).

٢ - ٤) تكرار بعض المقدمات، مثل المقدمة الخامسة وهي المقدمة الرابعة ذاتها أو المقدمة التاسعة التي يمكن إدراجها ضمن المقدمة السابعة.

ولا شك أنّ استدلال ابن سينا يخلو من هذه النقائص، في حين أنّ الملاً صدرا وهو الوريث، بعد نحو ستة قرون، للجهود الفكرية للمسلمين، كان يتوقع منه أن تكون مقدماته واستنتاجاته منظمة ومنسجمة أكثر.

٣) كثرة المقدمات والأوساط: مهما قلّت مقدمات وأوساط استدلال، سيكون هذا الاستدلال ذا وضوح واستحكام أكثر. ومن هذه الناحية فإن استدلال ابن سينا له أرجحية على استدلال الملاً صدرا، فصدر المتألهين إضافة إلى مقدماته المتعددة حول إثبات وجود النفس والتجرد وبقائها، استخدم مقدمات وأوساط مختلفة مكررة لتحليل وإثبات المعاد.

٤) إن جزء من المقدمات غير فلسفي: يستند استدلال ابن سينا على مباني ومقدمات فلسفية يمكن للعقل والفكر الإنساني أن يتصورها ويصدقها. ولكن صدر المتألهين أخذ الكثير من مقدماته من العرفان وحكمة الإشراق التي لا يمكن تصورها وتأييدها من قبل العقل والفكر، مثل: أصالة الوجود، ووحدة الوجود، واشتراك الوجود، والتشكيك والاشتداد في الوجود، والخ...

(١) المقدمة السابعة في الشواهد الربوبية.

(٢) الأرقام هي حسب أرقام مقدمات هذا النص.

٥) عدم وضوح مباني ومقدمات جزء من المقدمات: استخدم الملاً صدرا بعض المقدمات من أجل تبين المعاد وهذه المقدمات هي ليست بديهية ولا قائمة على قواعد واضحة ومثبتة مثل:

٥ - ١) إن الانتفاع من الحركة الاشتدادية للجوهر - إضافة إلى موضوع الاشتداد في الوجود - لم يتم تبيينه بعنوان بنية الاشتداد في الجوهر. ففي العرفان تكون بنية الاشتداد والحركة التكاملية السير الحُبي في القوس الصعودي، بشكل مطلق حتى في المجردات. ولكن على أي أساس يمكن دعم هذا الموضوع بالفلسفة؟ الجواب هو غير معلوم، ولم يقل الملاً صدراً شيئاً حول هذا الأمر.

٥ - ٢) ليس من الواضح على أساس أي بنية من بين الجواهر كلها يختص الاشتداد الوجودي للإنسان. ولو افترضنا أن البنية جامعة، فعلى أي بنية ومقدمة فلسفية ومنطقية يمكن أن يستند هذا الموضوع؟

٥ - ٣) امتناع الانقلاب في الماهية، وهو اللازمة المسلّم بها لأصل الهوية وأساس التفكير الفلسفي، كيف يمكن وفقه بإمكان الاشتداد والاستحالة الجوهرية من نوع إلى نوع آخر؟ الجواب هو غير معلوم ولم يقدم الملاً صدرا أي توضيح حول هذا الأمر.

٥ - ٤) بقبول إمكانية إنشاء الصورة والمقدار وإيجادهما كيف يمكن حل أصل امتناع تحقق الصورة بدون مادة وبدون مشاركة وتدخل الهيولى الموجودة في المقدمات السابعة، والثامنة، والتاسعة؟ في حين إنه أُقيمت في الفلسفة أدلة قائمة على امتناع تحقق الصورة من دون المادة^(١).

٦) عدم كفاية المباني والمقدمات المذكورة لإثبات المطلوب: إن الملاً صدرا - الذي وضع أساس عمله إثبات المعاد بالصور الجسمانية وقدم عدداً من

(١) النجاة، الإلهيات، المقالة ١، الفصل ٥، إلهيات الشفاء، المقالة ٢، الفصل ١٤ الإشارات، النمط ١، الفصل ١٢ والأسفار الأربعة، ج ٥، ص ٢١١ ونهاية الحكمة، العلامة الطباطبائي، المرحلة ٦، الفصل ٦.

المقدمات لهذا الأمر حصراً، من أجل الوصول إلى النتيجة المطلوبة - احتاج فضلاً عن المقدمات المذكورة، إلى مقدمات أخرى وهي عبارة عن:

٦ - (١) إنّ نفوس الأفراد المتوسطة والناقصة بعد مفارقتها الجسم لا يمكنها الارتقاء إلى عالم المفارقات.

٦ - (٢) التناسخ محال أيضاً.

٦ - (٣) لا تتعلق الأرواح بالأجرام الفلكية أيضاً.

٦ - (٤) إنّ التعطل والعشية للنفوس محالان أيضاً.

لذلك عليها أن تملك وجوداً جسمانياً متناسباً معها وهو الجسم الخيالي نفسه^(١).

٧) إنّ افتراض وإثبات تجرد الخيال لا يحلان مشكلة الجسم: إن تصور تجرد الخيال كمقدمة على تبين المعاد الجسماني، لا يمكن أن يحل مشكلة الجسم؛ لأن قوة الخيال بافتراض تجردها تندرج في مجال العقول والمفارقات. وإن كان التجرد يستطيع أن يكون أساس حل الإشكال، فتجرد العقل سيكون كافياً ولم يعد هناك حاجة إلى تصور تجرد الخيال. ولكن كون تجرد العقل غير كافٍ لهذا الأمر فهذا يعود إلى أنّ صدور الأعمال والأفعال الجزئية عن القوة غير المنطبعة في الجسم، لم يكن ممكناً أصلاً؛ وبما أنه قد تم تصور الخيال كالمجرد لذلك لم يعد بإمكانه أن يكون منشأ أفعال وأعمال جزئية وجسمانية.

ومن أجل حل هذه المشكلة اتخذ ابن سينا طريقاً أكثر منطقية واعتبر تصور تعلق هذه النفوس بالأجرام السماوية تصوراً منطقياً ومعقولاً، حيث تكون أدوات عمل النفس من أجل تصوراتها وحركاتها وأعمالها الجزئية. إلا أنّ صدر المتألهين لا يقدم في تصويره جسماً في عهدة النفس، يمكنه أن يكون مع ذلك الجسم منشأ أعماله وأفعاله الجزئية.

ولكن أن تستطيع ذات قوة الخيال أن تتصور جسماً ما فسوف يكون هذا

(١) الشواهد الربوبية، ص ٣١٧ - ٣١٦.

الجسم جسماً ذهنياً وليس عيباً، ومن البديهي أنه من غير المنطقي أن يكون بين موجود مجرد وتصوراتة ثمة تصور تعلقه واستخدامه كأداة؛ لأنه لو تعلقت النفس بجسم خارجي فإنها سوف تستفيد من هذا الجسم كمتمم ومشارك لوجودها وأعمالها. في حين أن الجسم الخيالي هو محصول ومعلول النفس ولا يمكنه أن يكون مشاركاً ومتماً لها، فتصور إزالة الفقر بشيء يكون معلول كماله، يعد تناقضاً. ومن الواضح أن حاجة النفس إلى الجسم هي من أجل تكميل نواقصها وكذلك لاجتياز مراحل التكامل، وهي ليست أمراً عيباً وبدون هدف.

(٨) لماذا الجسم؟ إنَّ الجسم في تحليل ابن سينا هو من أجل حل مشكلة النفس، في حين أنه حسب تصور الملاً صدرا الجسم هو من أجل حل مشكلة التضاد في وجهات نظر الفلاسفة مع آراء المتكلمين في باب المعاد الجسماني. يريد ابن سينا أن تمتلك النفوس الأدوات بمثابة جسماً دنيوياً، في حين أن همّ الملا صدرا كله من أجل إقناع الرأي العام، وهو يحاول أن يوفق بين النتائج الفلسفية وبين المقبولات العامة^(١).

(٩) ما الغرض من المعاد الجسماني؟

إنَّ طرح المعاد الجسماني من قبل ابن سينا، هو محاولة فلسفية من أجل الإجابة على إشكالين فلسفين مهمين وهما:

٩ - ١) حل وتبيين وضع معاد النفوس التي لم تصل إلى مرحلة التجرد التام والكمال المناسب لها. مثل هذه النفوس تستمر بتكميل نفسها وهي متعلقة بالأجسام.

٩ - ٢) الإجابة على إشكال «شفاء أغلبية البشر». كما أوضحنا سابقاً فإن بعض النفوس الناقصة تباشر، بعد الموت، بالوصول إلى مراحل الكمال بتعلقها المجدد بالجسم، حتى تصل إلى السعادة الأخروية؛ وعلى هذا المنوال يقل عدد الأشقياء. ولكن المعاد الجسماني عند الملاً صدرا لا يهدف إلا لإرضاء الرأي العام ونوفيق الفلسفة مع العقائد الدينية.

(١) الأسفار الأربعة والفوائد الربوية، الصفحات السابقة.

(١٠) دافع إنكار الخلود: إن مسألة إنكار خلود العذاب الأخروي، التي تقبلها ابن سينا في بعض حالات خاصة للنفوس الناقصة، هي من أجل الإجابة على الإشكال المذكور في فقرة (٩ - ٢)، ولذلك فهي تندرج ضمن نظام المعاد. في حين أن صدر المتألهين يطرح إنكار الخلود بصورة موضوع مستقل، وغير مرتبطة بقضايا المعاد ونظامه، ويصب جلّ اهتمامه في مناقشات أهل الكلام والمفسرين؛ بحيث إنه خلافاً للعرفاء يؤكد في النهاية على قبول الخلود في العذاب^(١). كانت هذه نماذج لعمل الملاً صدرا، ومرة أخرى أكد على هذا الأمر بأنه كان ناجحاً في عمله، فقد رته الاستنباطية والتنظيمية في جعل المسائل العرفانية فلسفية هي قدرة فريدة ولا مثيل لها. ولكن مع هذا فإنّ عمله هذا هو موضع نقاش - كما سنرى في دراسة أسلوبه.

أسلوب الملاً صدرا:

كما هو معروف عن الملاً صدرا، فقد قام بجمع المدارس الفكرية المختلفة (الفلسفة المشائية، الفلسفة الإشراقية، الكلام والتصوف). كما أنّه قام بإعطاء صبغة فلسفية للكثير من الأصول ومسائل التصوف، واستدل لأغلبها كالمطلوب الفلسفي، وطبق الكثير من المسائل العرفانية بالمباني العرفانية، وأكد عليها وطبق كلاً منهما بالآيات القرآنية والأحاديث الدينية، وجعل بين الشرع والعقل والكشف وفاقاً عملياً وتعاوناً معرفياً. ومن دون شك يعد هذا الأمر نتاج نبوغه ونتيجة جهوده القيمة المستمرة.

ولكن هذا العمل بعظمته وأهميته فيه إشكالان أساسيان:

(أ) مع أنّ هذا العمل يُعد مهذباً ومُرضياً من ناحية الرأي العام والإحساسات والعواطف الدينية والعرفانية، ولكن إن تمت دراسته بدقّة وبشكل علمي فهو عملٌ غير منطقي وغير صحيح؛ فمثل هذه الجهود كانت موجودة مُنذ القدم حيث

(١) الرسالة العرفية، انتشارات المولى، ص ٢٨٢؛ وبناءً على رأي حضرة السيد جلال الدين الأفتاباني هذه الرسالة من ناحية التأليف تأتي بعد كتاب شواهد الربوبية (حاشية الشواهد، طبع مشهد، ص ٣١٧).

كانت دوافعها مختلفة وباعتقادي فإنّ المساعي من أجل الحفاظ على حُرمة القدماء والكبار كانت من أهم هذه الدوافع.

وقبل المّلا صدرا أقدم مفكرون آخرون على مثل هذا الأمر أيضاً، إذ يمكننا الإشارة إلى عرفاء ومتكلمين وفلاسفة مثل الفارابي، وشيخ الإشراق السهرودي، وابن رشد، والخواجه نصير الدين الطوسي، والغزالي.

وبعد إقدام صدر المتألهين على هذا الأمر نتساءل ما هي نتائج المرجوة من هذا العمل، وكم نجح في هذا الأمر؟ باعتقادي فإنّ إثبات المسائل العرفانية مثل «وحدة الوجود» و«أصالة الوجود» بالأدلة الفلسفية لن يصل إلى نتائج غير التوهم والخيال؛ بهذا المعنى لو أردنا أن نصل إلى سر الوحدة ونرى العالم كلّه بعين الحق وأن نتعرف إليه وأن نصل إلى النتيجة القائلة بأن في دار الوجود ما من ديار غير موجود واحد وهو حضرة الحق ذاته، فمن دون شك هكذا فهم وإدراك ليسا عمل عقلنا وفكرنا لكي نصل إليه بأدوات عقلنا وأفكارنا، أي عن طريق المعرفة والحجة.

ولو جئنا بآلاف الأدلة من أجل وحدة الوجود ووهمية الكثرة، فسوف يكون كل شيء نفسه في ذهننا وستبقى الظواهر كلها نفسها لا غير؛ فالكثرة أمر واقعي والظواهر كلها تملك وجوداً عينياً وواقعياً. والآن لو ادّعى أحدهم بأنه توصل إلى مكانة بحيث «ثمة واحد موجود وما من شيء غيره»، فهذا يخصه وحده ولا يمكن فهمه من قبل الآخرين ونقله إليهم؛ وبالتأكيد فإنّه قد وصل إلى هذه المكانة عن طريق شيء غير العقل، أي بالسلوك والتأمل أو الجذبة والاستعداد. على كلّ، فقد توصل إلى شيء لم يصل إليه الآخرون؛ ومن جهة أخرى فإن الشيء الذي قد وصل إليه لا يمكن شرحه ولا نقله. وفي هذه الحالة لو قمنا بإتيان الأدلة والبراهين بأي نتيجة سنصل إليها غير التوهم والخيال؟ وعندما كنا ندرس الأسفار^(١)، كنا نتصور بأننا قد فهمنا وحدة الوجود، في حين إنّنا كنا غافلين عن استحالة فهم هذه المواضيع!

(١) حيث كان أستاذنا هو العلامة المرحوم الطباطبائي.

من جهة أخرى لو أردنا أن نحلّ المواضيع والمسائل الفلسفية، لما قمنا بالعمل الصحيح. وعلى سبيل المثال قدّم ابن سينا أفضل تحليل ممكن في تحليل علم الباري تعالى بجميع الكون بشكلي ثابت وأزلي؛ إذ إنه أقام العلم على أساس العلية، ونقله من علّة العلل إلى الأكوان كلها.

ولكن هناك من يريد أن يقوم بتحليل وإثبات هذه المسألة على أساس قاعدة «بسيط الحقيقة كل الأشياء»^(١)، وقد غفل أن هذه القاعدة هي قاعدة عرفانية؛ ولكن من الناحية الفلسفية هي مجرد شطح وتحتاج إلى نوع من التناقض. وأصولاً البسيط في المصطلح العرفاني ليس له أي علاقة بالبسيط في المصطلح الفلسفي، ومزج هاتين المدرستين مغالطة. إن تحقق البسيط بمعناه الفلسفي معقول ولكن تحقق البسيط بالمعنى العرفاني للكلمة لا يمكن تأييده لذهننا.

والأمر هذا يصدق في الجمع بين الكلام والفلسفة أيضاً؛ فعلى كل حال في مثل هذا الأسلوب التركيبي بما أن الأسس والمقاييس مختلفة فالنتيجة لن تكون صحيحة. وهذا العمل ليس فقط لا ينتهي بمحصول منطقي بل إنّه سيصيب الفلسفة والكلام والعرفان بالمشاكل والانحراف؛ ومع أننا نعلم بوجود مثل هذه الجهود منذ القدم إلّا أنها لم تكن ناجحة ولن تكون.

ب) بهذا التنسيق وتركيب المدارس، نصل إلى وفاق وهدوء في مجالات العلوم يمنعان السير التكاملي للمباحث الفكرية. وليس مستبعداً أنّ المحيط المقلّد ما بعد الملاً صدرا أن يكون محصول هذا الأسلوب التركيبي إلى حد ما، بحيث استطاع في النهاية أن يلبي توقعات جميع الفرق وأن يمنع الجدل والاشتياق فيما بينهم، ويزيل النقد والنقاش اللذين يمهدان للتحوّل وتكامل السير الفكري.

لذلك يبدو من الضروري تصفية الفلسفة من العناصر الكلامية والعرفانية، من أجل التأكيد على عدم تيه العقل السليم؛ كي نمنح جواً للعرفان لرشده، ونقدم الفلسفة بصورتها المنطقية. ولو وثقنا العرفان باستدلال فلسفي ومنطقي، وكذلك

(١) الأسفار، ج ٦، ص ٢٩٩، ٢٥١ نهاية الحكمة، الطباطبائي، المرحلة ١٢، الفصل ١١.

الفلسفة بالمقبولات العرفانية، فإننا قد قطعنا الطريق لنموهما؛ فالعرفان يحتاج إلى السلوك والفلسفة بحاجة إلى الفكر والمنطق، ولسنا بغنى عن أي منها.

وهنا ننهي الكلام بهذا الموضوع أنه نظراً إلى التاريخ المضيء والتراث القيم لدقة ابن سينا وجرأة شيخ الإشراق وهمّة الملاً صدرا وسعة نظره، يمكننا أن ننادي في المستقبل برؤية كونية واضحة ومعقولة؛ ولكن ليس بالسهولة التي نتصورها بل بالجهد الحثيث في طريق الاجتهاد والإبداع.

(٢) دراسة ونقد مواضيع الرسالة

يعد هذا الكتاب من آثار صدر الدين محمد الشيرازي المتعددة، وهو يحتوي على أربعة أبواب؛ وللباب الأول خمسة فصول ولكل من الأبواب الثلاثة الأخرى عشرة فصول.

يعتقد الأستاذ «دانش بجوه» أن العناوين البليغة لهذا الأثر مأخوذة من غياث الدين منصور الدشتكي^(١)، ولكن كما جاء في نهاية هذه المقدمة فإن هذه الرسالة تطابق رسالة بابا أفضل الكاشاني المعنونة باسم «جاودان نامه» من ناحية المحتوى والأبواب والفصول بشكل كامل. وبناءً على رأي الأستاذ «دانش بجوه» تكلم الملاً صدرا في أثره هذا بالإيماء والإشارة خلافاً لأعماله الأخرى المكتوبة بشكل السهل الممتنع، حيث بحث فيه الكثير من المسائل العرفانية والفلسفية بشكل إجمالي. وأنا لا أوافق على الرأي القائل بأن لغة هذا العمل لغة الرمز والإشارة، وأن تكون مسائل كثيرة طرحت بشكل إجمالي؛ وما هو مسلّم به هو أن الملاً صدرا في عمله هذا كتب بحوثه بتأنٍ، كأغلب أعماله الأخرى، وبذل جهداً كبيراً بشرح المواضيع بأسلوب سهل وتفضيلي.

وما يميز هذا العمل عن أعمال الملاً صدرا الأخرى هو كثرة التشبيهات وتطبيق المواضيع العرفانية بالمسائل الفلسفية والطبيعية والفلكية من جهة، والتطبيق والاستشهاد بالآيات والروايات الدينية من جهة أخرى.

(١) مجلة المعارف، السنة ٦٣، العدد الثاني.

وفي عمله هذا ذكر مسائل مختلفة بعيداً عن النظام الطبيعي الموجود في أعمال الآخرين وأعماله الأخرى، من ماهية الزمان والمكان وحتى حقيقة الملاك والشيطان. وفي كتابه هذا لم يذكر أي كتاب آخر، غير الشفاء لابن سينا، ولمرة واحدة فقط.

وبما أن تاريخ كتابته يعود إلى ١٠٣١ هـ.ق. لذلك فإنه أقدم من الأسفار أو تاريخ نهايته وهو ١٠٣٧ هـ.ق.

يقول صدر المتألهين إنّ مواضيع هذه الرسالة هي ملاحظات دقيقة وقيمة لمسائل الحكمة والعلم اختارها من كتب «رجال الله»، وأضاف لطائف من كشافاته وإلهاماته إلى هذه النصوص.. وقد قسّم كتابه إلى أربعة أجزاء مع هذه التفاصيل: الجزء الأول في تقسيمات العلوم والجزء الثاني في بيان محل المعرفة والحكمة؛ والجزء الثالث في معرفة مناشئ وبداية هذه المعرفة؛ والجزء الرابع في معرفة النهاية والهدف النهائي. والآن نقوم بدراسة مواضيع الفصول الأربعة بشكل إجمالي:

الجزء الأول:

قام المَلّا صدرا في الجزء الأول بالبحث في تقسيم العلوم وأقسام كل طبقة ولم يضيف إليها أي شيء لم يكن موجوداً في تلك الأيام؛ والأسلوب المستخدم فيه هو الأسلوب التركيبي (المشائي - العرفاني)... وفي تقسيمه للعلوم حين يصل إلى الجزء الخاص بمعرفة الأنبياء، يطرح أوصاف الأنبياء في ثلاث صفات جامعة وهي عبارة عن: أ) العلم بأحوال الكائنات على أساس الوحي والمكاشفة، وليس الجهود والدقة الفكرية. ب) تشكّل الحقائق الغيبية في خياله وحسه على نحو يسمع الصوت ويرى الآخرين. ج) قدرة الغلبة على الأعداء والصبر والاستقامة في مواجهتهم.

ثم يضيف إنّ مجموع هذه الصفات يخص الأنبياء، إلّا أنّ كل واحدة من هذه الصفات موجودة في أشخاص آخرين؛ الصفة الأولى في الأولياء، ونوع من

الصفة الثانية في بعض الكهنة والرهبان، والصفة الثالثة في بعض الأباطرة والأمراء.

هناك بعض الإشكالات تؤخذ على كلام المَلّا صدرا هذا؛ إحداها أنه أخذ برأي ابن سينا في عدّ هذه الصفات الثلاث الرئيسية للأنبياء، إذ يعد ابن سينا هذه الصفات الثلاث على هذا المنوال:

أ . الخصائص المتعلقة بقوة العقل النظري وهي عبارة عن امتلاك حدس قوي يصل سريعاً من المعقولات الأولى إلى المعقولات الثانية.

ب . الخصوصية المتعلقة بقوة الخيال، ورؤية الملائكة بالأشكال الحسية وسماع صوتها.

ج . الخصائص المتعلقة بالقوة العاملة (الإعجاز) والتصرف في الكائنات^(١).

د . من البديهي أن هناك اختلافاً جذرياً بين بيان ابن سينا مع بيان المَلّا صدرا:

حدّد ابن سينا الصفة الثالثة بعنوان قدرة الإعجاز والتصرف في مادة الكائنات حتى يتمكن من امتلاك بنية فلسفية لإعجاز الأنبياء ويستطيع شرح تلازم الإعجاز والنبوة أيضاً، وبهذا المعنى فإننا نواجه سؤالين:

أولاً، بناءً على نظام العلّية، ما هو أساس الأحداث التي تحققت بشكل الإعجاز؟ وثانياً، ما العلاقة بين النبوة والإعجاز أصلاً ليمتلك الأنبياء قدرة الإعجاز دائماً؟

ويجيب على السؤال الأول بهذا التحليل أن نفوس الأشخاص الذين وصلوا إلى مقام النبوة من حيث الكمالات وقوة العقل النظرية، ستكون لها قدرة بحيث يمكنها أن تتصرف في مادة الكائنات وأن تحقق أحداثاً في عالم الواقع كما تُريد، فإعجاز الأنبياء قائم على هذا الأصل، وبالطبع انتساب الإعجاز إلى نفوس الأنبياء غير مقبول من قِبل علماء الدين؛ لأنهم يربطون المعجزة بقدرة الخالق فقط.

(١) الشفاء، بحث النفس من الطبيعيات، والنجاة، الطبيعيات، طباعة مصر ٧٦٧.

وجواباً على السؤال الثاني فإن التحليل هو ذاته، أي، بما أن الأنبياء يملكون هذه القدرة، فإنه يمكنهم تنفيذ عمل خارق خلاف لقوانين الطبيعة المعروفة متى شاءوا، وذلك عن طريق التصرف بالطبيعة. ومن الجدير ذكره أن هذا السؤال يمكنه تبرير التلازم الاجتماعي والخارجي للوحي والإعجاز فقط، ولكنه لا يقول على أي بنية فلسفية يرتبط الوحي بالإعجاز.

من وجهة نظر المفكرين المسلمين يمكن تبرير تلازم وارتباط الوحي والإعجاز على أساس القيم والمصلحة فقط، أي لو احتجنا إلى شاهد من أجل صدق دعوى الأنبياء، فعلى الأنبياء أن يكون لهم إعجازٌ حسيٌّ ليصدق الناس بعلاقتهم بقوى ما فوق الطبيعة وهذا تبرير كلامي مبني على الحُسن والجمال والمصلحة والمفسدة (ما يجب وما لا يجب). وقد حاولت قبل عدة سنوات أن أوفق في مقال، ارتباطهما على أساس القوانين الفلسفية^(١). ولكنني أقول إن هذا التبرير لا يمكنه أن يكون تبريراً فلسفياً دقيقاً، بل إنه تبرير عرفاني وحكمة متعالية لا غير، لأن الكثير من المقدمات المستخدمة عرفانية وليست برهانية.

في حين أن الملاً صدرا يطرح الصفة الثالثة تحت عنوان قدرة الغلبة على الأعداء وامتلاك الصبر والاستقامة، وهذه الصفة بعنوانها هذا فيها عدة إشكالات من ضمنها:

أ . في هذا الشرح ما من جواب لأي من السؤالين، أي إنه لم يقدم أي بنية من أجل تحقق الإعجاز أو تلازم الوحي والإعجاز. وبما أن هاتين المسألتين من المسائل الأساسية لمبحث النبوة، يتضح نقص عنوان الملاً صدرا مقارنة إلى عنوان ابن سينا.

ب . لم تحقق هذه الصفة عملاً خلافاً للصفتين الأخريين في جميع الأنبياء؛ وبناءً على الوثائق والنصوص الدينية لم تكن لبعض الأنبياء قدرة الغلبة على أعداء

(١) راجع مقالة «مباني فلسفة رابطة وحي وإعجاز» مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية لجامعة تبريز، سنة ١٣٧٠ هـ، العددان الأول والثاني.

الله مثل عيسى المسيح ويحيى عليه السلام. وفي طول التاريخ كانت سلطة وفتوحات الملوك وحتى الخلفاء وخلفاء الأنبياء أكثر منهم.

مع هذا الوضع على أي بنية يمكن اعتبار الغلبة على الأعداء من الصفات الأصلية للأنبياء؟ فضلاً عن هذا على أي بنية يمكن تبرير تلازم الوحي والغلبة على الأعداء.

الجزء الثاني

وهذا الجزء هو حول معرفة النفس الإنسانية التي تُعد جاذبة للمعرفة ومكاناً لها.

ومن هذا الجزء تبدأ القضايا المعرفية للرسالة؛ وهنا نقوم بدراسة مسائل هذا الجزء:

بدأ الفصل الأول بعنوان منشأ الاختلاف في عقائد الناس وآرائهم، إلا أنه يكتفي بذكر حالات الاختلاف فقط وهي إما في المبدأ أو المعاد أو الإمامة أو المسائل الفقهية؛ ومن البديهي أن منشأ الاختلافات هو أشياء أخرى من قبيل: عدم إمكان التحقيق، اتباع وتقليد الآباء والأجداد، تبعية عقائد الناس للسلطة والحاكمة وإلخ... كما أنه لم يهتم بأسباب الاختلاف الرئيسية بين المتفكرين - وهي أساسية - مثل اختلاف على أساس مسائل معرفية كالثقة بالعقل والفكر، أو الاستناد بالنقل والوحي أو التوسل بالزهد والتأمل والسير والسلوك؛ فضلاً عن الاختلافات المتعلقة بأصالة الحس والتجربة أو العقل وإلخ...

وببدأ الجزء الثاني بهذا السؤال: «ما العلم الأول الذي هو واجب عيني على الإنسان؟». وهذا الموضوع يذكرنا بقضية المتكلمين وهي: «ما هو الواجب الأول على الإنسان؟».

أساس المتكلمين في هكذا قضايا هو الحُسن العقلي وقُبْحه أو التكليف الشرعي؛ ولكن من وجهة نظر الفلسفة أي قاعدة يمكن أن تكون أساساً لقضية مثل هذه؟ يطرح الملاء صدرًا عنوان «الانتفاع في الآخرة» حيث له وجهة كلامية.

ومن الناحية الفلسفية أول عمل يقوم به إنسان بذهن خالٍ من التلقين والتقليد هو كسب المعلومات والتفكير. وإذا مثل باقي البشر في عالم اليوم حين يكون ذهنه ممتلئاً بالتعاليم التلقينية والتقليدية، وصل إلى الوعي فإن الواجب الأول لشخص كهذا هو «الشك»؛ أي النظرة المشككة والناقدة لهذه العقائد. وهذا يعد من جملة افتخارات المتفكرين المسلمين الذين أدركوا أهمية الشك قبل قرون من مجيء ديكارت.

وقبل الغزالي الذي اشتهر بطرحه للشكوك، اعتبر أبو علي الجبائي وأبو هاشم، من متكلمي أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجريين أي قبل قرنين من الغزالي (المتوفى عام ٥٠٥ هـ.ق.)، أن الواجب الأول لكل إنسان هو الشك^(١)؛ إلا أن هؤلاء المتكلمين تناسوا دقة كهذه فيما بعد.

الموضوع الآخر في هذا الجزء هو أن جميع إدراكاتنا وأحكامنا الذهنية لا اعتبار لها كأحداث وأحكام أحلامنا؛ ولكن عدم الاعتبار هذا يتضح حين نستيقظ من نوم هذه الحياة المادية، وهذا الصحو يحدث بعد الموت فقط.

وهذا الموضوع هو مبحث معرفي للعرفان، حيث طرحه الملا صدرا بشكل مبسط مستنداً على الحديث النبوي الشريف: «الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا». كما أن هذا الموضوع هو الأساس في مبحث المعرفة عند العرفاء حيث ترتبط إدراكاتنا الحسية والعقلية بظواهر الدنيا فقط، إلا أن نيل الحقيقة يمكن عن طريق السلوك والزهد فقط. وأما إدراك عدم اعتبار العلوم المستندة على العقل والحس ليس من ضمن صلاحيات العقل والحس إياهما، بل يتضح عن طريق «الكشف والشهود»؛ ومثلما ندرك أخطاء الحواس بالعقل وتُكشف عن طريق اليقظة أن الأحلام لا أساس لها، يمكننا أيضاً أن ندرك عجز العقل والفكر عن طريق معيار أعلى من المعيارين الحاكمين عليهما والمذكورين آنفاً، أي الكشف والشهود.

وفي الفصل الرابع يبحث الملا صدرا أسباب نيل معرفة الآفاق والأنفس،

(١) الشامل، الجبرني، طبعة طهران، ص ١٥.

كما أنه يطرح في هذا الفصل موضوع «الكونية الجامعة» للإنسان، وعلى هذا الأساس يشرح موضوعين:

أولهما، أنه لا يمكن معرفة العالم إلا بمعرفة الإنسان؛ والآخر أن معرفة الإنسان بظواهر عالم الخارج ممكنة عن طريق معرفة نماذج هذه الظواهر في ذاتها فقط.

وقد أوضح صدر الدين الشيرازي الموضوع الأول بتطبيق العالم الصغير والكبير، وهو ليس بشيء جديد. كما أنه يبرر الموضوع الثاني على أساس الموضوع الأول ومع أنه ليس خطأ، إلا أنه ليس عميقاً ولا أصولياً. وعلى سبيل المثال وعلى أساس أسلوب المشائين، أي مجهول يمكننا أن نجعله معلوماً بتشبيه القلب بالشمس أو العقل بالله؟ لذلك سيكون للمبحث كله استدلال خطابي ضعيف وليس برهاناً مؤكداً. وقد تكلم الملاً صدرا في هذه الرسالة حول هذا الأمر بشكل مفصل وقام بتطبيق مباحثه بالآيات القرآنية.

ولكن على الأساس العرفاني يمكن لجامعة الإنسان أن تكون أساس معرفة الكائنات؛ وقد ذكر الملاً صدرا هذا الأمر في نهاية هذا الفصل بهذا الشرح - كاستنتاج للبحوث - أن جميع حقائق العالم بالقوة في الإنسان، وحين تصبح فعلية بسبب جهود الإنسان سيكون وجود الإنسان جامعاً ومحيطاً لجميع حقائق الوجود. كما أن المبحث القائل باتحاد الإنسان مع الحقائق الأخرى من أجل كسب المعرفة، لا أساس له من وجهة نظر المشائين بل هو خلاف العقل والمنطق.

ومثلما طرح ابن سينا هذا الموضوع في مبحث العقل والمعقول بشكل صريح، يقدم البراهين على نفي أي اتحاد بين شيئين^(١)؛ ولما لا يكون هناك أي اتحاد، أي نفع سيعود بامتلاك مشابه ونظير ظواهر عالم الخارج في الدائرة الوجودية للإنسان، لحصول المعرفة؟

(١) النجاة، الإلهيات، المقالة الأولى، الفصل ١٦، الهيات الشفا، طباعة مصر، ص ١٧٦
الإشارات والتنبيهات، النمط ٧، الفصل ٧ - ١١.

باعتقادي أنّ الفلاسفة المسلمين بعد ابن سينا، وخاصةً الملاً صدرا وأتباعه، أخطأوا في الخلط بين المباني المشائية والعرفانية لتبيين بعض المسائل، ووقعوا في الشبهة؛ ومن ضمنها في حالة اتحاد العاقل والمعقول، حيث إنه وعلى أساس المباني العرفانية تحصل المعرفة الشهودية عن طريق فناء العالم في المعلوم والعاقل في المعقول والاتحاد بين هذين فقط. في حين أنّه من وجهة نظر المشائين الطريق الوحيد لتحصيل المعرفة هو امتلاك صورة مساوية لظاهرة خارجية في الذهن؛ ولكن بعد ابن سينا جاء المتكلمون وقاموا بحل وفصل موضوع اتحاد العاقل والمعقول، وهو مسألة عرفانية وأفلاطونية جديدة، عن طريق الأصول المشائية، وتصوروا أنهم أبدعوا في ذلك. في حين أنهم ساروا في الطريق الخطأ، وعملهم الوحيد كان الجدل والنقاش الذهنيين فقط.

وكما قلنا في المقدمة فإن أحد الإشكالات هو الأسلوب التركيبي حيث لا تكون المسائل في أي من مجالي الفلسفة والعرفان نقية بتاتاً؛ وعلى سبيل المثال، لنأخذ موضوع اتحاد العاقل والمعقول هذا بعين الاعتبار، حيث نعلم جيداً أنّ هذه الرسالة لها ميول عرفانية، إلّا أن موضوع اتحاد العاقل والمعقول لم يطرح بشكل نقي. إنّ الصورة العرفانية النقية للموضوع هي أنّ الإنسان بصفته الكون الجامع، اجتاز مراتب القوس الصعودي بسبب سلوكه، واخترق التعينات واحدة تلو الأخرى، ويعبوره من كل تعين بات يمتلك الإطلاق والكلية ليتحد بمرتبة لاثقة بتعيينه الجديد؛ وبذلك المرتبة من الوجود يمكنه كسب معرفة شهودية، وبما أن درجة المعرفة كالخواص والأوصاف الأخرى لها علاقة مباشرة بالدرجة الوجودية للإنسان، فهي متشككة كالوجود نفسه. إنّ السالك يحقق الجامعة الذاتية لوجوده بشكل تدريجي، ويتخطيمه كل الحدود والقيود والتعينات يصل في النهاية إلى مرتبة الإطلاق والكلية ويتحد بحقيقة الوجود الواحدة ويفنى فيها ويبقى معها، ويصبح كالمعرفة الشهودية بكلية الوجود كلها تماماً.

ولكن بيان الملاً صدرا لا يجري على هذا المنوال إذ أنّه يقول: إنّ الإنسان بمنح جامعته بالقوة، بالعناية الإلهية إلى هذا النوع من الفعلية ليخلق جميع حقائق العالم في عالمه الداخلي. من الواضح أن وجهة النظر هذه مشائية

بالكامل؛ أي يكون لدينا إدراك جامع للعالم يعادله. بمعنى آخر أنه التعبير المعروف الذي يتحول الإنسان فيه إلى عالم ذهني مطابق ومعادل للعالم العيني تماماً؛ أي على سبيل المثال، أن تكون لدينا صورة عقلانية صحيحة للحصان تعادل الحصان الموجود في العالم تماماً. وفي هذه الحالة في مجال ذهننا هناك إدراك الحصان ولكن لا يمكن القول أبداً بأننا حصان أو أصبحنا حصاناً! وهذا التحليل يختلف كثيراً مع ذلك الادعاء العرفاني.

وعلى هذا المنوال يتم تحليل اتحاد العقل والمعقول الخاص بالعرفاء، بالأصول المشائية؛ ولكن في الحقيقة هذا شيء وذلك شيء آخر. كما أن هناك تحليلاً معروفاً آخر لاتحاد العاقل والمعقول توصل إليه الفلاسفة المسلمون ما بعد ابن سينا وعدّوا ذلك من مفاخرهم؛ وكما سنشرح فيما بعد فهذا التحليل محل إشكال أصلاً.

ثم يقدم صدر المتألهين موضوعاً آخر، وهو أن غاية وقبلة جميع موجودات العالم هما الإنسان، وأن قبلة وغاية الإنسان هو الله. وهذا الموضوع هو موضوع عرفاني محض حيث إنّ الإنسان الكامل في قوس الصعود والنزول، مبدأ العالم وغايته؛ فمن جهة هو مبدأ الفيض ورب العالم، ومن جهة أخرى البوابة الوحيدة لانتقال ووصول العالميين إلى حضرة الحق، على أساس الجامعة الوجودية والاستقرار على رأس هرم الوجود.

الجزء الثالث

وهذا الجزء هو حول «البدايات»؛ وليس هناك انسجام منطقي لازم لمواضيع هذا الباب، ويبدو أن لديه ميولاً لتعاليم العرفاء. يبحث في البداية أقسام التقدم والتأخر في سطح متعارف؛ ومن الملفت أنه ينتقل بعد التحليل، من التقدم الزماني والمكاني إلى الزمان والمكان - عاملي الكثرة والتجزئة - وغيبة أجزاء الزمان والزمانيات والمكان والمكانيات عن البعض، ويستنتج بأن المعرفة الصحيحة هي أن تكون فوق الزمان والمكان، وأن تكون لها حالة التجرد اصطلاحاً وأن تكون دافعة ومنهدة. ثم يقوم ببحث معية الحق غير القابلة للتجزئة

وبعد ذلك يعتبر الإنسان معياراً لمعرفة المعرفة الإلهية ويرى أساس المعرفة البشرية في الشمول بالقوة لوجود الإنسان على حقائق العالم.

وفي الفصل الرابع يبحث البداية الوجودية ونهايتها وتقدمها، ثم يطرح تقدّم الحق على العالم وموضوع حدوث العالم بشكل مختصر.

وفي الفصل الخامس أيضاً يقدّم مواضيع في عناصر ومبادئ جسم وروح الإنسان حيث غالباً لها دلالة تمثيلية ودعوى عرفانية، ويبحثها في هذا الفصل تحت عنوان «الوارد الكشفي» لأسباب الهداية والضلالة، وبعد ذلك يطرح غاية وجود الإنسان نسبةً إلى الخلق مقابل وجهة نظر أهل العرفان.

وفي الفصل العاشر، أي الفصل الأخير لهذا الباب، يقوم بجمع المواضيع ويقول: هناك درجات ومراتب لمبدأ ومعاد الإنسان، فلإنسان وجهان: الجسماني المتغير والروحاني الثابت؛ إذ يبدأ الجانب الجسماني من الهولي ويصل إلى الجسم الإنساني ومن الناحية الروحانية أيضاً تبدأ النفس من مرحلتها الضعيفة جداً - حيث تستقر بعنوان «الطبيعة» في جسم بسيط - ثم تمتزج، وبعد ذلك تصل إلى مرحلة النفس النامية والحيوانية والإنسانية في حدود بلوغ الإنسان، وبعد ذلك لديه مبحث حول ارتباط الروح والجسم، وأنّ تركيبهما اتحادي وهما ليسا حقيقتين منفصلتين عن بعضهما؛ وأنّ اختلافهما يكمن في النقص والكمال والقوة والفعل فقط. ولكن في النهاية يصلان في سيرهما التكاملي إلى مرحلة تزول فيها الثنائية ويصبح الجسم كالنفس، والنفس كالجسم...

ومن الجدير ذكره أنّ طرح الجسم والروح بصفتهما متلازمين ومتحدّين مع بعضهما حيث اجتاز أي منهما مراحل التكاملية الخاصة ويصلان في النهاية إلى الوحدة المطلقة، لا يتفق مع مبادئ الملاً صدرا ولا مع مبادئ المشائين ولا مع مبادئ العرفاء. لأن:

- من وجهة نظر المشائين، إنّ مراحل تكامل الجسم مقدّمة على إفاضة النفس الناطقة، وهي بمثابة المادة نسبةً إلى الصورة.

- ومن وجهة نظر العرفاء أيضاً، في القوس الصعودي للوجود، الروح هي

بعد الجسم وكلاهما مظهران لتلك اللطيفة الربانية التي هي باطن كل البواطن وروح جميع الأجسام والأرواح.

- ومن وجهة نظر مبادئ الملاء صدرنا نفسه أيضاً، يتحول الجسم في مرحلة من التكامل إلى روح أمام الحركة الجوهرية.

ويشرح الملا صدرنا وحدة الجسم والروح بهذا القول إنَّ الروح من ناحية القوة تصبح كالجسم تماماً، ويصبح الجسم من ناحية الصفاء كالروح تماماً. على كل حال، فهو لم يشرح بنية هذا الكلام ولا أساسه ويبدو أنه كان في أجواء معاده الجسماني المطروح من قبله هو نفسه.

وفي نهاية هذا الفصل يقول إنَّ الإنسان بعد تكامله في العلم والعمل والتجربة يصل إلى مرحلة «العقل المستفاد»، ويتحد مع جميع الموجودات، لأنه أصبح العقل بالفعل، والعقل بالفعل يشمل جميع المراتب.

وإذا كان قصدنا هنا البنية العرفانية، فإنَّ إصطلاح العقل المستفاد والعقل بالفعل ليس مناسباً، وإذا عملنا بأسلوب المشائين ففي تلك الحالة لن يشمل العقل بالفعل جميع موجودات ما دونه، بل إنه يحتوي على تعقل صحيح منها - وبصورة كلية - فقط.

الجزء الرابع

إنَّ الجزء الأخير من الكتاب هو حول «النهايات»، ويبدأ الملا صدرنا هذا الباب بهذه العبارة: إنَّ معرفة النهاية مرتبطة بمعرفة المبدأ لأنَّ غاية أي شيء ليست إلّا مبدؤه. ثم يقول إنَّ المبدأ والغاية مهما كانا أعلى من الوقوع تحت الكون، فهما أقرب إلى الوحدة والجمعية، ومهما كانا أسفل من الوقوع تحت الكون، فهما أقرب إلى التفرقة والكثرة.

إنَّ قضية «الوقوع تحت الكون» أو حتى «الوقوع فوق الكون» غير مفهومة بالنسبة لي، فمثل هذا التعبير لم يورد في مصطلحات أهل العرفان ولا حتى في كتابات الملا صدرنا سابقاً، لأنَّ جميعهم اعتبروا الوجود والكون بمعنى واحد

ومرادفين لبعضهما الآخر. إلا أنه يمكننا القول إنه في بعض النصوص القديمة عُدَّ الكون، في مقابل الوجود، وخاصاً بعالم الإمكان، واستخدموه في حالة الممكنات فقط. وبناءً على هذا المصطلح فإن معنى كلام صدر المتألهين هو أنه مهما ابتعدت حقيقة الوجود عن عالم التعيينات والمظاهر فهي تقترب من الوحدة، ومهما اقتربت من هذا العالم فهي تبتعد عن الوحدة. على كل حال، وحسب معرفتي فإن الملا صدرا لم يستخدم هذا المصطلح في كتبه الأخرى.

الموضوع الآخر الذي يبحثه الملا صدرا في هذا القسم هو أن أساس العلم الكلي والميتافيزيقا هو المبدأ والغاية، أي لو كانت براهين المسائل على أساس العلل البعيدة والمفارقة أي العلّة الفاعلية والغائية، فإن علمنا هو علم كلي، وفي غير هذه الحالة - أي لو كان أساس البراهين هو العلل القريبة أي المادة والصورة - فإن علمنا هو علم جزئي.

ومن أجل التفريق بين العلم باصطلاحه الجديد والفلسفة، تُعد هذه القاعدة مهمة جداً ويجب التأمل والدراسة فيها، فالعلّة الفاعلية لها أهمية قصوى في استدلالات الميتافيزيقا. وباعتقادي فإن العمل الأدق الذي قام به ابن سينا في جزء ما بعد الطبيعة من كتابه الإشارات والتنبيهات، هو أنه طرح هذه المسألة بعنوان مقدمة مباحث الميتافيزيقا، بهذا الشرح:

أولاً، إن الوجود ليس منحصراً في المحسوس، وبعبارة أخرى أن الوجودية لا تكون في مقابل المحسوسة دائماً^(١)، أي إنه يمكننا أن نؤمن بالحقائق غير المحسوسة. وهذا الإيمان هو بمثابة رفض معيار مطلقة الحس إزاء المعرفة البشرية.

ومع أن ابن سينا لم يشر إلى أهمية هذه الضرورة، ولكن تعود ضرورتها إلى أنها لو اعتبرنا الحس بوصفه القاعدة المطمئنة الوحيدة للمعرفة البشرية، فإننا سوف نفقد أساس الكثير من القضايا الفلسفية. وعلى سبيل المثال، فإنه لم يعد

(١) الإشارات، النمط ٤، الفصل ٤ - ١.

بإمكاننا أبدأ أن نثبت العلّة بمعنى الفاعلية، وخاصةً بمعنى العلّة الفاعلية، وثانياً، إنّ العلّة الفاعلية للفلسفة والإلهية للكلمة هي حقيقية، وأنّ العلل المادية والصورية نفسها بحاجة إلى العلّة الفاعلية إياها^(١). ويلخص استنتاج هذه المسألة - مع أن ابن سينا لم يشر إلى هذه النتيجة أيضاً - في أنّه إذا لم يكن بإمكاننا قبول العلّة الفاعلية، فإننا لا يمكننا أبدأ أن نفعل شيئاً في ما يتعلق بإثبات المبدأ أو المعاد.

ومع هذه الملاحظة يتضح دور العلّة الفاعلية في الميتافيزيقا، ولكن مع هذا يمكن دراسة رأي الملاً صدرا ونقده وتقييمه لنعلم بأنه هل يمكن اعتبار معيار الفراق ومزية العلم والفلسفة كاستناد لتلك البراهين بالعلل القريبة أو البعيدة أم لا؟

وفي النهاية يدخل الملاً صدرا في مبحث آخر وهو أنّ الإنسان بتحصيله العلم الكلّي والإلهي أي العلم بالمبدأ والغاية يصل إلى مرتبة الملائكة؛ لأن مرتبة العالم بكل شيء هي مرتبة الشيء ذاته التي تكون واضحة له.

ومن هنا يدخل مبحث «اتحاد العاقل والمعقول»، ثم يذكر بأن:

(١) اكتشف فرفوربوس هذه المسألة لأول مرة وقام ببحثها.

(٢) يعد فرفوربوس أكبر تلميذ للفيلسوف الأعظم أي أرسطو.

(٣) عند الكشف والبرهان، اتخذ الكثير من العلماء المسلمين القدماء الرأي نفسه الذي كان فرفوربوس قد طرحه.

(٤) وبعد إنكاره اتحاد العاقل والمعقول في بعض كتبه، عاد ابن سينا ليقبل هذا الرأي مجدداً.

(٥) في عصرنا هذا (أي القرنين العاشر والحادي عشر) لم ينتبه أحد إلى هذا الأمر غير شخص واحد خصّه الله بهذه النعمة.

وهنا وقبل كل شيء سنبحث اتحاد العاقل والمعقول، كما وعدنا سابقاً،

(١) المرجع نفسه، الفصل ٨ - ٥.

بشكل مختصر؛ ثم نقوم بدراسة هذه المواضيع الخمسة بشكلٍ سريع.

وأي شخص يدرس المسائل بدقة سيتضح له أنه في تاريخ الفلسفة حدثت أخطاء بسبب الخلط والمزج بين المباني المشائية والإشراقية، وأن هذه الأخطاء مستمرة حتى الآن في بعض المجتمعات الفكرية. ومن أبرز حالات الخطأ على أساس خلط المباني المشائية والإشراقية هي مسألة الوجود الخارجي الكلّي، وكذلك اتحاد العاقل والمعقول.

أ. (الوجود الخارجي الكلّي)

منذ القدم بدأ جدال ونقاش حاد بين فلاسفة الشرق والغرب حول هذه المسألة بأنه هل الكلّي له وجود خارجي أم لا؟ وقد استمر هذا النقاش حتى العصر الحاضر. ولتوضيح هذه المسألة يجب أولاً أن نعرف أن الكلّيّة هي مفهوم تصدق على أشخاص كثيرين؛ مثل مفهوم الإنسان أو الحيوان الذي يصدق على أشخاص ومصاديق متعددة. وعادةً ما يطرح مبحث الكلّيات في المباحث المقدماتية للمنطق، ويقوم أهل المنطق بتعريف الكلّيات وتقسيمها حتى يستخدموها في مبحث «المعرف» (الحّد والرسم)^(١).

ولكن هل للكلّيّة وجود خارجي أم لا، فليس هناك أي علاقة لهذا الأمر بالمنطق، وحتى لو كانت إجابة هذا السؤال إيجابية أم سلبية فليس لها أي دور في تنظيم «المعرف» (الحّد والرسم). إنّ مسألة الوجود الكلّي في الخارج هي مسألة فلسفية محضة، وليست مسألة منطقية؛ لذلك فإن طرح هذه المسألة في المنطق ليس منطقياً أصلاً ولن يكون!

على كل حال، فإن أساس ظهور هذه المسألة، أي مبحث الوجود الخارجي الكلّي، إشارة فرفوربوس القصيرة في بداية كتاب «الإيساغوجي»، حيث يقول فيها:

(١) الشفاء، قسم المنطق؛ الإشارات، قسم المنطق؛ ومنظومة الحاج الملا هادي السبزواري، فصل المنطق.

لن أدخل في هذا المبحث مطلقاً بأن هل للأجناس والأنواع وجود خارجي أم أن هذا مجرد تصورات الذهن، ولو كان لها وجوداً خارجياً فهل سيكون جسمانياً أم غير جسماني، وإن كان غير جسماني فهل هو مفارق عن المحسوسات أم أن وجوده ليس إلا في المحسوسات. وهذه المباحث دقيقة جداً وتحتاج إلى مناقشات طويلة من نوع آخر لا تتسع في هذه الرسالة^(١).

وقد سببت هذه التصريحات القصيرة الكثير من المباحث الطويلة والممتدة في الغرب؛ كما أنها كانت ولا تزال مثيرة للجدل بين الفلاسفة المسلمين، ليس بقدر الفلاسفة الغربيين ولكن إلى حد كبير.

ويعد مبحث الكلّيات شاملاً ومثيراً للجدل بحيث اعتبر مؤرخو الفلسفة، فلسفة القرون الوسطى كلها محاولة لإيجاد حل لموضوع الكلّيات^(٢). وقد حاول البعض في الغرب من ضمنهم أنسلم^(٣) (فيلسوف وأسقف كانتربيري في القرن الحادي عشر للميلاد) أن يقدموا نوعاً من الوجود الخارجي للكلّيات في مستوى المثل الأفلاطونية. ويعتبر البعض الآخر، من بينهم روسلان^(٤) أنّ الكلّيات لا شيء غير اللفظ والصوت. وقد مدّت جماعة أخرى مثل بيار أبيلار^(٥) جسراً بين

(١) فرفوربوس، الإيساغوجي، الفصل ١، المقطع ٣، ترجمها للعربية ابن عثمان الدمشقي، المنطق لأرسطو، طباعة الدكتور عبد الرحمن البدوي، بيروت ١٩٨٠، ج ٣، ص ١٠٥٨ - ١٠٥٧، الترجمة فيها اختلاف بسيط مع المبحث الأصلي ولكن بما أنّ الترجمة كانت قبل النص في تناول يد الفلاسفة المسلمين، لذلك يجب أن لا تغفل عن هذا الأمر.

(٢) نقد الفكر الفلسفي للغرب، اتين جيلسون، ترجمة الدكتور أحمد أحمد، ص ١٩.

(٣) بعد أنسلم من أوائل السكولائيين المدرسين. وكان له تأثيراً بالغاً على اللاهوت الغربي، حيث كان يعتقد أن الإيمان يجب أن يسبق المعرفة، فيجب أن تؤمن لتعرف، ومع ذلك يمكن للإيمان أن يبنى على المعرفة.

(٤) روسلان - روسيلبونوس (١٠٥٠ - ١١٢٥م): فيلسوف سكولائي فرنسي. مؤسس الفلسفة الاسمانية التي تقول بأن المفاهيم المجردة، أو الكلّيات، ليس لها وجود حقيقي وأنها لا تعدو أن تكون مجرد أسماء.

(٥) أبيلار (١٠٧٩ - ١١٤٢م): فيلسوف ولاهوتي فرنسي ومن كبار الجدليين في القرن الثاني عشر. أعلى من شأن العقل. وكانت مشكلة الكلّيات هي الموضوع الفلسفي الرئيسي لعصره.

هذين الرأيين قائلة إنَّ الكلِّيات لا تملك الوجود الخارجي وهي ليست مجرد ألفاظ بل هي تصورات ذهنية؛ بهذا المعنى أنها تملك وجوداً ذهنياً منطقياً، ولكنها تفتقد إلى الوجود الخارجي. وفي الفلسفة الإسلامية أيضاً تمت الإشارة إلى هذا الموضوع قبل ابن سينا وذلك من قبل أبي نصر الفارابي، وقد كتب تلميذه يحيى بن عدي^(١) (الوفاة ٣٦٤ هـ)، رسالة مستقلة حول هذا الأمور قبل سنوات من ولادة ابن سينا. وقد خصَّ ابن سينا في مدخل منطق الشفاء أيضاً، أحد فصوله الطويلة لهذا المبحث، وطرحه في جزء الإلهيات؛ كما أنه بحث هذا

= أويلار، ذلك أنها من جهة، احتلت مكانة رفيعة في النصوص التقليدية السائدة في ذلك الوقت، وكانت نتائجها من جهة أخرى ذات تأثير بالغ على عقيدة الطبيعة الواحدة والأقانيم الثلاثة في الله. وكان السؤال: هل للأنواع والأجناس وجود موضوعي وواقعي خارج الذهن أو أنها مجرد تعميمات ذهنية مشتقة من الجزئيات والأفراد التي هي وحدها الأشياء الموجودة وجوداً فعلياً؟

وكان لأويلار دور أساسي في النزاع حول هذه المشكلة، وكان موقفه، بصورة عامة، معارضاً للمذهب الواقعي بشكله المتطرف، وللمذهب الاسمي بصورته الفجة والبسيطة. فالمذهب الواقعي المتطرف والممثل بغيوم دي شامبو، يقول بأن الطبيعة الواقعية العامة حاضرة كلياً في كل عضو من أعضاء النوع، وأن الأفراد يختلف الواحد منها عن الآخر بأعراضها لا بجواهرها. في حين إن المذهب الاسمي الممثل بروسلان يرى بأن الأفراد هم وحدهم الموجودون، أما الكلِّيات فما هي إلا أسماء أو مسميات صوتية. ولا يمكن التأكيد فيما إذا كانت وجهتا نظر كل من روسلان وشامبو هي بمثل هذه البساطة، لكن أويلار رفض وجهة النظر التي تقول بأن اثنين من الرجال على سبيل المثال، يمكن أن يمثلوا جوهرأ واحداً. في حين أوضح غيوم دي شامبو أنه يرى في هذا المثال أن الرجلين هما الشيء ذاته ليس من حيث الجوهر، بل بعدم التعيين. فبطرس وبولس هما الشيء ذاته من جهة كون كل منهما إنساناً لأن صفات الإنسان أنه عاقل وفان. لكن إنسانية كل منهما ليست الشيء ذاته بل هي متشابهة، لأنهما رجلان. ولم يجد أويلار صعوبة في دحض المحاولة التي تؤكد أن الكلِّيات واقعية وأنها موجودة في المجموع المتعدد للجزئيات، أو الأفراد، وأن كل الناس هم النوع الذي هو الإنسان. ويصدد هذه المحاولة بشير أويلار إلى أن هذه الكلِّيات ليست هي موضوع المناقشة لأن الكلِّيات بالتعريف ما يمكن أن يحمل على كثير. فالذي عارضه أويلار بالفعل في حال الواقعيين المتطرفين كان عاداتهم في التفلسف، وافترضهم بأن الأشياء يمكن أن تحمل على الأشياء أو أن النظامين المنطقي والواقعي هما متطابقان.

(١) تاريخ الحكماء، الففطي ص ٤٩٥.

الموضوع في آثاره الأخرى. وبعد ابن سينا أصبح هذا المبحث أحد مباحث المنطق واستمر الأمر حتى الآن.

منشأ الخطأ: وهنا يجب أن نرى ما هو منشأ خطأ كل هذا الجدل والنقاش؛ باعتقادي أن هذا البحث والجدال ليس لهما أي سبب آخر غير الخلط والخطأ، وهنا نفسّر الأمر:

لإيضاح الموضوع علينا أن نعلم أنه من وجهة نظر الفلاسفة المشائين، حيث أساس عملهم العقل والاستدلال العقلاني، الشيء الذي يملك وجوداً خارجياً هو الجزئيات. ولكن الكلّيات من دون الجزئيات هي حقائق مبهمة لا تمتلك أي عينية ولا تشخص. سواء اعتبرنا الكلّي بصفة الجنس أو بصفة النوع، فعلى كل حال الجنس من دون الأنواع، والنوع من دون الأشخاص ليس له أي عينية ولا تحقق خارجي. وعلى هذا الأساس من الطبيعي جداً أن يعتبر متفكر مشائي الوجود الكلّي ذهنياً، ولا يذكر له أي تحقق مستقل خارجي وعيني، ومع دقة أكثر يستنتج حتى أنّ الكلّي بمعناه الحقيقي، يعني المعنى والمفهوم العام والقابل للصدق على الكثير، لا وجود له حتى في الذهن. لأنّ ما نتصوره في الذهن بصفة الكلّي، هو حقيقة عينية وشخصية إياهما ويكتسب العنوان الكلّي فقط باعتبار الملاحظة والمقارنة بأشخاص الخارج^(١).

وعطفاً على هذه الحقيقة الواضحة يقول الفلاسفة المسلمون إنّ الكلّي هو أمر ذهني ولكن في الوقت نفسه يمكن الإيمان بوجوده الخارجي بنحو ما. بهذا المعنى لو اعتبرنا الكلّي بعنوان «الطبيعة» و«الماهية»، فإن هاتين «الطبيعية والماهية» سيكون لهما تحقق خارجي ضمن الأفراد. ولهذا السبب قال هؤلاء إنّ لا وجود للكلّي العقلي والمنطقي في الخارج، إلّا أنّ الكلّي بمعنى الكلّي الطبيعي (الطبيعة والماهية) يكون له وجود خارجي ضمن الأفراد.

وهذا كان رأي الفلاسفة المسلمين حول الوجود الخارجي للكلّي، والآن

(١) الشفاء، الإلهيات، المقالة الخامسة، الفصل الثاني، والمقالة الثانية، الفصل ١٢، والأسفار الأربعة، الملا صدرا الشيرازي، ج ٢، ص ٦٨.

لنرى ما هو رأي أهل العرفان والإشراقيين والأفلاطونيين الجدد حول هذا الأمر؛ فمن وجهة نظر هؤلاء إنّ الكلّي ليس مفهوماً قابلاً للصدق على الكثير بل إنّ وجود حقيقة عينية وخارجية عامة وشاملة وسارية في جميع المراتب والأفراد؛ كالعقل الكلّي أو النفس الكلّي أو الصورة الكلّي ومن هذا القبيل.

من وجهة نظر هؤلاء الكلّي هو حقيقة عينية وشخصية^(١)، والعقل الكلّي أو النفس الكلّي، في تعاليم الأفلاطونيين الجدد والعرفاء المسلمين، ليس مفهوماً بل حقيقة أصيلة وعينية حيث يعد جميع الجزئيات والأفراد، ظهوراتها وتجلياتها وتقيدها. وبناءً على وجهة النظر هذه وخلافاً للفلاسفة المشائين يتعلق التحقق الواقعي والأصيل بالوجود الكلّي، وأنّ الجزئيات والأشخاص تُعدّ أموراً اعتبارية ووهمية مقارنة إلى الكلّي^(٢).

لذلك من المنطقي جداً أنّ أشخاصاً مثل «فرفوروس» الذين رغبوا بتعاليم أعمال أرسطو وشرحها، ضمن ميلهم لتعاليم أفلوطين والأفلاطونيين الجدد بشدّة، وقعوا في الخطأ والخلط للمباحث.

باعترادي أن عدم الوصول إلى الاستنتاج الصحيح لهذه المحاولات في الشرق والغرب هو بسبب خلط البنية هذه. كما طرحت هذه المسألة في نطاق الفكر الإسلامي، منذ فترة قبل ابن سينا وحتى الآن؛ والحل الوحيد لهذه المشكلة هو أنّ الكلّي لا وجود له في الخارج، وما هو موجود في الخارج هو طبيعة الظواهر، وبما أن هذه الطبيعة متحدّة ومتساوية في أفراد نوع واحد يمكن تسميتها بالكلّي (الكلّي الطبيعي).

من الواضح أنّ طرح وحل المسألة إن كانا على هذا المنوال، فيجب إعطاء الحق لمير سيد شريف الجرجاني^(٣) (المتوفى عام ٨٦١ هـ) الذي اعتبر هذا

(١) الكلّي بمعنى الحقيقة المعنوية والسارية في الحقائق الأخرى، طُرحت في جميع النصوص القديمة والجديدة للعرفان والأفلاطونية الجديدة.

(٢) السير التكاملي وأصول ومسائل العرفان والتصوف، ص ٢٨٩ إلى ٢٩٢.

(٣) الشريف الجرجاني (٧٤٠ - ٨١٦ هـ / ١٣٣٩ - ١٤١٣ م). يعد من أهم العلماء الذين تأثروا

المبحث مبحثاً لفظياً صرفاً، حيث قال: إن اعتبرنا الطبيعة موجوداً خارجياً وعينياً، وفي الوقت نفسه نتصورها أمراً مشتركاً بين الأفراد فإن شيئاً كهذا غير ممكن؛ لأن التعيين والوحدة الشخصية لا ينسجمان مع الاشتراك والتحقق بالأوصاف المتضادة. وإذا اعتبرنا أن الطبيعة الخارجية في حال التصرف والتجريد العقلي، تملك الصفة الكلية في الذهن فقط، فهذا الرأي هو تماماً وجهة النظر هذه القائلة بأن: «ما هو موجود في الخارج هو الأشخاص وأن الكليات تنتزع منهم». لذلك فإن مبحثنا سيكون مبحثاً لفظياً فقط.

وقد حاول المحقق اللاهيجي (المتوفى عام ١٠٧٢ هـ) أن يعرف هذا النزاع بتبرير معنوي^(١)، إلا أن القضية لا تختلف كثيراً.

كما أن محاولة الأستاذ محمد تقي مصباح اليزدي لإرجاع هذه المسألة إلى مبحث أصالة الوجود وأصالة الماهية لا تحل المشكلة أيضاً؛ أي أنه بناء على القول بأصالة الماهية، يمكن اعتبار الكلي موجوداً خارجياً. ولكن بناء على

= بهم في علم الفلك الجفميني وقطب الدين الشيرازي والطوسي، وقد تناول رسائل هؤلاء العلماء بالشرح والتبسيط لإيمانه بأهمية هذه الرسائل ووجوب تداولها بين طلاب العلم. قدمه التفتازاني للشاه شجاع بن محمد بن مظفر فانتدبه للتدريس في شيراز عام ٧٧٩ هـ، وقد عاش معظم حياته في شيراز، وعندما استولى تيمور لنگ على شيراز عام ٧٨٩ هـ انتقل الجرجاني إلى سمرقند وظل هناك حتى توفي تيمورلنگ عام ٨٠٧ هـ، فعاد إلى شيراز وتوفي بها. من المعروف أن للجرجاني أكثر من خمسين مؤلفاً في علم الهيئة والفلك والفلسفة والفقه ولعل أهم هذه الكتب: كتاب التعريفات وهو معجم يتضمن تحديد معاني المصطلحات المستخدمة في الفنون والعلوم حتى عصره، وهذا المعجم من أوائل المعاجم الاصطلاحية في التراث العربي، وقد حدد فيه الجرجاني معاني المصطلحات تبعاً لمستخدميها وتبعاً للعلوم والفنون التي تستخدم فيها، وجعل تلك المصطلحات مرتبة ترتيباً أبجدياً مستفيداً في ذلك من المعاجم اللغوية حتى يسهل التعامل معه لكافة طالبه، وهذا المعجم من المعاجم الهامة التي لا نستطيع الاستغناء عنها إلى الآن، وقد أشاد به المستشرقون كافة لأهميته الدلالية والتاريخية. ومن مؤلفاته الأخرى: رسالة في تقسيم العلوم، خطب العلوم، شرح كتاب الجفميني في علم الهيئة، شرح الملخص في الهيئة للجفميني، شرح التذكرة النصيرية وهي رسالة نصير الدين الطوسي، تحقيق الكليات.

(١) الشوارق، طباعة حبرية، ص ١٤٤ - ١٤٣.

أصالة الوجود فإن الكلّي الطبيعي، وهو الماهية إياها، وجوده سيكون بعرض الأفراد وليس بالذات^(١).

حل المشكلة: ما هذه المشكلة التي أخذت بتلايب فلاسفة الشرق والغرب، وما هذه الإثارة والضجة اللتان افتعلتهما، وإن لم يتم الاهتمام بها كثيراً سوف تنزل إلى مستوى مناقشة لفظية؟!

في الحقيقة تتلخص القضية الرئيسية في أنّ هذه المسألة ليست مسألة منطقية أصلاً، مثلما لم ير فرفوربوس بحثها لائقاً في قضية الإيساغوجي، كما أن الحاج الملا هادي السبزواري بعد نقله رأي ابن سينا يقول في رفضه لآرائه التي نقلها عن شخص سماه ابن سينا بالرجل الهمذاني: إنّ البحث عن الوجود الخارجي الكلّي لا يتعلق بالمنطق، إلّا أن قاموا بطرحها في المنطق من أجل التمييز بين أنواع الكلّي الثلاثة (المنطقي، العقلي والطبيعي) فقط^(٢). وربما لهذا السبب طرح ابن سينا هذه المسألة في منطق كتبه وفي إلهيات الشفاء والنجاة أيضاً؛ أي إنّ لم يدرك بعد بم تتعلق هذه المسألة.

ولكن في الحقيقة فإن هذا الجدل الموجود في الشرق والغرب قائم على خطأ وخلط في البنية؛ لذلك فقد استمر على هذا النحو العقيم وغير المنطقي. ويعود الخطأ إلى أنّ للكلّي في المدرستين المشائية والعرفانية استخدامين منفصلين.

إن مراد الفلاسفة من الكلّي هو ماهية انتزاعية ذهنية تحصل في الوجود الخارجي للأفراد عن طريق التجريد والانتزاع العقلي. لذلك فإن العينية والتحقيق الخارجي يرتبطان بالأفراد، وأنّه ما من وجود خارجي في الكلّي، إلّا إذا اعتبرنا الكلّي كالطبيعة والماهية وذلك عن طريق تأويل خاص (الكلّي الطبيعي). ولكن من وجهة نظر العرفاء والأفلاطونيين الجدد، فإن الكلّيّة هي بمعنى السعة والإحاطة وشمول المراتب العليا بالمراتب الدون. وبناءً على هذا الرأي فإن

(١) تعلية النهاية، ص ١١١.

(٢) شرح المنظومة، جزء المنطق، طباعة حجرية ص ٢٣.

الأصالة والتحقق الخارجي يتعلقان أولاً وبالذات بالكلية، وأن الأفراد والجزئيات هم تجلٍ وظهورات لتلك الكلية. ومهما انطلقنا من الكلية إلى الجزئية ومن الإطلاق إلى التقييم سيقبل حجم الواقعية والأصالة وستزداد الاعتبارية والانتزاعية... تقف وجهتا النظر هاتان في مقابل بعضهما الآخر تماماً وتنافي إحداهما الأخرى.

وبناءً على ذلك، فإنَّ حلَّ المشكلة يُلخص في مقارنة وجهة نظر أي مدرسة فلسفية مع أصول تلك المدرسة ومبانيها، أي لو اعتبرنا الكلي بمعناه الفلسفي (شيء ذهني وانتزاعي) يمكننا تحديد مصيره عن طريق البنية الفلسفية، وأن نحكم بشكل جازم وقاطع بأنه ما من وجود خارجي للكلّي^(١). ولكن لو اعتبرنا الكلّي بمعناه العرفاني والأفلاطوني الجديد وحتى الأفلاطوني نفسه، ففي هذه الحالة سيكون الكلّي حقيقة أصيلة وعينية وأن الجزئيات هي تجلياته وظهوراته. إنَّ الكلّي بهذا المعنى يرافق جميع الجزئيات، وسيكون في عين وحدته وتحققه الخارجي وتشخصه العيني، كجميع أفراد الخارج تماماً.

ولكن لم تُعد وجهة النظر هذه قابلة للتصور والتصديق مع العقل والفكر بل يمكن إدراكها وتقبّلها بالمباني الشهودية والعرفانية فقط.

وفي بيانٍ سبّب كل هذا النقاش يؤكد فرفوربوس نفسه على أنَّ الوجود الخارجي للكلّيات بحاجة إلى محاولة من نوع آخر! ومن دون شك فإن قصده هو الأسلوب غير البحثي إياه الذي يستند إلى السلوك والشهود.

ولا ريب فيه أن الشخص الذي ذكره ابن سينا باسم «الرجل الهمذاني»^(٢) باعتباره أول شخص طرح هذه المسألة بناءً على أساس وجهات نظر العرفاء

(١) مثلاً على هذا الأساس لا يمكن أن يتحقق شيء في وقت واحد مع أوصاف متضادة في أمكنة وموارد مختلفة.

(٢) لم يعرف هذه الشخص بشكل مؤكد. وقد احتمل السيد دانش بجوه بأن قصد ابن سينا هو أبو القاسم الكرمانلي الذي كان يعيش في عصره وهو على خلاف معه. ومن الأفضل مراجعة فهرست كتب السيد محمد مشكوة المهداة إلى جامعة طهران ج ٣، ص ٥٤ - ٤٧.

والأفلاطونيين الجُدد؛ حيث يقول ابن سينا في تعريفه: «لقد وجدتُ رجلاً بوجهات نظر غريبة وغير معروفة... ومنطقه منطوق من نوع آخر... ولكن إلهياته هي بأسلوبٍ يناسب العقائد الصوفية، وغريبة»^(١). ومن الجدير ذكره أنّ تقرير ابن سينا عن وجهة نظره حول الكلّي يبدو ملفتاً جداً ما جعله يقول:

«هناك إنسانية واحدة لنوع الإنسان، تتفق مع عوارض جميع الأفراد، إلّا أنها ثابتة. ويموت زيد تزول العوارض المتعلقة بزيد فقط، ولكن عين تلك الإنسانية تبقى وتزول مقارنتها بهذه الأعراض فقط. إنّ الإنسانية الموجودة في زيد ليست من ضمن الإنسانية الموجودة في عمرو، ومع أنّها تختلف من ناحية المقارنة مع أي واحدة من هذه الأعراض، إلّا أنّها ذاتاً ليست أكثر من واحدة»^(٢).

ومع أن هذا التقرير في النهاية له نواقص عدّة، ولكن يحتمل أن تكون هذه النواقص بسبب البيان الناقص للرجل الهمداني أو بسبب دخل وتصرف ابن سينا. على كل حال، فإن هذا الرجل الذي طرح هذا الموضوع بإلهيات وفق أسلوب الصوفية، يجب التأمل بدقّة في آرائه لمعرفة قصده. وباعتقادي فإن قصده هو بالضبط ما جاء في أعمال أفلوطين والعرفاء المسلمين حول طبيعة الوجود والعقل الكلّي والنفس الكلّية، لا غير.

(ب) اتحاد العاقل والمعقول

وكالقضية السابقة أبتليت هذه القضية بالخلط في البنية أيضاً، ولكن في الفلسفة الإسلامية فقط وليس في الفلسفة الغربية. وربما يكون أساس الخلط في القضية السابقة في تصريحات فرفوربوس التي كانت في متناول يد المسلمين والفلاسفة الغربيين، إلّا أن منشأ الخلط في القضية الثانية هو الترجمات العربية للنصوص الأفلاطونية الحديثة حيث كانوا يعتقدون بالغلط أنها تعود إلى أرسطو. ولم تكن هذه الترجمات تستخدم من قبل فلاسفة الغرب ليقعوا في هذا الخطأ.

(١) رسالة بعض الأفاضل إلى علماء مدينة السلام، رسائل ابن سينا، ص ٤٦٣.

(٢) المصدر نفسه، من ص ٤٦٤ إلى ما بعدها.

إن علاقة العاقل والمعقول، أي أداة التشخيص والمتعلق الخارجي للتشخيص، في مدرسة المشائين هي بحيث تختلف مع وجهة نظر الأفلاطونيين الجدد. ويعود هذا الاختلاف إلى سببين:

(١) من وجهة نظر المشائين أن المعرفة الأساسية والصحيحة الوحيدة للبشر بالحقائق الخارجية هي ما يكسبها عن طريق الحواس والعقل. على هذا النحو فإن حواسنا تواجه الظواهر الخارجية وتنقل صورة منها إلى ذهننا، ثم يقوم ذهننا بعد إدراكه وتجريده وتعميمه وتصنيفه ومقارنته وملاحظته لعلاقاتها عن طريق السير من المعلوم إلى المجهول، بفهم العالم ليصل إلى الرؤية الكونية. ومن وجهة نظر هؤلاء لا توجد طريقة أخرى لكسب المعرفة.

ولكن من وجهة نظر أهل العرفان والأفلاطونيين الجدد، فإن قوانا الإدراكية الظاهرية، أي الحواس والعقل والفكر، تتصل بظاهر العالم فقط وأن ظاهر العالم لا شيء غير السراب والتوهم في موج من الكثرة والتغيير. لذلك فإن المعرفة الرئيسية والحقيقة للبشر لا تحصل عن طريق هذا التلقي بمعية الكثرة والتغير؛ بل إن المعرفة الحقيقية هي أن الإنسان يتعرف على باطن العالم ببصيرته الباطنية، وفي تلك الجهة من الكثرة والتغير يصل إلى الحقيقة الوحيدة والثابتة والأزلية والأبدية.

بعبارة أخرى، إن العلوم والمعارف المعتبرة للبشر لوجهات نظر الفلاسفة تنحصر بالعلوم الناتجة عن العقل وحواس البشر؛ إلا أن أهل العرفان لا يثمنون هذه العلوم كثيراً بصفتها «العلوم الرسمية»، بل يعتقدون بأن المعرفة المعتبرة والشمينة وغير قابلة للشك للبشر هي غير ما ذكر آنفاً، وأن هذه المعرفة بصفتها «العلم الحقيقي» ليست نتيجة العقل والفكر بل هي نتيجة الكشف والشهود والبصيرة الباطنية.

والاختلاف الثاني هو أن الفلاسفة، غير الشكاكين منهم، يتقبلون قوة القوى الإدراكية الظاهرية والمعروفة للإنسان في إدراك وفهم العالم؛ إذ يرتبط الإنسان عن طريق تقارير الحواس بالعالم الخارجي ثم يقوم عن طريق قوة العقل والفكر

بتنظيم وتوسيع مجال معرفته وذلك عن طريق تجريد معلوماته وتعميمها وتصنيفها وإيجاد نسبتها وارتباطها فيما بينها وهو يؤمن بقوة قواه الإدراكية ويؤمن نتيجتها كتقريب صحيح عن الحقيقة.

ولكن أهل العرفان يرون حقيقة الوجود كشيء في ذلك الجانب من تلك المظاهر. إن الحقيقة هي الشمس المختفية في باطن ذرات هذه المظاهر لذلك فإن مظاهر العالم ليس لها أصالة كثيرة، وهي تبدو كالمظاهر الوهمية والخيالية أكثر، وأن قوانا الظاهرية الإدراكية يمكنها التواصل والوصول إلى هذه المظاهر فقط ولا يمكنها النفوذ إلى باطن العالم قط. إن المظاهر هي في مجال الزمان والمكان، وفكرنا هو معرفة هذا المجال. والزمان والمكان لازمتا مجال العلوم الرسمية، في حين أن الحقيقة هي في ذلك الجانب من الزمان والمكان.

لذلك ومن أجل الوصول إلى المعرفة لا يكون تعلقها بالمظاهر الوهمية والمظاهر الزمانية والمكانية بل الحقيقة الأزلية والأبدية للوجود، تُلزم بصيرة باطنية ونوع آخر من المعرفة. وقد أطلقوا على هذه المعرفة بـ«الشهود» و«الكشف»، والعلم الحقيقي في مواجهة العلوم الرسمية. ولا تحصل هذه المعرفة الشهودية والعلم الحقيقي عن طريق الحواس والعقل بل عن طريق الفناء؛ والفناء يمكن الوصول إليه بالسلوك والتأمل والزهد. والفناء هو تحطيم التعينات واجتياز الحدود والقيود والوصول إلى الإطلاق والكلية. وبما أن أي مرتبة من الوجود تشمل مرتبة من المعرفة والشهود، لذلك يستطيع الإنسان بصفته «الكون الجامع» أن يمتلك جميع مراتب الوجود عن طريق الفناء، أي باجتيازه حدود تلك المراتب وتعيناتها. وبالفناء في أي مرتبة وكذلك البقاء فيها يصبح كالمراتب عينها وبالتالي يكون قد حصل على معرفة شهودية لتلك المراتب.

وهذه هي القضية الأساسية لاختلاف الفلاسفة المشائين والأفلاطونيين الجدد وأهل العرفان. ونظراً إلى هذا التوضيح يبدو جلياً أنه لو طرح موضوع اتحاد العاقل والمعقول في نصوص الأفلاطونيين الجدد، ما سيكون معناه.

وإن كان العارف والمعرف والعالم والمعلوم يتحدثون في المعرفة الشهودية

فهذا يعد من الفباء العرفان أصلاً. وقد جاء هذا الأمر في تاريخ التصوف الإسلامي منذ بدايته كشيء بديهي على نحو أن جميع الأشخاص الذين أخطأوا في هذه القضية كانوا غالباً ما ينقلون تصريحات كبار أهل العرفان حول هذا الأمر؛ على سبيل المثال يقول أبي المعالي صدر الدين محمد بن إسحاق القنوي (الوفاة ٦٧٣ هـ) التلميذ الكبير لابن عربي وشارح تعاليمه وخليفته:

«اعلم نصاً ثميناً أن أعلى درجات العلم بالشيء، أي شيء كان وبالنسبة إلى أي عالم كان، وسواء كان المعلوم شيئاً واحداً، أو أشياء، إنما يحصل بالاتحاد بالمعلوم وعدم مغايرة العالم له لأن سبب الجهل بالشيء المانع من كمال إدراكه ليس غير غلبة حكم ما به يمتاز كل واحد منهما عن الآخر»^(١).

وقد طرح هذا الأمر في جميع النصوص العرفانية، من فتوحات ابن عربي إلى مثوي المولوي.

إذن، كن أنت القيامة حتى تراها فهذا هو شرط رؤية كل شيء ما لم تصبحه بنفسك فلن تعرفه كاملاً سواء كان ذلك الأنوار أو الظلام لو أصبحت عقلاً فسترى العقل كاملاً وإن أصبحت حُباً فسترى الحُب جمالاً»^(٢).

المباني العرفانية لهذا الرأي: خلاصة الكلام هو أنه بناءً على وجهات نظر أهل العرفان، فإن ظهور العالم ليس مبتنئاً على أساس العلوية والخلق الذي يقوله الفلاسفة بل هو على أساس الميل للظهور والتجلي. في العلوية والخلق تقوم العلة، بالواسطة أو من دون واسطة، بإيجاد ظواهر أخرى لها هويات ووجودات مستقلة ومنفصلة؛ وبما أن العلة والمعلول هما هويتان منفصلتان لذلك فإن علم العلة بالمعلول أيضاً سيكون من نوع العلم الحسولي، كما قال ابن سينا. ومع أن الملاء صدرًا وفلاسفة آخرين اعترضوا على وجهة نظر ابن سينا ولكن لو عملنا بأسلوب المشائين فلن تكون النتيجة تخالف رأيه. وإذا كان البعض تقبل وجهة نظر أخرى فإنهم قد توسلوا ببنية أخرى وليس لأن فكر ابن سينا لم يكن

(١) النصوص، نص ١٢.

(٢) المثوي بتصحيح نيكلسن، ج ٣، ص ٣١٦.

صحيحاً وأنهم قد فكروا صحيحاً. على سبيل المثال، إن حل مشكلة علم الله ببنية هذا الأصل القائل بأن «الحقيقة البسيطة متحدة مع كل الأشياء»^(١) هو حل المسألة بالمباني العرفانية؛ وإلا فإن هذه القاعدة هي مجرد «شطح» من ناحية المباني والأصول العقلية لا غير، وهي غير قابلة للتصور ولا تستحق التصديق.

ولكن من وجهة نظر الأفلاطونيين الجدد والعرفان الإسلامي، للوجود ثمة مراتب وأي مرتبة سُفلى هي تجلّي لمرتبة عُليا، أي إنّ الحقيقة ليست أكثر من واحدة، وإن البقية هي تجليات تلك الحقيقة وليست مستقلة عنها. وهذا الأمر هو من ضمن الفناء التصوف والعرفان، لذلك فإن علم أي ما فوق بما دونه هو كالعلم بنفسه، وسيكون من نوع المعرفة الحضورية والشهودية وليس من نوع المعرفة الحسولية والارتسامية ولكن المراتب السُفلى ليس لديها هكذا علم وإحاطة بالمراتب العليا. لذلك فإن العلم والإحاطة الحقيقية والشهودية الخاصين بالمراتب العليا نسبةً إلى المراتب السُفلى يعودان إلى هذا السبب أن المراتب السُفلى هي في الحقيقة ليست غير المرتبة الأعلى منها. وبناءً على ذلك فإن العلم الشهودي للحق المتعالي نسبةً إلى العالم هو لأن العالم ليس شيئاً مستقلاً ومنفصلاً عن الحق، بل هو تجلٍ وظهور له، وأن علم أي شيء بنفسه وظهوراته وشؤونه سيكون حضورياً وشهودياً.

لذلك فإن الإنسان بصفته «الكون الجامع» الذي يستطيع أن يكون جميع العالم بالقوة، هو في القوس الصعودي للوجود أينما كان من مراتب الوجود، فإن المراتب السُفلى ستكون تجلياته وشؤونه، وفي أي مرتبة سيكون له إشراف وشهود وإحاطة على الظهورات والتعينات بنسبة تلك المرتبة. وهذا العلم هو علم شهودي وليس حصولياً.

والأمر الذي يجب ذكره هنا هو أنّ الفلاسفة يعتبرون العلم نتيجة التعليم

(١) بسيط الحقيقة كل الأشياء، الأسفار، ج ٢، ص ١٣٩٠ ج ٣، ص ١٣٢٥ ج ٦، ص

والاكتساب، إلا أن أفلاطون يراه تذكيراً وأساسه كما أسلفنا، أي إن العلم من وجهة نظر الفلاسفة يُكتسب من مكان ما لجميع الموجودات وهو حصولي، وارتسامي في حين أن المعرفة من وجهة نظر الأفلاطونيين الجدد وأهل العرفان - خاصة المعرفة الشهودية نسبةً إلى حقائق الوجود ولا مظاهره وتجلياته - هي نتيجة إحاطة مراتب المافوق على المراتب السفلية.

وبناءً على ذلك ففي القوس النزولي للوجود كلما كان التعيين أخس فإنه سيفقد علمه وإحاطته حتى يصل إلى أسفل درجة للوجود والمعرفة. ثم في القوس الصعودي للوجود، أي موجود له إمكانية السير التكاملي كالإنسان، إن تخلص من أي تعيين أخس، سوف يصل إلى تعيين أعلى ويزداد بتلك النسبة بعلمه وإحاطته. وفي الحقيقة سيحصل مجدداً على الشيء الذي فقده في القوس النزولي. والحصول المجدد في المعرفة هو ما يسمى بالتذكر والتذكير. من الواضح أن بنية هكذا علم وإحاطة هي وحدة العالم والمعلوم وفي الحقيقة وحدة المتجلي والجلوة. وبما أن حقيقة الإنسان الكامل هي باطن وحقيقة جميع العالم، لذلك فإن إحاطته على جميع العالم على أساس وحدة العارف والمعروف، هي إحاطة شهودية وعلى هذا الأساس، وكما قال القونوي فإن أي نوع علم هو على أساس الوحدة بين العالم والمعلوم، لا غير.

وهنا يجب أن نرى لماذا يعارض ابن سينا هذا الرأي، ولماذا يعتبر فهم الملاءمة صعباً وأتباعه لهذه القضية خاطئ وغير صحيح؟

وأما معارضة ابن سينا فتعود إلى أنه بناءً على القوى الإدراكية الاعتيادية للإنسان وبناءً على القواعد الرئيسية للذهن والفكر، فإن بنيتنا الإدراكية الأكثر أساسية هي أصل «الهوية». أي إنه أي ظاهرة هي نفسها وليست غيرها، وأن جميع التعريفات الفردية والنوعية والجنسية هي بناءً على هوياتها الثانية. لذلك لو ادعى أحدهم أن «أ» هو «ب» نفسه، أو أن «أ» و«ب» اتحداً فإن ادعاءه هو خلاف لأصولنا وقواعد تجربتنا وإدراكنا^(١). لذلك فإن علاقة العاقل بالمعقول

(١) الإشارات والتهيمات، النمط ٧، الفصل ١١ - ٧، الشفاء، الفن ٦، المقالة ٥، الفصل ٦.

وأي شيء بشيء آخر لا يمكن أن تكون علاقة اتحاد والوحدة؛ فالعلاقة الصحيحة والقابلة للقبول بين شيئين هي الاختلاط والاتصال والعروض والتعلق؛ وعلاقة الذهن بمعقولاته هي علاقة الجوهر بالعرض لا غير.

ولكن الملاء صدرنا وأتباعه أرادوا أن يبرروا اتحاد العاقل بالمعقول، بما يغير أساس أهل العرفان حيث أنه اتحاد العاقل بالحقيقة الخارجية للمعقول، هو على أساس المشائين. لذلك تصوروا أن هذا الاتحاد يعني اتحاد العاقل بالصورة الذهنية للمعقول وقاموا بتبريزه على هذا الأساس بأن العاقل (الذهن) والمعقول (الصورة الذهنية) يجب أن يكونا في مرتبة واحدة بحكم التضاييف؛ وبسبب الحركة الاشتدادية لجوهر النفس فإن الصور العقلية هي العامل الفعلية للنفس وأن هذين في طول بعضهما، وهما يتحدان مع بعضهما كالمادة والصورة.

وفي هذا التبرير، فضلاً عن ضرورة استبدال العرض والموضوع بالصورة والمادة، وكذلك استبدال أصل ثبات الهوية والماهية الجوهرية بالتشكيك والتغيير فيه ومن أجل إثبات وتبرير صورة فرضية بهذه المسألة، بُذل جهدٌ بأن هذه الصورة الفرضية هي غير الصورة الأصلية للمسألة. إنَّ أصل المسألة هو موضوع معرفي وليس فلسفياً حيث اعتبروه بالغلط موضوعاً فلسفياً. وبدلاً عن الاهتمام بالخلاف الرئيسي الموجود بين المدرستين: المشائية والأفلاطونية الجديدة، جعلوا الاختلاف مناقشة فلسفية داخل المدرسة المشائية؛ وفي النهاية وهم يستندون إلى الأصول العرفانية والإشراقية، كأصالة الوجود وتشكيكه ووحدته والتشكيك والحركة في الجوهر، قاموا بتبريره وتناسوا الصورة الأصلية للمسألة مع كل أهميتها.

ومن الأمور الأخرى التي قدمها الملاء صدرنا حول هذا الأمر هي يلي:

(١) «إن فرفوربوس هو أول من قَدَّم هذه المسألة». هذا الكلام صحيح، لأن مثل هذه القضايا الأفلاطونية الحديثة وصلت عن طريق كتاب الأولوجيا الذي يرون أن أصله يعود إلى أرسطو مع تفسير وتقرير فرفوربوس.

(٢) «إن فرفوربوس هو أعظم تلاميذ أرسطو». هذا الكلام غير صحيح، وقد

ابتلى به تاريخ الفلسفة الإسلامية، إذ توفي فرفوربوس عام ٣٠٤ م وأرسطو عام ٣٢٢ قبل الميلاد، وهناك أكثر من ستة قرون بين تاريخ وفاتيهما. ولكن لا يقع الذنب في هذا الأمر على الفلاسفة المسلمين، لأنه لم تكن بحوزتهم المصادر والنصوص الأصلية من جهة، كما أنه لم يكن لديهم مصدر دقيق في تاريخ الفلسفة؛ ومن جهة أخرى قد ذكر في بداية كتاب الأثولوجيا انتسابه إلى أرسطو مع هذا الشرح «هو النص الأول لكتاب الفيلسوف أرسطو الذي يعد الأثولوجيا بالأغريقية، وهو بحث في الإلهيات وتفسير فرفوربوس السوري الذي ترجمة عبد المسيح بن عبدالله بن ناعمة الحمصي إلى اللغة العربية وتم تصحيحه من قبل أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي (الوفاة ٢٦٠ هـ) من أجل أحمد بن المعتصم بالله».

وهذا العمل من ناحية المحتوى مشكوك فيه أيضاً، لأن في أجزاء من هذا الكتاب نرى بعض المباحث الخاصة بأرسطو. على سبيل المثال، يطبق أفانيم أفلوطين الثلاثة بعلة أرسطو الأربع، ويذكر أرسطو والميتافيزيقيا الخاصة به ولكن في الحقيقة فهذا الكتاب هو تلخيص سبعة أبواب من الكتب الثلاثة الأخيرة لأفلوطين وكتابه الخامس وهو خلاصة كل نظريات أفلوطين.

اليوم وفي ظل نشر الأعمال وتطور الاتصالات بوجود أنواع التراجم والمراجعات للنصوص الإغريقية، وكذلك بسبب النظام المدرس والصحيح للفلسفة والعرفان، على المحققين أن يفككوا المسائل الالتقاطية والمباني المتمتزة مع بعضها، وأن يدرسوا قضايا كل فن بمبانيه الخاصة وأن يثبتوها أو يرفضوها.

اليوم أصبح من الجلي أن الخطأ والخلط لا يقعان على عاتق الفلاسفة المسلمين بل ارتكبهما آخرون قبل سنوات كثيرة من ذلك. ويمكننا ملاحظة هذا الخلط في المباني في أغلب أعمال أرسطو وأفلاطون؛ ولكن كما قلنا، علينا نحن في مجال المعارف الشرقية والإسلامية أن نقوم كالمحققين الغربيين في القرون الأخيرة بتنقيح المباني وتفكيك الأصول والقضايا.

وأما باقي الملاحظات هي كالتالي :

(٣) «الكثير من العلماء المسلمين السابقين تقبلوا عن طريق الكشف والبرهان وجهة نظر فرفوربوس».

(٤) «لقد عاد ابن سينا في بعض مصنفاته عن رفض وجهة النظر هذه».

(٥) «في عصرنا (أي عصر الملاً صدرا) لم يكن هناك غير شخص واحد يتمتع بنعمة وجهة النظر هذه».

وهنا نلفت نظر القراء إلى أن مراد الملاً صدرا من هذا الكلام، هو أن العالم الوحيد الذي كان يؤمن في عصره بناءً على العناية الإلهية باتحاد العاقل والمعقول قد يكون المير فندرسكي.

هذا الكلام مذكور في حاشية مخطوطة يعود تاريخ كتابتها إلى عام ١٠٣١ هـ.ق.؛ ويعتقد البعض أنها بخط الملاً صدرا نفسه. بالتأكيد لو كانت وجهة نظره مثل وجهة نظر الملاً صدرا فإنها ستكون خطأ أيضاً. وإذا كان كأغلب العلماء السابقين المتصوفة أو من سلك هذا الدرب قال المسألة بالمعنى العرفاني لها فإن كلامه صحيح ولا يمكن مناقشته. وأن يقول الملاً صدرا بأن أغلب العلماء السابقين كانوا على هذا الاعتقاد عن طريق الكشف والبرهان، فإن اكتشافه لا يتقبل المناقشة؛ إلا أن المسألة بمعناها العرفاني لا يمكن إثباتها بالبرهان.

ولكن تصريحات الفارابي وابن سينا حول هذا الأمر فيها شيء من الخطأ بسبب خلط النصوص الأفلاطونية الحديثة مع أعمال أرسطو، إذ إنهما سارا بمعرفتهما أو عدم معرفتهما على طريق أهل العرفان؛ ولكن لدينا حالات متعددة من الأخطاء والخلط في مصادر العلماء الكبار وإحداها هي مبحث القوس الصعودي والنزولي للوجود في أعمال ابن سينا حيث ذكر هذه القضية في أعماله الفلسفية الثلاثة الكبيرة.

ولكن في الأعمال الثلاثة هذه لم يتم شرح وتفسير وإثبات واستدلال هذا الموضوع المهم والأساسي؛ ومع أنه قدّم شرحاً مختصراً حول القوس النزولي إلا أنه لم يذكر شيئاً في تبين القوس الصعودي.

ويبرر ابن سينا في الشفاء والنجاة القوس النزولي على أساس الضعف التدريجي للوجود في الترتب العلّي والمعلولي (كل معلول أضعف من علته)، ولكن في كتابه الإشارات وهو آخر أعماله يصرف النظر عن هذا التبرير القليل حتى^(١).

من دون شك كان ذهن ابن سينا دقيقاً وقوياً جداً، ولهذا يبدو أنه لم يجد أساساً للقواعد والقوانين الفلسفية لمسألة قوسي النزولي والصعودي. ولكن بما أنه رأى هذه المسائل في أعمال القدماء، لم يصرف النظر ولو بشكل إجمالي عن ذكرها.

وهنا إذ ننتهي من مبحث الوجود الكلّي واتحاد العاقل والمعقول، نقوم بدراسة بقية مطالب الكتاب.

في الفصل التاسع يهتم بإثبات بقاء نفس الإنسان بعد الموت، وفي الفصل الأخير لديه ملاحظة تكررت مراراً وهي أن الغاية النهائية والأساسية لظهور الإنسان وسيره وسلوكه ليست إلا «المعرفة». وفي هذه الرسالة اهتم قبل كل شيء بالمسائل المعرفية.

وهذا العمل، قبل كل شيء هو رسالة عرفانية كتبت بجهود الملاً صدرا من أجل تطبيق مطالبها بمباني الفيزياء والميتافيزيقيا المشائية من جهة، وقرائن الأحاديث والأخبار من جهة أخرى وبسبب التشبيهات والتمثيلات العديدة الخاصة بهذا العمل، أصبحت متميزة عن أعماله الأخرى كالعرشية والشواهد الربوبية.

وفي النهاية أضيف هذه الملاحظة بأن رسالة إكسير العارفين للملاً صدرا تطابق كثيراً رسالة «جاودان نامه» الفارسية العائدة لأفضل الدين محمد بن حسين الكاشاني، المعروف باسم «بابا أفضل» المتوفى عام ٧٠٧ هـ. ق، من ناحية تعداد الابواب والفصول ومحتواها^(٢).

(١) الشفاء، الإلهيات، المقالة ١٠، الفصل ١١، النجاة، طباعة جامعة طهران، ص ١٦٩٨ الإشارات والتنبيهات، النمط ٧، الفصل ١.

(٢) يمد المحقق والأسناد القدير ولهام تشيتيك أول من سجل هذه الملاحظات.

وبما أن بعض الأذهان يشك بإخلاص ومصادقية المَلّا صدرا في استخدام أعمال القدماء ويتهمونه حتى في عدم الالتزام بانتساب أفكار وآراء الآخرين ومطالبهم إلى نفسه، فهذا الأمر قد يكون مثلاً جيداً لانتقاد المَلّا صدرا فيما يخص الانتفاع المشكوك فيه من أعمال الآخرين. ولكن بما أن مطالب رسالة «جاودان نامه» وبتبعها مطالب إكسير العارفين ليست بأمر ذي بال ولا مطالب مبتكرة من ناحية الفلسفة والعرفان الإسلاميين، لذلك فنسبة السرقة أو إخفاء الاقتباس لا تبدو منطقية... الشيء الوحيد الذي يمكن قوله هو أنه من المحتمل قد يكون المَلّا صدرا رأى هذا العمل في فترة شبابه وأعجب به، وفي فرصة لاحقة صَنّف عملاً في القالب نفسه باللغة العربية؛ والله أعلم.

تعريف المخطوطات:

لقد قام المحقق الياباني السيد شيگرو كامادا (Shigeru Camada) بتصحيح المخطوطة وذلك تحت إشراف الأستاذ الجليل الدكتور مهدي محقق ونشرها مع الترجمة اليابانية ومقدمة باللغة العربية. وقد صدر الكتاب في عام ١٤٠٤ هـ ق (١٩٨٤ م) في طوكيو من قِبل لجنة دراسات الفكر الإسلامي.

وقبل هذا، طبعت هذه الرسالة في طهران عام ١٣٠٢ هـ ق ضمن مجموعة من مخطوطات رسائل المَلّا صدرا بصورة طباعة حجرية. وقد جاءت هذه الرسالة ضمن صفحات ٢٧٨ حتى ٣٤٠ من هذه المجموعة. وتتطابق النسخة اليابانية مع نسخة الطباعة الحجرية باستثناء فقرة أو فقرتين» ونتمنى أن يكون كتابنا هذا نسخة صحيحة ومفيدة إلى جانب هاتين النسختين للمهتمين بالمعارف الإسلامية وأعمال المَلّا صدرا... وفضلاً عن ذلك قمنا بترجمة الرسالة إلى اللغة الفارسية لمن ليس لديهم معرفة باللغة العربية وذلك من أجل تقديمها في مؤتمر المَلّا صدرا.

أسلوب التصحيح:

ومن أجل تصحيح هذا النص استخدمنا المخطوطات التالية:

١. المخطوطة المرقمة ١٠٦٠٢٠ المسجلة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي، وهي موجودة بخط نستعليق.

لم تشاهد هذه المخطوطة في الفهرست؛ وبناءً على تصريح السيد حائري عُرضت هذه المخطوطة في السابق بصفتها المخطوطة الأساسية في المعرض وهي بخط صدر المتألهين نفسه. وهذه النسخة مؤرخة في نهايتها: ألف وواحد وثلاثون هجري قمري، أي قبل تسعة عشر عاماً من وفاة الملاً صدرا (المتوفى عام ألف وخمسون) وهي مكتوبة بخط ممتاز ويسهل قراءتها. ونظراً إلى التاريخ المكتوب بالحروف والمؤكد عليه وكذلك عطفاً على هذه الملاحظة بأنها كتبت بخط الملاً صدرا، يجدر بنا ألا نشكك في تاريخ كتابة الرسالة ونسبتها للملاً صدرا.

ليس لديّ ما أضيفه حول العلائم والقرائن الفنية الأخرى من قبيل نوعية الورق وأسلوب الخط، ولكن ما يجعلني أشك في صحة انتساب هذه المخطوطة إلى الملاً صدرا هو مقارنتها مع المخطوطات الأخرى من ناحية صحة المواضيع وعدم صحتها، إذ بمقارنة هذه المخطوطة مع المخطوطات الأخرى بات من المؤكد لدينا عدم صحة المباحث فيها في بعض الأماكن؛ وحتى في بعض الحالات وجدنا بعض الأخطاء لا يمكن تبريرها بأنها «وقعت سهواً». على كل، فإننا اخترنا هذه المخطوطة كـ «أساس» وذلك احتراماً لقدمتها ونسبتها.

٢. المخطوطة المرقمة ١١٧٤ التابعة لمكتبة مجلس الشورى الإسلامي. ولم تُشاهد هذه المخطوطة في الفهرست أيضاً؛ وهي مخطوطة كاملة ويعود تاريخ كتابتها إلى عام ١١٢٩ هـ. ق؛ وهي مكتوبة بخط نستعليق من قبل الخطاط «إسماعيل بن محمد رحيم» والذي خلافاً لخطه الممتاز ليس لديه اطلاع جيد بالفلسفة حيث ارتكب في بعض الأماكن بعض الأغلط الجسيمة.. وقد حددنا هذه المخطوطة بعلامة «١».

٣. المخطوطة المرقمة ١٧٢٠/٩ التابعة لمكتبة مجلس الشورى الإسلامي، وهي تحتوي على مجموعة من ١٩ رسالة كُتبت جميعها بخط النسخ التحريري لمؤلف واحد وعلى نوع واحد من الورق الأصفهاني الرقيق... وهي من دون تاريخ الكتابة، وربما يعود تاريخها إلى القرن الثالث عشر. وقد حدّدنا هذه المخطوطة التي ليس لها عناوين للأبواب والفصول، بعلامة «مج ٢».

٤. المخطوطة المرقمة ٥٣٣٣ التابعة لمكتبة المجلس الشورى الإسلامي (الذريعة ج ٢، صفحة ٢٧٩، فهرست سپهسالار، ج ٣، صفحة ١٨٣) وهي مكتوبة بخط نستعليق من دون ذكر اسم كاتبها ويعود تاريخ كتابتها إلى عام ١٢١٩ هـ ق.؛ ولا نجد فيها عناوين للأبواب والفصول؛ وقد حدّدنا هذه المخطوطة بعلامة «مج ٣».

على كل حال يمكننا اعتبار المخطوطة الحالية كمخطوطة صحيحة وبدون أخطاء، ويعود هذا الاطمئنان إلى اختيارنا أساس وضوح مباحث هذا العمل الذي ساعد المصحح في اختيار الأصح والأصلح وذلك قبل أساس المخطوطات نفسها.

وهنا نختم مبحث التصحيح بالمعلومات التي كتبها الفقيه الخبير بالمخطوطات الأستاذ محمد تقي دانش بجوه حول مخطوطات هذا العمل. لديّ علم بمخطوطات أخرى لهذه الرسالة غير المخطوطتين اللتين ذكرتهما، مثل الأرقام: (١) ٥٩٢/١ ملك (ص ١١ - ١٨) المكتوبة من قبل محمد بروجردي بأمر الشيخ علي نوري عام ١٢٩٥ هـ ق (الفهرست المذكور هناك ٥ : ٩١). (٢) و (٣) ٣٥٨ التابعة لمكتبة تولية مقام الإمام الرضا والمكتوبة في شعبان عام ١٢٦٤ هـ ق في أصفهان، و ٣٥٩ المكتوبة هناك في عام ١٣١٣ هـ ق. (فهرست ٤ : ٨) (٤ - ٦) ٥٩٢/١ مجلس (فهرست ٢ : ٣٤٩) و ١٧٢٠/٨ هناك (٥ : ٧٤ و ١١/ ١٧١٩) هناك ص ٢٧٢ - ٢٠٢ (٢٥٦ : ٩). (٧) المخطوطة القديمة التي رأيتها هي مرقمة بـ ١٦٨٨ وهي تابعة لمكتبة المجلس وكتبت بخط نستعليق ويبدو أنها كتبت من قبل الملا صدر الشيرازي نفسه، ويعود تاريخ كتابتها إلى عام ١٠٣١ هـ ق.، ونحتوي على عناوين كبيرة بلون أحمر قاني. وتعود هذه المخطوطة إلى

عبدالحسين نور بخشي، وأما المخطوطة العائدة للشيخ علي كتبت في عام ١١٦٠ هـ.ق.؛ وقد ذكرتها في دليل المخطوطات (٥ : ٣٣). وكان سيبدو جيداً لو رأى السيد شيگرو كامادا هذه المخطوطة واستفاد منها في طبعته^(١).

* * *

(١) مجلة المعارف، سنة ١٣٦٣، رقم ٢.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نقضي
 سبحانه اللهم يا مبدع الغفول والتفوس يا ضوآءها وانوارها ومخترع الافلاك والكواكب
 بازوارها واكوارها وجامع اشياء العناصر بصورها واثارها وحافظ تركيب المركبات
 والموايد بنتائجها واثرها وقهر عظام الجيول من محاسنها وازكارها ومكمل نفوس الانسان
 بعلومها واسرارها لك منك التسبيح والتعظيم وبك عليك الشناء والتحية لانك اقول كل
 حركة واخره وما طعن كل فكرة وظاهره وانت تعلق العدل فاقول الثناء والاول من عجب
 فاعمل غير منفعل مبدع الفطرة الالهية وتشتي القشاة الاخرى برفع من وحدته الى
 شدة المنة عند اجتهاد الماوي وموئيد من جهة ملا قهر جهنم التسبيح والحمد الادنى
 صل على الذوات المثبتة اسماءهم في الفوج المحفوظ المسطور بقلم الحق قبل ان يخلق الخلق
 المكتوبه اوصافهم في كتاب رقم يشهد المقربون ولايته الآلا المطهرين لانهم
 ثمرات الصنع والاياد ومحاول الخلاق للاسبيل الاخيرة والمعابد التي خزان كنوز الوجود
 ومفتاح ابواب القرض والجهنم خصوصا معلنا وبأرنا وسيدنا محمد المصطفى ومبعوثنا
 محمد المصطفى خاتم الانبياء والمرسلين واكثر الاوصياء المطهرين الملقين بسلام الله
 عليهم اجمعين وعلى جميع الانبياء السابقين والاولياء والاخمين وبعد فبقول
 العبد المذنب لاجابات رب العالمين محمد الشيرازي المعروف بصدر الدين كثر
 في ذلك من سبل شريفة سكية وتجب من جواهر لطيفة علمية انتقدتها من كتب بل للتي
 مما استحسنها اذ طاق الحكاء الصافيين وشهد بها كل من شك في سبل الحق من العرفاء المتأين
 مع سوانح فريضة اخفقتها واطمع كشفية اردفتها رحمة الفضل الله على هذا السكين
 وطعنا في دوائر كرامته وقربه اذ خير موفى ومعين فجمعها في كتاب وتسميته اكرام العارفين
 في معرفة طريق الحق واليقين وقسمته على ابواب ومضامين كالصالحين والاصول
 وابواب اربعة اولها في كليات العلوم وقسمتها وثانيها في معرفة محال المعرفة والحكمة
 وهي العلوم الانسانية وثالثها في معرفة قاعل العلوم وفيها من المعارف والعلوم
 الاول في جميع الاشياء ودرايتها معرفة الغاية الاصلية لها ودراسة الغاية القصوى اليها كما اقول
 في غنة كليات الفصول اقول في قسم العلم مطلقا وهو قسمان ديني واخرى
 اما العلوم الدينية فمنها كتابات علم الاول علم الاقوال الثاني علم الافعال الثالث
 علم الاحوال وهو كمالها كمالها في العلم والاطلاق في العلم والاطلاق في العلم والاطلاق في العلم
 بين المنزلة في العلم والاطلاق في العلم والاطلاق في العلم والاطلاق في العلم والاطلاق في العلم

يقال شرط الحدود لا يجب ان يكون شرط البقاء فظان البدن باستنداده
شبكة اقتناص النفس من العلة بعد الوقوع في الوجود وبواسطة الشبكة
تحتاج لابقاء الشبكة وتشرح هذا المبدأ البدن استعد لصورة هيركل الى
والنفس من حيث كونها صورة للبدن لا وجوده بل هو في وجودها كونهما
بنو امر عقليتها ووجودها في نفس نفس وعند بطلان البدن باستعداده
انقطع علاقة النفس في توارثها بالوجود بالاعتقالات من اسد الوجودين
هو الذي يستدعيه البدن ويستعد له حول الوجود في توارثه فانه قابض
بان شاء الله تعالى الثبوت الاخرة فافهم واعلم ان السبل العاشر
في تعلق هذه الابواب الثلاثة بعضها ببعض المقصود مما قيل
في الباب الثاني والثالث سهولة السبل على الطالب لك
والا في اصل ما ذكر فيها هو معرفة المبدأ والغاية ويمكن ان يربط بينهما
من الباب الثاني المقصود معرفة النفس الانسانية لغاية وجودها
من دار القدس وعالم الاخرة وغاية قصدها الذي يتوجه اليها بالذات
بحسب الفطرة من المعرفة والوصول الى لقاء الله سبحانه ومنه التوصل
علم التوحيد ويفطر بالمعالم الربوبية التي يبحث فيها

عن المبادئ الاولى والغايات القصود

علم يقينا لنسب مبداء كل شيء هو بعينه الغاية

فالنفس العلامة من الله مبداءها واولها

مستولما دعواهم فيها سبحانك اللهم

وتختصم فيها سلام واخر دعواهم

لنفس الحمد لله

رب العالمين

والتحفة وتسلم على محمد وآله الطاهرين وكتب رقام هذه السطور بيده العلية
الفائقة في هذه الايام والامم من عام الف واحد وثلاثين مؤلفها
ومترجمها المسكين سكين محمد المعروف بصديق الدين الشيرازي
حامل الله مستغفرا لذنبه ومصليا ومسلما على نبينا وآله غفر الله له ولوالديه
وسائر المؤمنين حينما كان في البلاد الخيام الله عز وجل يوم المعاد والله صلي

إكسير العارفين

في معرفة طريق الحق واليقين

[المقدمة]

بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم

سبحانك اللهم، يا مبدع العقول والنفوس بأضوائها وأنوارها، ومخترع
الأفلاك والكواكب بأدوارها وأكوارها، وجامع أشتات العناصر بصورها
وآثارها، وحافظ تركيب^(١) المركبات والمواليد بنتائجها وأثمارها، ومحیی عظام
الحيوان بحواشها وأذكارها^(٢)، ومكمل نفوس^(٣) الإنسان بعلومها وأسرارها.
لك منك التسبیح والتقديس، وبك عليك الثناء والتحية؛ لأنك أول كل حركة
وآخره، وباطن كل فكر^(٤) وظاهره.

أنت معلل العلل، وأول الثواني والأول؛ مبدع مجوهر، وفاعل غير منفعل؛
مبدع الفطرة الأولى، ومنشئ النشأة الأخرى؛ رافع من وحده إلى سيدة
المنتهى، عندها جنة المأوى^(٥)، ومُهبط من جحده إلى قعر جهنم السفلى
والجحيم الأدنى. وصل على الذوات^(٦) المثبتة أسماؤهم في اللوح^(٧) المسطور
بقلم الحق قبل أن يخلق الخلق، المكتوبة أوصافهم في كتاب مرقوم يشهده
المقربون^(٨)، لا يمسه إلا المطهرون^(٩). لأنهم ثمرات الصنع والإيجاد، وقواد
الخلايق إلى سبيل الآخرة والمعاد؛ بل خزائن كنوز الوجود، ومفاتيح أبواب
الفيض والجود^(١٠). خصوصاً معلّمنا وهادينا وسيدنا وقائدنا إلى مبدئنا ومعيدنا،

-
- | | |
|---------------------------------------|--|
| (١) مع ١: تركيبات. | (٦) مع ١: + المقدسة. |
| (٢) مع ٢: إدراكها. | (٧) مع ١، مع ٢، مع ٣: + المحفوظ. |
| (٣) مع ٣: - نفوس. | (٨) اقتباس از سورة مطففين، آيات ٢٠ و ٢١. |
| (٤) اصل، مع ٢، مع ٣: فكرة. | (٩) اقتباس از سورة واقعه، آية ٧٩. |
| (٥) اقتباس از سورة نجم، آيات ١٤ و ١٥. | (١٠) مع ١: الجلود. |

محمد^(١) المصطفى خاتم الأنبياء والمرسلين وآله الأوصياء المطهرين المنورين؛ سلامُ الله عليهم أجمعين، وعلى جميع الأنبياء السابقين والأولياء اللاحقين.

وبعد^(٢)، فيقول العبد الملتجئ إلى جناب ربِّ العالمين محمد الشيرازي المعروف بـ«صدر الدين»: إنَّ هذه نكتٌ من مسائل شريفة حكمية ونخبٌ من جواهر لطيفة علمية، انتقدتها^(٣) من كتب أهل الله ممَّا^(٤) استحسنتها^(٥) أذواق الحكماء الصادقين وشهد بها كلٌّ من سلك سبيل الحق من العرفاء المتألهين، مع سوانح ذوقية أضفتها ولوامع كشفية أردفتها، رجاء^(٦) لفضل^(٧) الله على هذا المسكين وطمعاً في دار كرامته وقربه؛ إنَّه خير موفق ومعين. فجمعتها في كتاب، وسَمَّيته «إكسير العارفين في معرفة طريق الحق واليقين»، وقسمته على أبواب وفصول كالدعائم والأصول. وأبوابه أربعة: أولها في كمّية العلوم وقسمتها؛ وثانيها في محلّ المعرفة والحكمة، وهي الهوية الإنسانية؛ وثالثها في معرفة فاعل العلوم وقيّاض المعارف، وهو المبدأ الأول لجميع الأشياء؛ ورابعها معرفة الغاية الأصلية لها، وهي الغاية القصوى.

-
- | | |
|----------------------------------|----------------------------|
| (١) مج ٢: إلى محمد. | (٥) مج ٢، مج ٣: استحسنتها. |
| (٢) مج ٣: أنا بعد/ مج ٢: - وبعد. | (٦) مج ١: وجاء. |
| (٣) مج ٣: إنها نطد. | (٧) مج ١: بفضل. |
| (٤) مج ١: عنا. | |

الباب الأول

[في كمّية العلوم وقسمتها]

[وفيه خمسة فصول]

الفصل الأول

في تقسيم العلم مطلقاً وهو قسمان:

دنيوي وأخروي

أما العلوم الدنيوية، فهي ثلاثة أقسام: الأول علم الأقوال؛ والثاني علم الأفعال؛ والثالث علم الأحوال، وهو^(١) كالخط الفاصل بين النور والظلمة الجامع للطرفين^(٢)، والبرزخ المتوسط بين المنزلتين، ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَانِهِمْ﴾^(٣).

وأما العلوم الأخروية، فهي علوم المشاهدة والمكاشفة؛ كالعلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

(٣) سورة اعراف، آية: ٤٦.

(١) مج ٢: هي.

(٢) مج ١، مج ٣: للطرفين.

الفصل الثاني

في أقسام علم الأقوال بحسب ما يتعلّق به

وهو قسمان: عامّي وخاصّي. والعامّي ثلاثة أقسام حسب الموضوعات الثلاثة^(١):

الأوّل ما يتعلّق بالأصوات الساذجة، المشترك^(٢) فيها الجماد والحيوان والبهيمة والإنسان والعاقل والصبيان.

والثاني ما يتعلّق بالحروف المفردة، الحاصلة من حركات الأصوات وهيئاتها.

والثالث ما يتعلّق بالألفاظ الدالّة على المعاني، الحاصلة من تركيب الحروف في لغة من اللّغات العربيّة أو الفارسيّة أو العبريّة^(٣) أو ما سواها.

وهي^(٤) في كلّ لغة على ثلاثة أقسام^(٥): اسم، وكلمة، وأداة؛ لأنّها إمّا أن تدلّ^(٦) على الشيء، أو فعله، أو إضافة إلى شيء آخر. وكلّ منها لفظ مفرد، يتألف منها لفظ مركّب تامّ أو غير تامّ. والتامّ خبر أو إنشاء.

وأما الخاصّي من علم الأقوال، فهو ما يتعلّق باللفاظ^(٧) يتأتّى^(٨) بها العقلاء من ذوي الفطنة والفهم والأفهام ويتأدّى^(٩) بها الحركات والسكنات على وجه الصواب والتمام.

(١) مع ٢: - الثلاثة.

(٢) مع ١: + النّهي المشتركة.

(٣) مع ١: الغريّة.

(٤) مع ٣: هو.

(٥) مع ١: - أقسام.

(٦) مع ١: يدلّ.

(٧) مع ٣: باللفاظ.

(٨) مع ٣: يبالى.

(٩) مع ١: تتأدّى.

ففي كلّ مرتبة من المراتب الثلاث المذكورة التي [هي] مبادئ القول والحكاية، ينبعث علم من العلوم الثلاثة الكبيرة.

فمن معرفة الأصوات وكميّتها^(١) العددية والنسب النغمية الحاصلة فيها^(٢) من مراتب الحدة والثقل بينها يتولّد علم الموسيقى، وموضوعه الكميّة الحاصلة في الصوت. ومن معرفة الحروف المسموعة وحركاتها وسكناتها الإعرابية والبنائية يتولّد علم الإعراب والعروض. ومن معرفة^(٣) معاني اللفظ يتولّد علم اللّغة والشعر وفنّ المعاني والبيان والبديع. ومن معرفة المعاني الحاصلة في الفكر وكيفية تأليفها لينتج به المطلوب يتولّد علم المنطق الذي هو الميزان المستقيم يوزن به الأفكار ويكال به الأنظار^(٤).

* * *

(٣) مج ٣ : - معرفة.

(٤) مج ١ : الميزان.

(١) مج ١ : وكميّاتها.

(٢) مج ٢ : - فيها.

الفصل الثالث

في أقسام علم الأعمال

العلوم الفعلية على أربعة أقسام:

الأول ما يتعلّق بالأعضاء والجوارح؛ كصنائع أرباب الصناعات وحرفهم، كالحياسة والفلاحة والعمارة. وهو أدون أقسام علوم^(١) الأفعال وأختها.

والثاني ما هو أرفع^(٢) قليلاً من الأول؛ وهو علم الكتابة وعلم الحيل وصنعة الكيمياء و[الشعبذة]^(٣) والقيافة وأمثالها.

والثالث ما يتعلّق بتدبير^(٤) المعاش على وجه ينوط بصلاح أمر الدنيا لبقاء الشخص بانفراده أو النوع والهيئة الاجتماعية، أو على وجه ينوط بأمر الدين وصلاح الآخرة؛ كعلم المعاملات من النكاح والطلاق والعنق وغيرها، وكعلم السياسات كالقصاص والديات^(٥) والجرائم والحدود وما أشبهها^(٦). وهو علم الشريعة.

والرابع ما يتعلّق باقتناء الأخلاق الجميلة واكتساب الملكات والفضائل والاجتناب عن الملكات الرديئة والرذائل؛ وهو علم الطريقة والدين.

(١) مج ٢: العلوم. (٢) مج ٢: أربع.

(٣) اصل، مج ١، مج ٣: الشعبذة/ مج ٢: لشعبلة.

(٤) مج ٣: بتدبير.

(٥) مج ١: كالديات والقصاص.

(٦) مج ١: شبهها.

الفصل الرابع

في علم الأفكار وهو أربعة أقسام

القسم^(١) الأول معرفة الحدّ والبرهان، وهما مبدآن لحصول الأشياء وحقائقها: فأحدهما^(٢) - وهو الحدّ - يؤدي إلى حضور^(٣) حقيقة الشيء وتصوّر^(٤) مهيّته. وثانيهما^(٥) يؤدي إلى حضور وجوده والتصديق بهليّته. وكلّ منهما مشارك^(٦) للآخر في الحدود؛ فأجزاء الحدّ هي بعينها أجزاء البرهان مع التفاوت في النظم^(٧) والترتيب - كما بيّن في الميزان.

والقسم الثاني معرفة الحساب والعدد وأنواع الكمّيّات المنفصلة وأنواعها ومراتبها وخواصّها.

والقسم الثالث علم الهندسة والكميّة المتّصلة القارّة من الخطّ والسطح والجسم وأنواعها وهيئاتها وأشكالها. ويتولّد منه علم الهيئة والنجوم، وهو معرفة كمّيّات الأفلاك وعدد الكواكب ومقادير أبعادها وعظم أجرامها وأحوال حركاتها قدراً وجهّة؛ ويتفرّع عليها علم الأحكام وعلم الكهانة والتعبير^(٨).

والقسم الرابع علم الطبيعة والطبّ والبيطرة ونحوها. وهو معرفة كيفيّات العناصر وحركاتها وانفعالاتها وامتزاجات^(٩) بعضها مع بعض؛ ومعرفة المزاج

-
- | | |
|------------------------------|------------------------|
| (١) مج ٢: - القسم. | (٦) مج ٣: يشارك. |
| (٢) مج ١: فأحدهما. | (٧) مج ٣: تفاوت النظم. |
| (٣) اصل، مج ٢، مج ٣: - حضور. | (٨) مج ٢: علم التعبير. |
| (٤) مج ١، مج ٣: حضور. | (٩) مج ١: امتزاج. |
| (٥) مج ١: والثاني. | |

وتولّد المركّبات التامة وغيرها منها؛ ومعرفة أنواع المواليد الثلاثة من الجمادات والنباتات والحيوانات ومبادئ حركاتها وسكناتها؛ وعلم الحيوان وأصنافه وقواها المدركة والمحركة؛ وعلم الإنسان وقواه^(١) العلمية والعملية^(٢). وفائدة هذا العلم وغايته هي حفظ المزاج وإصلاح النماء وإبقاء الحياة.

فلإذا استعمل هذا العلم في غير الإنسان من الحيوان^(٣)، يسمّى بـ«البيطرة»^(٤) و«الرياضة»؛ وإذا استعمل في غير الحيوان^(٥)، يسمّى بـ«الفلاحة» و«الدهقنة».

* * *

(١) مج ٢: قواها.

(٢) مج ١: العملية والعلمية.

(٣) مج ٧: - من الحيوان.

(٤) مج ٢: البيطرة.

(٥) مج ١: الإنسان (بجاء غير الحيوان).

الفصل الخامس

في علم الآخرة

وهو العلم الذي لا يفسد بفساد البدن ولا يخرب بخراب الدنيا^(١)؛ وهو العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

أما العلم بالله، فهو العلم^(٢) بذاته وصفاته وأسمائه.

وأما العلم بملائكته^(٣)، فهو العلم بوجود^(٤) صور روحانية مقدسة عن المواد مجردة عن الأجساد مدركة لذواتها^(٥) ولما عداها. وهم سكان الحضرة الإلهية وحجاب الساحة^(٦) الربوبية. وعالمها عالم القدرة والإرادة، وينقسم إلى العقول القاهرة والنفوس المدبرة؛ والكل ممّا أبدعها الله تعالى بحسب التعينات اللازمة لأسمائه وصفاته.

فإن الحقيقة الواجبة اقتضت أول ما اقتضت من تعيناتها جوهرًا قدسيًا يسمى بـ «الروح الأول» و«العقل الأشرف» و«القلم الأعلى» و«الحقيقة المحمدية»، على ما وردت به الأحاديث النبوية ونطقت به الحكمة الإلهية؛ وبتوسطه جواهر أخرى روحانية وأخرى نفسانية. وهي وسائط وجودات الصور السماوية والطبائع العنصرية بموادها وأجرامها البسيطة والمرتبطة.

(٤) مج ١ : - وجود.

(٥) مج ١ ، مج ٢ : لذاتها.

(٦) مج ٣ : السابقة.

(١) مج ١ : البدن.

(٢) مج ٢ : علم.

(٣) مج ٣ : بالملائكة.

وأما العلم بكتبه، فهو عبارة عن العلم بكلامه وكتابه^(١) وكيفية تصويره الحقائق، والعلم^(٢) بقلمه ولوحه^(٣) وقضائه وقدره.

فيجب أن يعلم أن كلامه لا يشبه كلام الخلائق^(٤) وكتابه لا يشبه كتابهم، ولا قلمه قلمهم ولا لوحه لوحهم. وأن قلمه الأول ملك مقرب عقلي، شأنه إفادة الحقائق وتصور العلوم؛ ولوحه الأول ملك نفساني، شأنه استفادة الحقائق والعلوم من الجانب^(٥) اليمين وإظهارها وإعلامها بالتشكيل والتصوير على الجانب^(٦) الشمالي^(٧).

و«القضاء» عبارة عن ثبوت صور جميع الأشياء في العالم^(٨) العقلي على الوجه الكلّي. و«القدر» عبارة عن حصول صورها في العالم النفسي على الوجه الجزئي، مطابقة لما في موادها الخارجية، مستندة إلى أسبابها وعللها واجبة بها لازمة لأوقاتها.

ويشملها العناية الإلهية^(٩) المسماة بـ«علم الله» شمول القضاء للقدر والقدر لما في الخارج.

ولا محلّ لعلمه المحيط^(١٠)، على رأي أهل الحق؛ بخلاف صورة القضاء وصورة القدر. فإن محلّ القضاء عالم العقل، ولوحها عالم النفس؛ وهو محلّ صورة القدر، ولوحه دفاتر الاستعدادات وألواح المواد القابلة لصور الأضداد المتداعية إلى المحو والفساد^(١١).

ومحلّ القضاء هو المسمّى بـ«أم الكتاب» واللّوح المحفوظ عن النسخ والتغيير، لكونه من عالم الجبروت وعالم العقول المقدّسة عن التغيّر والزمان. والألواح القدريّة غير محفوظة عنهما^(١٢)، كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ

-
- | | |
|------------------------|--------------------------------|
| (١) أصل: كتابه. | (٧) مج ١: - الشمالي. |
| (٢) مج ١: العلوم. | (٨) مج ١: العلم. |
| (٣) مج ٣: - لوحه. | (٩) مج ١: + التي هي. |
| (٤) مج ١، مج ٣: الخلق. | (١٠) مج ١: على محلّ فعله محيط. |
| (٥) مج ٢: - الجانب. | (١١) مج ١: الإثبات. |
| (٦) مج ٢: جانب. | (١٢) مج ٢: عنها. |

مَا يَشَاءُ وَيُنِثُّ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ^(١). وكلّ ما يفيض علينا من العلوم الحقّة الموسومة بالعلوم اللدنيّة^(٢) إنّما يفيض عنه، كما في القرآن الحكيم: ﴿وَلَئِنَّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيّنَا لَعَلٌّ حَكِيمٌ﴾^(٣). وقال تعالى^(٤): ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾^(٥) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ^(٦). وتلك الجوهر العقليّة هي خزائن غيبه، كما قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَهُ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾^(٧). ولا شك أنّ خزائن غيبه مقدّسة عن التّغير والحدّثان، فالقضاء كذلك^(٨).

وأما منازل جوده ورحمته، سواء كانت نفوساً فلكيّة أو قوى خياليّة سماويّة أو أرضيّة أو موادّ^(٩) عنصريّة، فهي لا تخلو عن التجدّد والانصرام والتكثّر^(١٠) والانقسام؛ فالقدر كذلك، و^(١١)عالمه عالم النفوس السماويّة والأرضيّة. وفي عالم السماويّات^(١٢) يوجد كتابان كريمان: أحدهما النفساني الكلّي، والآخر الخيالي الجزئي. وكلّ منهما كتاب مبين، كما أشير إليه بقوله^(١٣) تعالى: ﴿وَلَا حَبْرَ فِي ظُلُمَاتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾^(١٤) بعد قوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾^(١٥) إشارة إلى علمه المحيط المسمّى بالعناية الإلهيّة، وقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾^(١٦) إشارة إلى علمه التفصيلي القضائي المحيط بما في برّ عالم المُلْك والشهادة وبحر عالم الملكوت والغيب، وبما يسقط^(١٧) من أوراق كتاب الأفلاك وسجلّ دورات السماوات. وأكّد ذلك^(١٨) بقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّمَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾^(١٩)، وقوله: ﴿مَا

- | | |
|----------------------------|---------------------------|
| (١) سورة رعد، آية: ٣٩. | (١٠) مج ١: - و. |
| (٢) مج ١، مج ٣: اللبنيّة. | (١١) مج ١: السماوات. |
| (٣) سورة علق، آيات ٣ و ٤. | (١٢) مج ٢: لقوله. |
| (٤) مج ٣: - تعالى. | (١٣) سورة انعام، آية: ٥٩. |
| (٥) سورة طلق، آيات: ٣ و ٤. | (١٤) همان. |
| (٦) سورة حجر، آية: ٢١. | (١٥) همان. |
| (٧) مج ٢: - فالقضاء كذلك. | (١٦) مج ١، مج ٣: تسقط. |
| (٨) أصل، مج ٢: مواداً. | (١٧) مج ١: كذلك. |
| (٩) مج ١: الكثير. | (١٨) سورة هود، آية: ٦. |

أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا^(١).

وأما العلم برسله وأنبيائه، فهو أن يُعلم أن الله خلفاء في عالم الأرض متوسطين بين الله وبين عباده^(٢) مأمورين بإصلاح هذا النوع الآدمي بواسطة استجماعهم^(٣) بشرائط الرسالة وخصائص السفارة، لجموم مناقبهم ووفور فضائلهم. وهي المناقب التي يشتملها^(٤) أمور ثلاثة:

أما^(٥) الأول وهو أشرف الجميع، فكون النبي مطلقاً على العلوم الإلهية من المبدأ الأعلى وما^(٦) يليه من ملكوته^(٧) العلوي والسفلي، واقفاً على المبادئ والغايات للجميع، عارفاً بالنفس^(٨) الإنسانية وكمالاتها ودرجاتها^(٩) ومراتب عروجها إلى الحق إذا استكملت بالعلم والعمل، آخذاً علومه ومعارفه من الله بلا توسط معلّم بشري، علماً مستفاداً منه بطريق الكشف الروحي والإلقاء السبّوحي، لا بالتعمّل^(١٠) الفكري والاحتياال الروهي.

وأما^(١١) الثاني، فكونه ذا قوّة باطنية^(١٢)؛ يتمثل له الحقائق بكسوة الأشباح المثالية أولاً في الباطن وعالم الخيال^(١٣)، ثم تسري إلى عالم الحسّ، فينفعل عنها حواسّه الشريفة - كسمعه وبصره وذوقه وشمّه ولمسه -، فيشاهد المَلَك الملقى للعلوم عياناً، ويسمع منه كلام الله عياناً.

وقد أخبر النبي ﷺ عن مكاشفة بصره المنور بقوله: «زويت لي^(١٤) الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها»، وعن سمعه بقوله^(١٥): «أطت السماء وحق لها أن

(١) سورة حديد، آية: ٢٢.

(٩) مج ١: + معارف.

(١٠) مج ١: بالعمل.

(١١) مج ١: - أما.

(١٢) مج ٣: + بها.

(١٣) مج ٣: الخيالي.

(١٤) مج ١، مج ٣: إلى.

(١٥) مج ٢: لقوله.

(٢) مج ٣: + و.

(٣) مج ٣: اجتماعه.

(٤) اصل، مج ٣، مج ٢: ليشملها.

(٥) مج ١، مج ٣: - أما.

(٦) مج ٢: منا.

(٧) مج ٣: الملكوت.

(٨) مج ١: للنفس / مج ٣: لنفس.

تَنَظُّ^(١)، ليس فيها موضع قدم إلّا وفيه مَلَكٌ^(٢) راعٍ أو ساجد»، وعن شَمّه الشريف بقوله^(٣): «إني لأجد نفس الرحمان من جانب اليمين^(٤)»، وعن ذوقه بقوله: «أبيت عند ربّي يطعمني^(٥) ويسقيني^(٦)»، وعن لمسّه بقوله: «وضع الله على كتفي يده، فوجدت برد أنامله بين ثديي^(٧)».

وأما الثالث، فكونه ذا قوّة بطشة^(٨) شديدة؛ يقهر على أعداء الله وأولياء الشياطين، ويسلّط^(٩) على منكري حقّ الله من الكافرين والجاحدين والفاسقين؛ وكونه ذا مصابرة^(١٠) على المحن والشدائد، واقتدار وتمكّن^(١١) على المقاومات وثبّت^(١٢) في المجاهدات والمبارزات.

فمجموع هذه الأوصاف الثلاثة من خصائص الرسول. وأما آحادها، فقد توجد^(١٣) في غير الرسل^(١٤)؛ فإنّ الأولى متحقّقة في الأولياء، وضرب من الثانية يوجد في أهل الكهانة والرهابين، والثالثة قد تكون في الملوك الشديدة الهمة والبأس.

تفريع عرشي:

فالنبّي كأنّه مرّكب من ثلاثة أشخاص عظيمة، كلّ منهم رئيس مطاع في نوعه؛ فبروحه وعقله يكون^(١٥) مَلِكاً من المقرّبين، وبمرآة نفسه وقلبه^(١٦) يكون فلكاً^(١٧) مرفوعاً عن أدناس العنصريّين^(١٨) ولوحاً محفوظاً من^(١٩) مسّ الشياطين، وبحسّه وطبعه يكون مَلِكاً من عظماء الملوك و^(٢٠)السلّاطين.

- | | |
|---------------------------|----------------------------------|
| (١) اصل: تبط / مع ١: بطأ. | (١١) اصل، مع ٢: تمكين. |
| (٢) مع ٣: لك. | (١٢) اصل: مثبت. |
| (٣) مع ٣: - بقوله. | (١٣) همه نسخة ها جز مع ٤٣: يوجد. |
| (٤) مع ٣: اليمين. | (١٤) مع ٢: الرسول. |
| (٥) مع ١: فيطعمني. | (١٥) مع ٣: - يكون. |
| (٦) مع ٢: يسقين. | (١٦) مع ٢: - قلبه. |
| (٧) مع ١: يدي. | (١٧) مع ٢: ملكاً. |
| (٨) همه نسخة ها: بسطة. | (١٨) مع ١: العنصريين. |
| (٩) اصل، مع ٢: تسلّط. | (١٩) مع ٢: - من. |
| (١٠) مع ٣: مصابر. | (٢٠) اصل، مع ١: - و. |

وتحقيق ذلك أنَّ النشآت ثلاث، والعوالم ثلاثة: نشأة العقل، ونشأة النفس، ونشأة الطبع والحس؛ بإزاء عالم الدنيا وعالم الآخرة وعالم الأمر.

والإنسان بحسب غلبة^(١) كل نشأة داخل في عالم يناسبه، إمّا بالقوة أو بالفعل. فبحسب من أهل الدنيا وجملة الحيوانات المعذبة في الدرك الأسفل؛ وينفسه من أهل الآخرة وجملة الملكوت الأسفل؛ وبروحه من أهل الله وجملة الملكوت الأعلى. لكن الغالب على أكثر الخلق نشأة الحس وموطن الدنيا، ومآلهم في الآخرة إلى الجحيم.

وأما جوهر النبوة، فله جامعية^(٢) النشآت واستكمال القوى كلّها؛ فله - صلوات الله عليه وآله - السيادة^(٣) العظمى والرئاسة الكبرى والخلافة الإلهية في جميع العوالم. فهو شارع ورسول ونبي؛ يحكم بالأول كالمَلِك ويخبر بالثاني كالفلَك، ويعلم بالثالث كالمَلِك. فافهم واغتنم.

وأما العلم باليوم الآخر^(٤)، فهو الإيمان^(٥) بالقيامة والقبر والبعث والحشر^(٦) والحساب والميزان ونشر الصحف وتطأير الكتب. وهذه غاية العلوم الكشفية؛ ليس هذا الموضع محلّ تفاصيلها^(٧)، وقد بسطنا فيها القول^(٨) في بعض تأليفنا حسب^(٩) ما^(١٠) أفادنا الله وجعل قسطنا ورزقنا من فضله ورحمته.

وللإشارة إليها ها هنا نقول: يجب عليك أن تعلم أنّك كادحٌ إلى ربّك كدحاً فملاقية^(١١) بالموت؛ وهو قطع تعلّق الروح عن^(١٢) البدن بواسطة زمانة مطلقة في جميع الأعضاء، يخرج بها عن طاعة الروح ببطلان قواه وآلاته.

(٧) مج ١: تفضيلها.

(٨) مج ٣: القول فيها.

(٩) مج ١: حيث.

(١٠) مج ١: - ما.

(١١) اقتباس از سورة انشقاق، آية: ٦.

(١٢) مج ٢: من.

(١) اصل - غلبة.

(٢) مج ١: جامعه.

(٣) مج ٢: السادة.

(٤) مج ٣: الآخرة.

(٥) مج ١: + الآخرة.

(٦) مج ١: الجنة.

فينكشف^(١) له بالموت ما يغيب عنه في حال الحياة ممّا كان مسطوراً في كتاب لا يُجَلِّيهَا لوقتِها إلّا هو^(٢). فإنّ رسوخ الهيئات وتأكّد الصفات، وهو المستى عند أهل الحكمة بـ«الملكمة» وعند أهل الكشف والنبوة بـ«الملك» و«الشيطان»^(٣)، يوجب خلود الثواب والعقاب ودوام الصور^(٤) الحسنّة^(٥) والقيحة الموجبتان لتنعيم^(٦) أهل الجنان وتعذيب أصحاب الجحيم بالنيران.

فكلّ من فعل مثقال ذرّة من خير و^(٧) شرّ يرى أثره مكتوباً^(٨) في صحيفة^(٩) ذاته أو صحيفة أرفع منها عند نشر الصحائف ونشر الكتب.

وإذا حان وقت أن يقع بصره إلى وجه ذاته عند كشف الغطاء وشواغل هذا الأدنى وما يورده الحواس^(١٠) وهو المعبّر عنه بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْهِفُ تُثُرَتْ﴾^(١١)، فيلتفت إلى صفحة باطنه وصحيفة قلبه. فمن كان في غفلة عن ذاته وحساب سرّه، يقول عند ذلك: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَقَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ أَهْلًا﴾^(١٢).

ومنشأ ذلك أنّ الدار الآخرة هي دار الحياة والإدراك^(١٣)، لقوله تعالى: ﴿وَلَيْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ لَهِىَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(١٤). وموادّ أشخاص تلك الدار^(١٥) هي^(١٦) التأملات الفكرية والتصوّرات القلبية. فإذا انقطع الإنسان عن

(١) اصل، مج ٢: فيكشف.

(٢) اقتباس از سورة اعراف، آية: ١٨٧. (٣) مج ٢: الشياطين.

(٤) مج ٣: الصورة.

(٥) مج ١: + الجسميّة / مج ٢: الحشر / مج ٣: الحسنيّة.

(٦) مج ٣: لنعيم. (٧) اصل، مج ١: أو.

(٨) اصل، مج ١، مج ٣: مكتوبة. (٩) مج ٢: - صحيفة.

(١٠) مج ٣: - الحواس. (١١) سورة تكمير، آية: ١٠.

(١٢) سورة كهف، آية: ٤٦. (١٣) مج ١، مج ٢: الإدراك والحياة.

(١٤) سورة عنكبوت، آية: ٦٤. (١٥) مج ٢: الدارين.

(١٦) مج ٢: - هي.

الدنيا وتجرد عن مشاعر البدن وكشف عنه الغطاء، يكون الغيب له شهادة والسر علانية^(١) والعلم عيناً والخبر عياناً؛ فيكون حديد البصر قارئاً لكتابه، لقوله تعالى: ﴿كَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(٢) وقوله تعالى^(٣): ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلَزَمْتَهُ طَلَبُهُ فِي عُنُقِهِ وَخَرَجَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابٌ يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾^(٤) اقرأ كتابك كل يوم ينقصك اليوم عليك حساباً^(٥) ﴿١٦﴾. فمن كان من أهل السعادة وأصحاب اليمين، فقد أوتي كتابه بيمينه^(٦) من جهة^(٧) عليين: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي عِثَّتَيْنِ﴾ ومن كان من الأشقياء المردودين فقد أوتي كتابه بشماله^(٨) من جهة سجين: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي سَجِينٍ﴾^(٩)؛ لأنه من المجرمين المنكوسين، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(١٠).

فهذه الصور^(١١) ستصير^(١٢) إما قبوراً ضيقة، فيها حيات وعقارب بحسب الهيئات السوءى^(١٣)؛ وإما رياضاً رضوانية، فيها تجري^(١٤) أنهار الحياة الأبدية بحسب العقائد الحقّة. وهذه القبور إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران؛ كما ورد في الحديث النبوي أنه ﷺ قال: «للمؤمن^(١٥) في قبره روضة خضراء، ويوسع^(١٦) له قبره سبعين ذراعاً، ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر. وهل تدرون فيماذا أنزلت: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾؟^(١٧)»، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «عذاب الكافر في قبره، يسلط^(١٨) عليه تسعة وتسعون تيناً. هل تدرون ما التين؟» تسعة وتسعون حية، لكل حية تسعة رؤوس

- | | |
|-----------------------------------|-------------------------------|
| (١) مع ١: علا. | (١٠) مع ١، مع ٢، اصل: الصدور. |
| (٢) سورة ق، آية: ٢٢. | (١١) مع ١، مع ٣: سبصر. |
| (٣) اصل، مع ٣، مع ٢: - تعالى. | (١٢) مع ٢: الثرى. |
| (٤) سورة اسراء، آيتان: ١٣ و ١٤. | (١٣) اصل: يجري. |
| (٥) اقتباس از سورة حائه، آية: ١٩. | (١٤) اصل، مع ٣، مع ٢: المؤمن. |
| (٦) مع ١، مع ٣: جنة. | (١٥) همه نسخه ها: يرحب. |
| (٧) اقتباس از سورة حائه، آية: ٢٥. | (١٦) سورة طه، آية: ١٢٤. |
| (٨) سورة مطففين، آية: ٧. | (١٧) مع ١: تسلط. |
| (٩) سورة سجده، آية: ١٢. | (١٨) مع ١: الشنين. |

ينهشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه إلى يوم القيامة».

ولا ينبغي أن يتعجب من هذا العدد؛ فإن الأخلاق المذمومة تنقلب بعينها في الآخرة حَيَاتٍ وعقارب. وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «إنما هي أعمالكم ترد^(١) إليكم».

واعلم أنّ لنا قيامتين: صغرى وكبرى. أمّا الكبرى، فهي لجميع الخلائق. وقد شهدت النصوص بتفاصيلها من نفخة الصور وأرض المحشر وجمع الخلائق وطول يوم القيامة ومساءلة^(٢) القبر والميزان والمحاسبة والصراط والحوض والشفاعة وصفة جهنّم وصفة الجنة، ولا يحتمل هذا المختصر ذكرها. وأمّا القيامة الصغرى، فهي الموت؛ لقوله ﷺ: «من مات فقد قامت قيامته». وكلّ ما في القيامة الكبرى له نظير في الصغرى، كما فصل في موضعه.

ومفتاح العلم بيوم القيامة هو معرفة النفس الإنسانية ومراتبها^(٣) في الدرجات والدركات، ومعرفة أنّ الإنسان عالم صغير، فيه جميع ما في العالم الكبير.

فكلّ ما في القيامة الكبرى - وهو موت أفراد العالم جميعاً - له نظير في القيامة الصغرى. فإذا انهدم بالموت بدنك وهو أرضك الخاصّ بك، فقد زُلزِلَت الأرض زِلْزَالَهَا^(٤). وإذا رَمَت عظامك وهي جبال أرضك^(٥) فذُكِّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً^(٦)، فقد نسفت جبالك نفساً. وإذا أظلم قلبك عند النزع^(٧) وهو شمس عالمك، فقد كَوِّرَت^(٨) شمسك. وإذا بطلت^(٩) حواسك، فقد انكدرت نجومك. وإذا انشَقَّ دماغك، فقد انشَقَّت^(١٠) سماؤك. وإذا انفجرت^(١١) من هول الموت عيناك، فقد فُجِّرَت بحارك. وإذا تفرّقت قواك وانتشرت جنودك، فقد حشرت

(١) مج ١: رد.

(٢) مج ٢: مسألة.

(٣) مج ٣: مراتبها.

(٤) اقتباس از سورة زلزله، آية: ١.

(٥) مج ٢: - أرضك.

(٦) اقتباس از سورة حاقة، آية: ١٤.

(٧) مج ٣: النزوع.

(٨) مج ٣: كدرت.

(٩) مج ٢: يطلب.

(١٠) مج ٣: انشق.

(١١) مج ١: انفجر.

وحوشك. فإذا فارقت^(١) روحك وقواك^(٢) عن البدن، فمدّت^(٣) أرضك: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَنَخَّتْ﴾^(٤).

ونظير الصراط استقامتك على طريق التوحيد من غير إبطال^(٥) وتعطيل وعدول إلى ذمائم الأخلاق. ونظير عذاب القبر تألمك بمفارقة المحبوبات. ونظير الافتضاح^(٦) يوم القيامة^(٧) الافتضاح بما ينكشف عن قبائح الأخلاق والأعمال عند^(٨) عارف خبير مطلع على ما في الضمير. ونظير العذاب الدائم في النار^(٩) التألم بمنعك عن المحبوبات والحيلولة بينك وبين نعيم الجنان والنظر إلى الرحمان، فينقطع^(١٠) قلبك عن الخيرات على الدوام. نعوذ بالله.

والموت كالولادة؛ فنسبة القيامة الصغرى بعد الكون الدنياوي إلى الكبرى كنسبة الخروج من مضيق الصلب إلى فضاء الرحم إلى الولادة التي هي الخروج من مضيق الرحم إلى فضاء الدنيا. وإتمام الحمل كزمان القبر والبرزخ. وزمان الآخرة ومكانها بالنسبة إلى زمان الدنيا ومكانها^(١١) كهما بالنسبة^(١٢) إلى زمان الحمل^(١٣) ومكان الرحم. فقس الآخرة بالأولى، ﴿وَمَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْثُبُكُمْ إِلَّا كَنَفِيرٍ وَاحِدٍ﴾^(١٤).

- | | |
|-----------------------------------|-------------------------------------|
| (١) مج ١، مج ٢، مج ٣: فارق. | (٨) مج ٢: - عند. |
| (٢) مج ١، مج ٢، مج ٣: فواه. | (٩) مج ١، مج ٣: - في النار. |
| (٣) مج ١: قذت. | (١٠) مج ٢: فيقطع. |
| (٤) سورة انشقاق، آية: ٤. | (١١) مج ٢: - بالنسبة إلى... مكانها. |
| (٥) مج ١، مج ٢، مج ٣: إلحاد. | (١٢) مج ٣: - بالنسبة. |
| (٦) اصل، مج ٢: الضاح. | (١٣) مج ٢: - الحمل. |
| (٧) مج ٣: - الافتضاح يوم القيامة. | (١٤) سورة لقمان، آية: ٢٨. |

الباب الثاني

في معرفة النفس

التي هي قابلة^(١) للعلوم

(وفيه^(٢) عشرة فصول)

(٢) مج ٢: م.

(١) مج ٢: قاطبة.

الفصل الأول

في بيان^(١)

سبب تعوّقها عن البلوغ إلى الغاية^(٢)

اعلم أنّ الاختلاف^(٣) في المذاهب والطرق غير محصورة في عدد، إلا أنّها مع كثرتها إنّما نشأت من الخلاف في أصول أربعة.

الأصل الأول علم التوحيد؛ كخلاف المجسّمه والمُعظّلة والملاحدة والدهريّة. وهو إنّما نشأ من الجهل بحال مبدأ الموجودات^(٤) ومعادها.

والأصل الثاني^(٥) علم النبوة والأنداز؛ والخلاف^(٦) فيه كاختلاف اليهود والنصارى والصابئين فيه. وهو إنّما نشأ من الجهل بحال الرسول.

والأصل الثالث علم الإمامة^(٧) والخلافة؛ كالاختلاف^(٨) بين الشيعة والسنيّة^(٩) والغلاة والنواصب. وهو إنّما نشأ من عدم المعرفة^(١٠) بحال الإمام ومرتبته في العلم والسياسة.

والأصل الرابع علم الفتاوي والأقضية؛ كاختلاف المجتهدين. وهو إنّما ينشأ من الجهل بالكتاب والحديث والرواية والإجماع. وهذه الاختلافات لكونها في

(١) مج ٢ : - بيان.

(٢) مج ١ : - والخلاف.

(٣) أصل : الإمامة.

(٤) مج ٣ : كاختلاف.

(٥) مج ٣ : السنة.

(٦) مج ١ : الجهل.

(٧) مج ٢ : - بيان.

(٨) مج ٢ : - الغاية.

(٩) مج ٣ : الغاية.

(١٠) مج ٣ : المبدأ للموجودات.

(١١) مج ٣ : + في.

الفروع إنما ينبعث^(١) من الاختلاف في علم التوحيد وعلم النفس. وهما علما^(٢)
المبدأ والمعاد، ومنهما^(٣) ينشأ جميع العلوم. فمتى كان الأصل مجهولاً، كان
الفرع أخرى بأن يكون مجهولاً^(٤).

(١) اصل، مج ٢، مج ٣: تنبعث.

(٢) مج ١: - علما.

(٣) مج ١، مج ٣: منها.

(٤) مج ١: أخرى بالجهل.

الفصل الثاني

في العلم الذي هو فرض^(١)

عين الإنسان ولا بدّ لوجوده البقائي من تعلّمه

وهو العلم اليقيني بقاء الله ووحدانيّته وصفاته وأفعاله، ثمّ معرفة العالم الإنساني وكيفيّة نشأته الأولى والثانية. وكلّ من جهل هذين العلمين، فهو ناقص في قوام وجوده وكمال حقيقته وإن أحكم سائر العلوم؛ كالطفل أو النائم الذي يرى في نومه^(٢) صوراً مختلفة، ثمّ إذا^(٣) استيقظ من نومه لا^(٤) يجد منها أثراً. فهكذا^(٥) حكم الصور التي يراها الإنسان في هذا العالم بحواسّه^(٦) الظاهرة^(٧) أو يتخيّلها بحواسّه الباطنة^(٨)، فكّلها أمور باطلة وأحلام زائلة؛ لا بقاء لها في يقظة عالم الآخرة إلّا العلوم الحقيقيّة التي هي الصورة الأخرويّة ولها أعيان ثابتة عند الله، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآبِرَارِ﴾^(٩).

ولأنّما الفائدة في بعثة الأنبياء وإنزال الكتب من الله هي انتباه النفوس عن^(١٠) نوم الطبيعة وسُنّة الغفلة والجهالة، وإفاقتهم عن سكر القصور والنقصان، وقيامهم^(١١) في القيامة عند الله، وإطلاعهم على صور الحقائق الأخرويّة، ووقوفهم على الحساب والصراط والميزان.

(٧) اصل: الظاهر.

(٨) اصل: الباطنيّة.

(٩) سورة آل عمران، آية: ٩١٨.

(١٠) همه نسخه ها: من.

(١١) مع ٣: قيامتهم.

(١) مع ١، مع ٣: - فرض.

(٢) مع ١: في النوم.

(٣) مع ٣: - إذا.

(٤) مع ١: لم.

(٥) مع ١، مع ٣: وكذا.

(٦) همه نسخه ها: بحواسها.

فلا بد أن يحصل الإنسان^(١) أولاً علم التوحيد وعلم النفس، ثم يتدرج في
البرسوخ في المعرفة إلى أن يصير من أهل المشاهدة العيانة^(٢)، ثم ينظر بنور
التوحيد الشهودي عالمي الخلق والأمر والآفاق والأنفس؛ فيحشر إلى الله
ويسكن إلى جواره ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ﴾^(٣)، تحقيقاً لقوله تعالى:
﴿سَرُبِهِمْ إِبْتِغَاءُ فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَقٌّ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ
أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٤).

* * *

(١) مما نسخه ما: للإنسان.

(٣) سورة لقمان، آية: ٥٥.

(٢) مج ٣: العانة.

(٤) سورة فصلت، آية: ٥٣.

الفصل الثالث

في أنه بأيّ شيء ينال سعادة الآخرة

ويدرك لقاء الله تعالى

اعلم أنّ كلّ ما يقع عليه اسم الكون من الجواهر والأعراض فليس هو ذا هوية مستقلة يمكن اعتبار ذاتها بذاتها مع قطع النظر عن مقومها وموجدتها؛ فلا ذرة من ذرات الأكوان إلّا ونور الحق محيط^(١) بها شاهد عليها.

فلكلّ أحد أن يشهد ذاته ومقومها وموجدتها شهوداً مقدساً عن الجوارح والحواس. ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ﴿بَلْ هُمْ يَلْقَاءُ رَبَّهُمْ كَكْفُرُونَ﴾^(٢)؛ لا لتحقق مانع خارجي، بل لعدم البصر الباطني والسمع العقلي والقلب المنشرح بنور الإيمان. فإنّ الحجاب بين العبد ومعبوده ليس سماء ولا أرضاً ولا برّاً ولا بحرّاً؛ إنّما الحجاب إمّا الجهل والقصور، وإمّا الشهوة والغضب^(٣) والهوى.

فكلّ منخلص ونجا عن أسر^(٤) الطبيعة ومرض النفس والهوس وانفتح بصره وسمعه وانشرح قلبه بنور المعرفة والهدى، اتّصل بعالم الغيب والملا الأعلى وحشر في زمرة الملائكة والنبیین والشهداء والصّالحين وحسن أولئك رفيقاً^(٥)، ويكون آمناً من عذاب الله في دار العقوبة ودرك الجحيم والهاوية السفلى مع الحيّات والعقارب والحشرات والشیاطین وبئس القرين. ومن فتحت بصائرهم لقراءة الكتاب الإلهي وأسماعهم لسماع^(٦) آيات الله، وفهموا أسرار الآخرة،

(١) مع ٢: أسرار.

(١) مع ٢: محيط.

(٥) اقتباس از سورة نساء، آیه: ٦٩.

(٢) سورة سجده، آیه: ١٠.

(٦) مع ٣: لسماع.

(٣) اصل، مع ١، مع ٣: العصية.

وانشرحت صدورهم وقلوبهم لذكر الله؛ فأولئك لهم البُشرى في الحياة الدنيا و^(١)الآخرة، لا تبديل لكلمات الله، ذلك هو الفوز^(٢) العظيم.

(۱) مع ۱ : ۱

(٢) مع ٣: الغفور.

الفصل الرابع

فيما به^(١) يتوسّل إلى معرفة الآفاق والأنفس

اعلم أنّ مراتب المُلْك والملكوت الإلهيّة الحاصلة في عالمي الآفاق والأنفس بمثابة كثر يغلق بابه. وإنّما يفتح ذلك الباب بمفتاح معرفة النفس الأدميّة وعالمها ومملكتها^(٢) وأجزاء ذاتها؛ لأنّ معرفة كلّ شيء إنّما يكون بعد معرفة الذات العالميّة^(٣)، ولا يعرف الإنسان شيئاً إلّا بواسطة ما^(٤) يوجد منه في ذاته ويشاهد في عالمه.

فمعرفة السّماء مثلاً عبارة عن^(٥) حضور صورة مساوية للسّماء في ذات العارف^(٦). وللإنسان أن^(٧) يعرف كلّ شيء، ولذاته قابليّة كلّ صورة؛ إذ ما من شيء إلّا وله نظير فيه.

فجميع الموجودات أجزاء ذاته، وهو مع وحدته جميع الأشياء؛ لأنّ ذاته عالم كبير، وبدنه عالم صغير، وحكمه جارٍ في الأشياء بالتسخير. وما من شيء إلّا ويكون تحت تسخيرهِ بالحقيقة، وذلك لسرّ إلهي أفاده تعالى بقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾^(٨).

واعلم أنّ التسخير على ضربين: حقيقي وغير حقيقي.

-
- | | |
|----------------------|--------------------------|
| (١) مج ٢: ٤. | (٥) مج ٣: - عن. |
| (٢) مج ٣: بمملكتها. | (٦) مج ٣: العالم. |
| (٣) مج ١، مج ٣: ٤ +. | (٧) مج ٣: - أن. |
| (٤) مج ٢: - ما. | (٨) سورة جاثية، آية: ١٣. |

أما غير الحقيقي، فهو على^(١) ثلاثة أقسام:

أدناها الرضعي^(٢) العرضي، كتسخيره تعالى وجه الأرض وما فيها^(٣) للإنسان للحرث والزرع وغير ذلك: ﴿...سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ﴾^(٤)؛ ومن ذلك تسخير الجبال والمعادن: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَنًا﴾^(٥)؛ ومنه تسخير البحار: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾^(٦)؛ ومنه تسخير الفلك: ﴿...وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرٍ﴾^(٧)؛ ومنه^(٨) تسخير الأشجار للغرس وأخذ الثمار وغيرها: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾^(٩)، وقوله: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾^(١٠)؛ ومنه^(١١) تسخير الدواب والأنعام للركوب والزينة وحمل الأثقال، لقوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾^(١٢)، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا^(١٣) عَمِلَتْ أَيْدِيَانَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾^(١٤) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ^(١٥)﴾، وقوله تعالى^(١٦): ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَنْحِرُونَ﴾^(١٧) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّا تَكُونُوا بِلَيْفِهِ إِلَّا يَسِفُونَ^(١٨)﴾ وَالْأَنْفُسُ^(١٩)؛ ومنه تسخير النسوان والجواري للنسل والتوليد: ﴿نَسَاؤُكُمْ تَرْبٌ لَّكُمْ﴾^(٢٠).

وأوسطها التسخير الطبيعي^(٢١)؛ وهو تسخير جنود القوى النباتية ومواضعها للإنسان، للتغذية والتنمية والتوليد والجذب والإمساك والهضم والدفع والتصوير والتشكيل.

- | | |
|-----------------------------|------------------------------|
| (١) مع ٢: - على. | (١٠) سورة طه، آية: ٥٤. |
| (٢) مع ٣: رصفي. | (١١) اصل، مع ١، مع ٣: - منه. |
| (٣) مع ٢: - وما فيها. | (١٢) سورة نحل، آية: ٥. |
| (٤) سورة حج، آية: ٦٥. | (١٣) مع ١: ما. |
| (٥) سورة نحل، آية: ٨١. | (١٤) سورة يس، آيتان: ٧١ و٧٢. |
| (٦) سورة نحل، آية: ١٤. | (١٥) مع ٣: - وقوله تعالى. |
| (٧) سورة ابراهيم، آية: ٢٢. | (١٦) سورة نحل، آيتان: ٦ و٧. |
| (٨) اصل، مع ١، مع ٣: - منه. | (١٧) سورة بقره، آية: ٢٢٣. |
| (٩) سورة طه، آية: ١٤١. | (١٨) مع ٣: الطبايع. |

وأعلاها التسخير النفساني؛ وهو تسخير ملكوت الحواس ومُلْك أعضائها للنفس الإنسانية.

وهذه الجنود المسخرة للإنسان على صنفين: صنف من عالم الشهادة، وصنف من عالم الغيب؛ وهي القوى والمشاعر. وجميعها مسخرة للروح الإنساني بحسب فطرتها مجبولة على طاعته، وهو المحوّل لها بإصبعه^(١) العاقلة والعاملة.

وأما الجند الأوّل، فلا يستطيعون له خلافاً ولا عليه تمرّداً. فإذا أمر العين للانفتاح، انفتحت؛ وإذا أمر الرجل للحركة، تحرّكت؛ وإذا أمر اللسان للكلام وجزم الحكم به، تكلم؛ وكذا سائر الأعضاء الظاهرة.

وأما الجند الآخرة، فكذلك؛ إلّا أنّ الوهم له شيطنة بحسب الفطرة يقبل إغواء الشيطان، فيعارض العقل في مقاصده البرهانية الإيمانية؛ فيحتاج إلى تأييد جديد أخروي من جانب الله، ليقهره ويغلب عليه ويطرده ظلماته.

وأما التسخير الحقيقي، فهو عبارة عن تسخير الله^(٢) المعاني العقلية الإلهية للإنسان الكامل والوليّ الواصل، وجعله بقوّته الباطنية إياها صوراً روحانية أو^(٣) أمثلة غيبية موجودة في عالمه^(٤) العقلي أو نشأته الأخروية، ونقله الأشياء^(٥) من عالم الشهادة إلى عالم الغيب بانتزاعه الكليات من الجزئيات، وقبضه الأرواح من موادّ الأجسام والأشباح^(٦) بإمداد^(٧) الله من اسمه القابض^(٨)، راجعاً من عالم الدنيا إلى الآخرة، ومنقلباً من حال التفرد^(٩) والافتراق^(١٠) إلى حالة الجمع والتلاق، ومن معدن الحزن والسقم والخوف إلى منبع السرور والصحة^(١١) والأمن، ومن محلّ الجهل والشك إلى مقعد الصدق واليقين، وينقلب إلى أهله مسروراً. وذلك يوم التلاق، وذلك يوم الجمع، لا ريب فيه؛ ﴿أَتَخْلَوْهَا يَسْلَمِ آمِينَ﴾^(١٢).

-
- | | |
|----------------------------|-------------------------------|
| (١) مج ١: يا صنعته. | (٧) مج ٢: بإملاء. |
| (٢) مج ١، مج ٣: + تعالى. | (٨) مج ٢: الفائض. |
| (٣) مج ٢: و. | (٩) همه نسخه ها: حلة التفرقة. |
| (٤) مج ٣: حله. | (١٠) مج ٣: - الافتراق. |
| (٥) مج ٣: - ونقله الأشياء. | (١١) همه نسخه ها: السلامة. |
| (٦) مج ٣: - الأشباح. | (١٢) سورة حجر، آية: ٤٦. |

فإذا تقرّر ما ذكرناه وظهر ما نورناه^(١)، انكشف لدى العاقل البصير أنّ جميع ما في العالم من أجزاء الإنسان بالقوّة، وله أن يخرج بها من القوّة إلى الفعل بتأييد الله المبدئ المعيد. فيكون له الإحاطة والتسلّط^(٢) على الكلّ بالإنشاء والاختراع في عالمه؛ يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد^(٣)، بقوّة العزيز الحميد.

تأييد استبصاري:

انظر إلى الكائنات العنصريّة كيف سلكت سبيل العالم الإنساني وتوجّهت بشرط كعبة قلبه^(٤) - التي فيها آيات الحق - في صيرورة الأجسام الأسطقيّة البعيدة الشبه له غذاء لطيفاً بعد تلطفها يسيراً يسيراً، وتحولها من حال إلى حال، وطبيّتها^(٥) درجات النبات والحيوان، وقطع مسالكها البعيدة ودخولها في بلدة قلبه^(٦) وعالمه طائعة مسلمة له دخول الناس في دين الله أفواجاً^(٧)؛ وذلك لكونها مفطورة في خدمة الإنسان وسجدة آدم حركة إليه طلباً وشوقاً وتعبدّاً لدين الله طوعاً أو كرهاً^(٨).

فعلم أنّ جميع الكائنات فداء للإنسان^(٩) متحوّل إليه، وليس فيه تبديل إلى غيره: ﴿لَا بُدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾^(١٠)، ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِي أَلْقَيْتُ﴾^(١١). فمعاد العالم هو ذات الإنسان، ومعاده إلى الهوية الإلهيّة؛ وبمفاتيح عالمه ومقاليد مملكته يفتح مغاليق^(١٢) أبواب السماء والأرض بالرحمة^(١٣) والمغفرة والحكمة والمعرفة.

(١) مج ١: نورناه. (٢) مج ١: التسليط.

(٣) همه نسخه ها: يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد.

(٤) مج ٣: قبله. (٥) مج ٣: طلبها.

(٦) مج ١، مج ٢: غالبه/ مج ٣: قابلية. (٧) اقتباس از سورة نصر، آیه: ٢.

(٨) اقتباس از سورة آل عمران، آیه: ٨٣. (٩) اصل، مج ١، مج ٢: - للإنسان.

(١٠) سورة يونس، آیه: ٦٤. (١١) سورة روم، آیه: ٣٠.

(١٢) همه نسخه ها: مغاليق. (١٣) مج ٢: بالمرحمة.

الفصل الخامس

[في بيان «الكتاب الناطق»]

كل^(١) ما يحتاج إليه الإنسان في أن يستكمل به ويرتقي إلى عالم القدس من حقائق الموجودات ونشأته الدنيا والآخرة وعالمه الخلق والأمر، فهو مكتوب في اللوح الآدمي ومرقوم في الصحيفة الإنسانية بخط معجز ورقم إلهي.

وكذلك يوجد نقش الكل^(٢) في^(٣) الألواح الكونية والصحائف الحيوانية؛ إلا أن كتاب الإنسان أتم وأصدق وأعلى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْإِنْسَانِ لَفِي عِزِّينَ ۝ وَمَا أَذْرَكَ مَا عَلَيَّونَ ۝ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ۝ يَشْهَدُ الْقُرُونُ ۝﴾^(٤)، ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينَ ۝ وَمَا أَذْرَكَ مَا يَحْسَبُنَ ۝﴾^(٥)، ﴿وَلِلَّيْمِزِ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝﴾^(٦)، ﴿وَلِلَّيْمِزِ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝﴾^(٧).

وكل واحد من هذه الكتب العلوية والسفلية ينطق ويشهد بوجود الكاتب^(٨) بالحق^(٩) وعلمه وقدرته: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ۝﴾^(١٠).

وهذا الكتاب الناطق هو بعينه الكتاب الذي يعلق^(١١) في عنق الإنسان ويستخرج يوم القيامة منه؛ فيجب على كل إنسان أن يقرأ كتابه قراءة^(١٢) فهم وتحقيق ويعمل بمقتضاه، لئلا يكون من باب^(١٣) تعليق الدرّ في أعناق الخنازير.

(٢) همه نسخه ها: من ذلك.

(٤) سورة مطففين، آيات: ١٨ تا ٢١.

(٥) مج ٦: - وما أذكرك ما سجين / مج ٣: + كتاب مرقوم.

(٦) سورة مطففين، آية: ١٠.

(٧) سورة مطففين، آيات: ٧ و ٨.

(٩) مج ٣: الحق.

(٨) مج ٢: الكتاب.

(١١) مج ١: يعلق.

(١٠) سورة جال، آية: ٢٩.

(١٣) مج ١: قيل.

(١٢) مج ٣: قراء.

قال الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ (١٣) أَفَرَأَى كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَن أَهْتَدَىٰ فَإِنَّا يَهْدِيهِ لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّا يَضِلُّ عَلَيْهِ﴾ (١٥).

(١) سورة اسراء، آيات: ١٣ تا ١٥.

الفصل السادس

في معرفة الخلافة^(١) الإلهية في العالم الأرضي

كلّ من يريد أن يعلم مدبّر العالم ومرتبّه^(٢) بالتدبير الإلهي والترتيب الحكمي، فليعمد^(٣) أولاً^(٤) إلى معرفة النفس الإنسانية وتديرها للعالم الصغير الإنساني وترتيبها ونظمها لهذه المملكة الآدمية، والغرض الذي تؤمّه^(٥) وتنحو نحوه والسبب الغائي الذي يدعوها إلى هذا النظم والترتيب كيلا يكون فعلها عبثاً ووجودها باطلاً.

ثم إنّ العلم بمدبّر مملكة وكيفية تدبير^(٦) مملكته لا يحصلان إلاّ بوسيلة العلم^(٧) بخدّامه وجنوده. فكذا حكم النشأة الإنسانية؛ فإنّما يعرف والي^(٨) هذه المملكة وتديره^(٩) في ولايته من جهة معرفة خدّامه وقواه المنشعبة^(١٠) من قلبه في قلبه.

ورؤساء هذه الجنود منحصرة في تسعة أعداد: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ كَلِمَاتٍ﴾^(١١)، منها السمع والبصر والشمّ والذوق واللمس. ولكل^(١٢) من هذه

-
- | | |
|------------------------------------|----------------------------|
| (١) مج ٣: الخلاق. | (٧) مج ١: للعلم. |
| (٢) مج ١، مج ٢: مرتبه/ مج ٣: مريه. | (٨) اصل، مج ٢: إلى. |
| (٣) مج ٣: فليعمد. | (٩) مج ٣: تديرها. |
| (٤) مج ٢: - أولاً. | (١٠) مج ٣: المنشعبة. |
| (٥) مج ٣: يذمّه. | (١١) سورة اسراء، آية: ١٠١. |
| (٦) اصل: تدبيره. | (١٢) مج ٣: + واحد. |

الرؤساء موضع خاص من مواضع^(١) هذا^(٢) العالم الأدنى، وهو دار إقامته منذ مضرورية؛ ولهم أيضاً اجتماعات في مجمع مشترك بقرب^(٣) دورهم ومنازلهم.

ثم بعدهم رؤساء التصور^(٤) والتخيّل والوهم والعقل. فالأولان من هؤلاء الأربعة في إقليم العالم الأوسط. والآخران منهم في إقليم الآخرة.

فجنود^(٥) الحواس الخمس مطبوعة في الخدمة من غير عصيان، مجبورة^(٦) في فعلها غير مختارة؛ لكونها محبوسة في سجن هذا العالم. فلكل منها حد محدود^(٧) لا يتعداه؛ فليس للبصر خروج عن رؤية الألوان والأضواء ونقص^(٨) عن فعله، ولا له أن يرى الأبيض أسود؛ وكذا السمع والذوق وغيرها. وكل منها يعجز عن فعل الآخر، وكل له مقام معلوم؛ فالبصر لا يسمع، والسمع لا يبصر، وهما لا يذوقان ولا يشمان، ولا بالعكس؛ وهكذا.

وأما الأربعة الباقية، فكل^(٩) منها بمنزلة المختار في فعله المتفنن^(١٠) في صنعه، يفعل ما يريد متى يريد؛ إذ لها الانتقال من صورة إلى صورة. فالتخيّل يتصور أي صورة كانت ويضبطها في خزانته؛ والوهم يتوهم أي معنى وصورة كانا، ويضبطهما ويتصرف فيهما^(١١) متى شاء.

وأيضاً كل من المنهيات الخمسة يأتي بالأخبار^(١٢) عن النواحي وينهيها^(١٣) إلى والي^(١٤) المملكة من دون فهم الجواب والمراجعة به. بل^(١٥) كل منها بمنزلة رسول مبلغ رسالته من غير أن يكون له خبر من^(١٦) رسالته. فالبصر^(١٧) يتحمل رسالة الألوان ولا يدرك^(١٨) معنى اللون ولا التأدية والرسالة؛ إذ ليس له

- | | |
|---------------------------------|-----------------------|
| (١) مج ٣: موضع. | (١٠) مج ٢: المتقين. |
| (٢) مج ٢: هذه. | (١١) مج ٢: - فيهما. |
| (٣) مج ١: بقرب. | (١٢) مج ٢: بالأخبار. |
| (٤) مج ٣: التصور. | (١٣) مج ١: تنهيها. |
| (٥) اصل: مجنود. | (١٤) مج ١: - والي. |
| (٦) اصل، مج ٢: مجبولة. | (١٥) مج ١: - بل. |
| (٧) مج ٢، مج ٣: + و. | (١٦) همة نسخه ها: عن. |
| (٨) مج ٣: ولا ينقص/ مج ٢: ونقص. | (١٧) مج ١: فالبصر. |
| (٩) مج ٢: وكل. | (١٨) مج ١: + ما. |

أن يدرك ذاته ولا أن يدرك إدراكه الألوان وتأديته إلى المدبّر. بخلاف الجنود الباطنة^(١)؛ فإنّ كلّاً منها يُنهي بالخبر ويفهمه ويرجع بالجواب، والعقل الأخير^(٢) هو القائل^(٣) والمجيب والسامع والحاكم.

وأيضاً أفعال^(٤) هذه الجنود الخمسة لا يتّصل بعضها ببعض^(٥)، ولا يؤدّي واحد منها فعله^(٦) إلى الآخر. فالسمع لا يؤدّي مسموعاته إلى البصر، ولا البصر يؤدّي مبصراته إليه؛ وكذا القياس في البواقي. فالسامع منها أعمى، والبصير منها^(٧) أصمّ. والذائق منها أركم^(٨)، والشامّ منها^(٩) أجذم. وهذه كلّها بخلاف أعيان الجنود الأربعة الباطنة^(١٠). فالفكر يؤدّي الصور التي تأملت إلى الوهم، والوهم إلى الحفظ، والحافظة تسترجعها^(١١) إلى القوّة العاقلة. والكلّ كشخص واحد مفكّر متصوّر حافظ مدبّر حكيم؛ والتفاوت والتمايز^(١٢) بينها^(١٣) بالاعتبار، لا بالمباينة والافتراق كما بين الحواسّ الظاهرة.

نعم، للمدبّر في هذه المملكة الإنسانيّة ودار الخلافة الرّبانيّة أن يعلم ويتصرّف في كلّ من هذه الجنود الظاهرة والباطنة ويفعل فعلها، لكونه^(١٤) مستشرقاً بنور الله العزيز المتّان، فتطيعه أنوار هذه الأكوان؛ لأنّه الحاكم القاهر المدبّر المتصرّف، يسري حكمه إلى كلّ منها وينفذ أمره فيها.

بل هو الذي ينزل^(١٥) من علوّ ذاته وسماء درجته إلى أراضي قابليّاتها^(١٦)، ويفعل^(١٧) فعله^(١٨) في محالّ استعداداتها، ويتجلّى وجه حقيقته في مرائي

(١٠) همه نسخه ها: الباطنية.

(١١) مع ١: يسترجعها.

(١٢) همه نسخه ها: التميّز.

(١٣) مع ٣: منها.

(١٤) مع ١، مع ٢: لكونها.

(١٥) مع ٢: - ينزل.

(١٦) مع ١: قابليها.

(١٧) اصل، مع ٢: تفعل.

(١٨) مع ٣: فعلها.

(١) مع ١: الباطنية.

(٢) مع ٣: إلّا أنّه.

(٣) مع ٣: القابل.

(٤) مع ٢: أقوال.

(٥) مع ٣: إلى بعض.

(٦) مع ٣: - فعله.

(٧) مع ٣: - منها.

(٨) مع ١، مع ٣: أركم.

(٩) مع ٣: - منها.

أعيانها. فهو بعينه اللّامس الشّامّ الذائق السميع البصير المفكّر الحافظ والناظر
الحكيم المتألّه^(١)؛ مع أحديّة ذاته وتعدّد هذه الذوات؛ لأنّها مع كثرتها منهلّة
في وحدته، وهو المالك المدبّر.

وهذه التسع آيات شاهدة^(٢) على ملكه وملكوته بحسب ظواهر خلقها وبواطن
فطرتها. كما أنّه بما له من النشاطين شاهد على من له الخلق والأمر - تعالى
جده. فاقراً من هذا الكتاب حكمة الله في خلق^(٣) السماوات والأرض، وتلبر
في عظمة مبدع الكلّ إله العالمين.

* * *

(١) مج ٣: الإله.

(٢) مج ٣: مشاهدة.

(٣) مج ١: - خلق.

الفصل السابع

في أن للإنسان^(١) عالماً^(٢) آخر

إن^(٣) المنازل التسعة الإنسانية هي بعينها كالأفلاك التسعة في عالم الملكوت الإنساني؛ وللنفس باعتبار كل منها مرتبة معينة من مراتب الملكوت. وهذه الآيات التسع هي التي أتى بها موسى الروح الإنساني، المشار إليها في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ يَدَاكَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ فِي سَبْعِ آيَاتٍ﴾^(٤).

فأمر الله له أن يدخل يده المتصرفة بالفكر في باطنه لإخراج هذه الآيات وإظهارها إلى فرعون القوة المحركة الأمارة بالسوء وقومه من القوى الغضبية والشهوية، ليطيعوا أمر الله ولا يستخدموا بني إسرائيل القوى المدركة في الأغراض الباطلة الفرعونية، والأمانى الواهية الدنياوية. فإن اليد النفسانية هي ذات تسع آيات ملكوتية حصلت^(٥) لها من أشعة نار الله الملكوتية التي زويت في الواد الأيمن^(٦) من عالم القدس.

فمن علم^(٧) هذه الآيات التسع التي شاهدها في كتاب نفسه، فقد حان له أن يقرأ القرآن، ويتلو كلام الله ويشاهد آيات ربه الكبرى، أعني المراتب السبع الباطنية، وهي: الطبيعة والنفس والعقل والروح والسرّ والخفي والأخفى. فيتحقق^(٨) بالسبع المثاني والقرآن العظيم المنزل على محمد - صلوات الله عليه

-
- | | |
|-------------------------------|----------------------------------|
| (١) مع ١، مع ٢: الإنسان. | (٥) مع ١: خصلتين. |
| (٢) مع ٣: منازل. | (٦) اقتباس از سورة قصص، آية: ٣٠. |
| (٣) مع ١: علم أن/ مع ٣: - إن. | (٧) مع ٣: عالم. |
| (٤) سورة نمل، آية: ١٢. | (٨) مع ٣: فيحقق. |

وآله - فإذا شاهد ظاهر كتاب العالم وطالع آيات الله التي فيه بالبصر الظاهري
وطالع آيات ربه الكبرى بالبصيرة القلبية الباطنية، فهو العبد الواصل والولي
الكامل والمطمئن الساكن قلبه عند الله باليقين الدائم من غير شك وتخمين.

* * *

الفصل الثامن

في دلالة كتاب النفس على كتاب الله

وكلامها على كلامه

اعلم أولاً أنَّ الكلام غير الكتاب، وليس أحدهما عين الآخر؛ لأنَّ الكلام لا يدرك إلَّا بالسمع، والكتاب لا يدرك إلَّا بالبصر. فكلام الحق يدرك بالسمع الباطني^(١)، وكتابه بالبصر الباطني^(٢)؛ وأمَّا كلام النفس وكتابها، فإنَّما يدركان بهذا السمع وهذا البصر الظاهريين^(٣).

إذا تقرّر هذا، فنقول^(٤): إنَّ النفس الإنسانيّة إذا استيقظت وانتبهت^(٥) من حالة النوم الجمادي والسنة النباتيّة والغفلة الحيوانيّة، وتحولت إلى حالة القيام الإنساني والنشأة العلميّة الأخرويّة، فأول^(٦) درجة نالتها من الدرجات هي^(٧) درجة^(٨) العدّ والحساب. ولا يوجد هذه الدرجة إلَّا في الإنسان، لارتفاع الملائكة^(٩) العقليّة عنها وانحطاط الحيوانات العجميّة^(١٠) عن نيلها. فالنفس^(١١) الإنسانيّة هي العادّة الماسحة^(١٢)، كما تقرّر في مقامه.

فالنفس في بداءة أمرها عرفت علم العدد والحساب^(١٣) لتعلم^(١٤) به الملكوت

-
- | | |
|---------------------------------------|--|
| (١) مع ١، مع ٢: الباطن. | (٨) مع ٣: - درجة. |
| (٢) مع ٢: الباطن. | (٩) مع ١: الملكيّة. |
| (٣) مع ١: الظاهرين / مع ٢: الظاهرتين. | (١٠) مع ١، مع ٢: اللّحميّة. |
| (٤) مع ٢: مقول. | (١١) مع ١: فإنَّ النفس. |
| (٥) مع ١، مع ٢، مع ٣: تنبّهت. | (١٢) مع ١: المانحة. |
| (٦) مع ١، مع ٢، مع ٣: فأولى. | (١٣) مع ١، مع ٢، مع ٣: العدّ وإلى المساحة. |
| (٧) مع ٢: بين. | (١٤) مع ١، مع ٣: ليعلم. |

الباطنية. ومن مراتب العدد يتولد أساميها، لكن بحكم أن الكلام^(١) إنما يتأتى من جهة السمع؛ فالحروف والأصوات تتقدم^(٢) على تلك الأسامي تقدم البسيط على المركب.

وأسبق الحروف المفردة هي حروف^(٣) المد، لتكوّنها^(٤) من مجرد إشباع الحركة إما إلى الفوق كالألف، أو إلى التحت كالياء، أو إلى الوسط كالواو. ولهذا كانت الألف اسم أول مراتب العدد المفردة^(٥) من الواحد إلى الألف التي بإزائها حروف الجمل من الألف إلى الفين. ثم يحصل^(٦) المركبات من هذه الحروف^(٧) المفردات، ويتألف^(٨) أساميها من أسامي المفردات وأرقامها من أرقام المفردات بتركيب مفردات من^(٩) هذه العوالم بعضها مع بعض.

فالأعداد دليل على وجود عالم^(١٠) العقل، والحروف بأصواتها ونغماتها دليل على^(١١) عالم البرزخ والمثال، والأرقام من عالم الشهادة. فالعدد وجوده في لوح النفس؛ والحروف وجودها في^(١٢) صحيفة^(١٣) الهواء النفسي^(١٤) المتحرك بسبب قوة التكلم^(١٥)، وإنما يدركها السمع^(١٦)؛ والبصر يدرك نقوش كتابة الأسامي الدالة^(١٧) عليها وعلى ما في النفس.

فللأشياء وجود في النفس^(١٨)، ووجود في النفس الإنساني وهو الهواء اللطيف الخارج من باطنه الذي هو^(١٩) بإزاء النفس الرحماني الذي^(٢٠) هو فيض

(١١) مج ٢: - وجود عالم... على.

(١٢) مج ١: + عالم.

(١٣) مج ٣: صفحة.

(١٤) مج ١، مج ٣: النفس.

(١٥) مج ١، مج ٣: المتكلم.

(١٦) مج ١، مج ٢، مج ٣: + للبصر.

(١٧) مج ١: + على ما هي.

(١٨) مج ٢: - وجود في النفس.

(١٩) مج ٢، مج ٣: - هو.

(٢٠) مج ٣: - الذي.

(١) مج ٣: - أن الكلام.

(٢) مج ١، مج ٢، مج ٣: يتقدم.

(٣) مج ٣: الحروف.

(٤) أصل: لكونها.

(٥) أصل: المفرد.

(٦) مج ١، مج ٣: تحصل.

(٧) مج ١، مج ٢، مج ٣: - الحروف.

(٨) مج ٣: تألف.

(٩) مج ١، مج ٢، مج ٣: + كل.

(١٠) مج ١: العالم.

وجوده^(١) المنبسط على مراتب الممكنات، ووجود في الكتابة. فالأول ليس بوضع^(٢) وتعمل، بخلاف الآخرين^(٣). والأول قول النفس، والثاني كلامها، والثالث كتابها. وقول النفس دليل على^(٤) قوله تعالى: ﴿إِذَا أَرَدْتَهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٥)، وكلامها^(٦) على كلامه تعالى^(٧): ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾^(٨)، وكتابها على كتابه تعالى: ﴿الَّذِي كَتَبَ لَكَ الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٩).

واعلم أن الواحد إمام الأعداد كلها وفاعلها ومنشئها؛ إذ ما لم يوجد الواحد لم يكن^(١٠) شيء منها وجود أصلاً، وهو غني عن الكل. لأنها إنما تحصل^(١١) من تكرار^(١٢) الواحد وتفتنه بفنون التحولات وتطوره^(١٣) في أطوار^(١٤) نفسه. فهكذا النفس المتفكرة هي الإمام الذي يتصرف في مراتب العلوم النفسانية ويتطور في أطوار التأملات الفكرية. فللسالك أن يجعلها^(١٥) صراطاً مستقيماً يهتدي^(١٦) به إلى جناب الحق: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾^{(١٧)(١٨)}.

- | | |
|--------------------------------|---------------------------|
| (١) اصل، مج ٢: جوده. | (١٠) مج ٢: يمكن. |
| (٢) مج ١: لوضع. | (١١) مج ١: يحصل. |
| (٣) مج ١، مج ٣: آخرين. | (١٢) مج ١، مج ٢: تكرر. |
| (٤) مج ١، مج ٢، مج ٣: - على. | (١٣) مج ٢: تطور. |
| (٥) سورة نحل، آية: ٤٠. | (١٤) مج ١: بأطوار. |
| (٦) مج ١: كلامه. | (١٥) مج ١: نجعلها. |
| (٧) مج ١: على كلام الله تعالى. | (١٦) مج ١: يهتدي. |
| (٨) سورة توبه، آية: ٦. | (١٧) مج ٢: + له. |
| (٩) سورة بقره، آيتان: ١ و٢. | (١٨) سورة يوسف، آية: ١٠٨. |

الفصل التاسع

في أنّ عالم الملكوت الذي هو باطن هذا العالم
على قياس ملكوت عالم الإنسان الذي
هو باطنه وغيب شهادته

لَمَّا تَقَرَّرَ وَتَبَيَّنَ أَنَّ فِي كُلِّ^(١) شَهَادَةٍ غَيْباً وَبِحَسَبِ كُلِّ ظَاهِرٍ مَشْهُودٌ بَاطِناً
مُسْتَوِراً، وَأَنَّ كُلَّ آيَةٍ جَسَمَانِيَّةٍ تَرْتَبِطُ بِآيَةٍ رُوحَانِيَّةٍ تَعْلُقُ الْمُلْكَ بِالْمَلَكُوتِ وَالْكِتَابَةَ
بِالْمَعْنَى وَالْجَسَدَ بِالرُّوحِ، فَظَهَرَ أَنَّ لَا قَوَامَ لِكُلِّ ظَاهِرٍ جَسَمِيٍّ إِلَّا بِبَاطِنٍ مَعْنَوِيٍّ،
فكَذَلِكَ حَالُ الْعَالَمِ^(٢) وَأَجْسَامُهَا الْعِظَامُ وَمَلَائِكَتُهَا^(٣) الْكَرَامُ.

فَكَمَا أَنَّ قَوَامَ الْبَدَنِ بِالرُّوحِ بَحِثٌ إِذَا انْقَطَعَ ارْتِبَاطُهَا مِنْهُ، انْفَسَخَ وَسَقَطَ؛
وَكَذَا قَوَامُ الْأُذُنِ بِقُوَّةِ السَّمْعِ، وَقَوَامُ الْعَيْنِ بِقُوَّةِ الْبَصَرِ؛ وَهَكَذَا غَيْرُهُمَا^(٤)
حَتَّى^(٥) إِذَا بَطَلَتْ أَرْوَاحُهَا^(٦) وَقَوَاهَا^(٧) وَتَعَطَّلَتْ عَنْ فَعْلِهَا، فَسَدَتْ هَذِهِ
الْأَعْضَاءُ^(٨) وَزَمِنَتْ وَسَقَطَتْ. فَكَذَلِكَ أَجْسَادُ الْفَلَكَ وَالْعَنَاصِرِ، لَوْ لَمْ يَنْحَفِظْ
بِتَعْلُقِ الرُّوحَانِيَّاتِ وَكِتَابَتِهَا وَحِفْظِهَا بِأَمْرِ الْحَقِّ وَكَلَامِهِ، لَمْ يَبْقَ لَهَا أَثَرٌ^(٩)
الْوُجُودِ.

كَمَا أَنَّ فِي عَالَمِ النَّفْسِ تَأْلِيفَ الْأَقْوَالِ إِنَّمَا يَكُونُ لَصُدُورِ^(١٠) صُورِ الْأَعْمَالِ،

-
- | | |
|---|------------------------|
| (١) مَج ٣: - كُلِّ. | (٦) مَج ٢: رَوَاجُهَا. |
| (٢) مَج ١: عَالَمُ الْعَالَمِ. | (٧) مَج ١: قُوَّتُهَا. |
| (٣) أَصْلٌ، مَج ٣: مَلَائِكَتُهَا / مَج ٢: مَلِكَتُهَا. | (٨) مَج ٣: الْعِظَامُ. |
| (٤) مَج ٢: غَيْرُهُمَا. | (٩) مَج ٣: + فِي. |
| (٥) مَج ٣: مَنَى. | (١٠) مَج ٢: لِحُدُودِ. |

لأن حصول الأمر من الأمر الفعّال إنّما يكون لحصول^(١) العمل من المأمور على وجه الامتثال، ليعود أثر ذلك إلى نفس الأمر؛ فلو لم يكن النطق^(٢) والكلام في هذا العالم، لم يتولّد صورة الكتابة و^(٣)الأرقام المختلفة في الأراضي القرطاسيّة^(٤) ولا يرتقي^(٥) من جهة البصر، بل من جهة السمع إلى معادها التي هي العقل الدّراك الفعّال. فكذلك في العالم الإلهي كلّ ما يقدر أولاً بهيئته وزمانه في عالم^(٦) القضاء السابق، فهي توجد^(٧) بواسطة^(٨) الأفلاك وحركاتها على صحيفة وجه الأرض من صور الجماد^(٩) والنبات والحيوان ممّا عملته أيدي الرحمان لغرض^(١٠) العرفان المثمر^(١١) للسعادة الحقيقيّة الحاصلة عند العود إلى من إليه مرجع كلّ شيء وغايته وحياة كلّ حيّ^(١٢) ونهايته.

أو لا ترى^(١٣) أنّ كلّ ما تؤلّف^(١٤) النفس العلامة الفعّالة من^(١٥) صور القول والكتابة بوسيلة الحسّ الظاهر، فيوزن ويقاس أولاً بميزان الفكر ومقياس^(١٦) النظر؛ ثمّ يوجد في الخارج على طبق ما قدّرت وقضيت أولاً؛ ثمّ يعود^(١٧) إلى عالم النفس أخيراً إمّا مستويّاً^(١٨) موزوناً على وجه الصدق والصواب، أو منتكساً^(١٩) معوّجاً على وجه الغلط والخطأ^(٢٠) والكذب الموجب للّعن والعذب؟!.

فكذلك حال صور الكائنات المقدّرة أولاً في عالم القضاء السابق، العائدة من طريق النفس الإنسانيّة إلى عالم الآخرة. فإذا جاء يوم القيامة ووضع الميزان

-
- | | |
|------------------------------|-----------------------------------|
| (١) مج ٣: بحصول. | (١١) مج ١: المثمرة. |
| (٢) مج ٢: التعلّق. | (١٢) مج ١: حيوة. |
| (٣) مج ٣: - الكتابة و. | (١٣) مج ٢: يرى. |
| (٤) همه نسخه ها: قرطاسيّة. | (١٤) همه نسخه ها: يؤلف. |
| (٥) اصل، مج ٢: ترتقي. | (١٥) مج ٣: - من. |
| (٦) همه نسخه ها: العالم. | (١٦) مج ٢: القياس. |
| (٧) اصل، مج ١، مج ٢: يوجد. | (١٧) مج ٣: تعود. |
| (٨) همه نسخه ها: بوساطته. | (١٨) مج ١: مشروباً/ مج ٣: مثوباً. |
| (٩) همه نسخه ها: - الجماد. | (١٩) مج ٣: منكوساً. |
| (١٠) مج ٣: بفرض/ مج ١: بارض. | (٢٠) مج ٣: والغلط. |

كما في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾^(١)، فحينئذ تُجزى كل نفس ما كسبت^(٢)؛ ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾^(٣).

تنبيه:

ثم لا يخفى عليك أن هذه الحواسّ مسخرة للنفس، مجبورة في فعلها وطاعتها لها^(٤)، بمنزلة آلات^(٥) الصنائع لذوي الصنائع^(٦)؛ إذ ليس للآلة أن يشعر بمقدار العمل ومقياس الصنع.

أو لا ترى^(٧) أن اليد إذا^(٨) كانت في عمل^(٩)، فتعطل^(١٠) أو تغلط^(١١) عند اشتغال النفس بفكرها واستغراقها فيه^(١٢)؟ فكذا الحكم في العالم الكبير بالإضافة إلى مدبّر السماوات والأرض ﴿هُوَ الَّذِي الْقِيَوْمُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾^(١٣). فإن بفيض جوده^(١٤) يدور^(١٥) عالم السماء دوران الرحي من الماء، وليس للماء أن يعلم ميزان حركة الرحي من حيث هو^(١٦) آلة مسخرة للمدبّر الرحوي؛ فلا فعل للماء في تحريك الرحي إلا بموجب إرادة الرحوي وتقدير فكره. ولو لم يكن المدبّر وتدبيره^(١٧)، لخرب بناؤه^(١٨) سريعاً؛ فكذلك لو لم يكن أمر الله وقوله وإرادته، لانهدم بناء الأفلاك وانجرّ إلى البوار والهلاك.

فالحق القيوم تعالى أقام العالم^(١٩) في طاعته ظاهراً وباطناً على نهج واحد مستقيم: ﴿مَّا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢٠) ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢١).

- | | |
|--------------------------------------|---------------------------|
| (١) سورة انبياء، آية: ٤٧. | (١١) مج ١، مج ٣: يغلط. |
| (٢) اقتباس از سورة ابراهيم، آية: ٥١. | (١٢) مج ١: - فيه. |
| (٣) سورة مرسلات، آية: ١٥. | (١٣) سورة بقره، آية: ٢٥٥. |
| (٤) مج ٣: - لها. | (١٤) مج ٣: وجوده. |
| (٥) مج ٣: الآلات. | (١٥) مج ٢: يدبّر. |
| (٦) أصل، مج ٢: - لذوي الصنائع. | (١٦) همه نسخه ها: - هو. |
| (٧) مج ١: يرى. | (١٧) و(١٨) مج ٢: تدبّره. |
| (٨) مج ١، مج ٣: إن. | (١٩) مج ٣: للعالم. |
| (٩) مج ٢: عمله. | (٢٠) سورة هود، آية: ٥٦. |
| (١٠) مج ١، مج ٣: فيعطل. | (٢١) سورة حديد، آية: ٣. |

ثم لا يخفى عليك أن لكل آية في عالم النفس مظهراً خاصاً، له حيز خاص، كالبصر. فإن لمظهره - وهو العين - موضعاً معيناً^(١)، وليس للقوة الباصرة مكان وحيز كما هو التحقيق؛ فإن لون المبصرات ليس مكاناً لإدراكه، ولا لصورتها الارتسامية مكان ووضع يقبل^(٢) الإشارة الحسية. فإذا^(٣)، لم يكن للصورة^(٤) الحاضرة عند المدرك وضع وقبول للإشارة الحسية، وكذلك القوة المدركة لها. وهكذا حال سائر الحواس ومشاهدها^(٥) ونشأتها الملكوتية؛ فما ظنك بما فوقها؟ فكل من ظواهر آلات النفس أمور مكانية، وبواطنها أمور لا مكانية؛ فانظر من ثقب هذه المشكاة مصباح نور السماوات والأرض.

فالنفس العلامة المدبرة^(٦) التي تدرك هذه الآيات وملكوتها ليست تحتاج^(٧) في نيلها إلى أن^(٨) تنزل في مكان دون مكان، ولا أيضاً مما تغيب^(٩) وتزول^(١٠) عن مكان إلى مكان. فلا يختص وجودها بالباطن دون الظاهر، ولا بالشهادة دون الغيب؛ فهو الشاهد الغائب العالي^(١١) الداني، ﴿هُوَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾^(١٢) ﴿السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١٣).

فلها أن تسمع^(١٤) كلام الداعي في سماع السمع وتستجيب^(١٥) عن دعائه في أرض الذوق التي^(١٦) تنبت^(١٧) نبات البدن. ومع ذلك ليس لها موضع تخص^(١٨) به، لا في أعلى سماء البدن ودماغه ولا في أسفل أرض قدمه. ولها

- | | |
|-------------------------------------|-----------------------------------|
| (١) مع ٣: خاصاً. | (١٠) مع ١، مع ٣: يزول. |
| (٢) اصل، مع ٢: تقبل. | (١١) مع ٣: الباقي. |
| (٣) مع ١، اصل: فإذا/ مع ٣: فإذا لو. | (١٢) سورة حشر، آية: ٢٢. |
| (٤) مع ١: للصور. | (١٣) سورة اسراء، آية: ١. |
| (٥) مع ٣: شاهدها. | (١٤) مع ١، مع ٣: يسمع. |
| (٦) اصل، مع ٢: المدبر. | (١٥) مع ١، مع ٣: يستجيب. |
| (٧) مع ١: يحتاج. | (١٦) مع ٣: الذي. |
| (٨) مع ١، مع ٣: - أن. | (١٧) اصل، مع ٢: منبت. |
| (٩) مع ١، مع ٣: يغيب. | (١٨) مع ١، مع ٣: يخص/ مع ٢: تختص. |

أيضاً إذا قرأت بنور البصر كتاباً كتبت جوابه من طريق اليد، من غير أن تتحرك^(١) من موضع إلى موضع، بل جميع المواضع والأماكن في عالمها تقوم بها عالية وسافلة^(٢)، يفعل بفعلها كل الآلات والمشاعر ظاهرة وباطنة.

فتنور^(٣) بنورها سماوات المشاعر وأراضي الأعضاء غيباً وشهادة؛ ويقبل جنودها وأوامرها ونواهيها من غير تكلم بأصوات وحروف ولا حركة وتعب، بل بمجرد إرادة و^(٤)أمر نازل من عالي^(٥) حضرة غيب غيوب ذاتها إلى مستوى عرش قلبها أولاً، ثم إلى كرسي صدرها بواسطة جملة القوى والأرواح. فينفعل^(٦) منها جميع البدن والآلات بتأثيرها، ويحيى بحياتها الذاتية، ويتنور بنورها القدسي الوارد عليها من الجانب الأيمن، الواقع منها أشعة وظلال^(٧) على مملكة البدن وقواه المدركة والمحركة.

فكذلك قياس الآيات الكبرى الإلهية في ظواهر العالم الكبير وبواطنه. فالهوية الإلهية المستعملة إياها في شؤونها وأفاعيلها أحق وأحرى بأن يكون منزهاً مقدساً عن التقيد بقيد مخصوص والانحصار بمكان أو وضع بذاته أو بغيره كأحوال الجسم. بل هو الذي به يقوم^(٨) السماء والأرض وما فيهما^(٩) ومعهما^(١٠)؛ وهو الموجد المحرك لكل بمشيئة أزلية وقوة إلهية^(١١) من غير تغير وانتقال وحركة وارتحال. ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^(١٢)، ليس شأن^(١٣) ليس فيه شأنه^(١٤)، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(١٥).

- | | |
|-------------------------------------|--------------------------|
| (١) مج ١، مج ٣: يتحرك. | (٩) مج ٢: فيها. |
| (٢) مج ٢، اصل: عالياً وسافلاً. | (١٠) مج ١: ما معهما. |
| (٣) مج ٣: فتنور/ اصل، مج ٢: فتتنور. | (١١) مج ٢: - إلهية. |
| (٤) مج ٢: - و. | (١٢) سورة غافر، آية: ٦٥. |
| (٥) مج ٢: عالم. | (١٣) مج ٢: - ليس شأن. |
| (٦) مج ١، مج ٣: فينفعل. | (١٤) مج ٢: شأن. |
| (٧) مج ٣: نور ظلال. | (١٥) سورة طلاق، آية: ١٢. |
| (٨) مج ١: تقوم. | |

الفصل العاشر

في تأكد القول في كيفية الوصول إلى العالم الربوبي
ومشاهدة آياته الكبرى وملكوت السماوات العلى
بمفتاح معرفة النفس الإنسانية ومطالعة
آياتها الصغرى وملكوت الحواس والقوى^(١)

لَمَّا علمت في الفصول الماضية أن لا قوام لشيء من هذه الأجسام إلا
بالتعلق بملكوتها وباطنها؛ فَإِنَّ ظاهر الأذن لا يقوم إلا بملكوت القوة السمعية،
وظاهر الفم وجسميته لا يتم إلا بملكوت الحسّ الذوقي، كيلا يخرج الكلام من
باب الذوق^(٢)؛ و^(٣) لو لم يتحقق السماع، لم يمكن تقدير الفكر وانبعائه من
طريق السمع و^(٤) البصر، ولم يحدث الكلام من مخرج الذوق.

فعلى هذا القياس لو لم يكن في هذا العالم الكبير ظاهرُ ملك^(٥) السماء
مرتبطاً بباطن ملكوت عرش الله المجيد وظاهرُ جسميّة الأرض مرتبطاً بباطن
ملكوت جنانه، لم يمكن أن يتولد كلمات الله التي^(٦) لا تنفذ ولا تبديد، في وجه
الأرض بمداد الهيولى التي [هي]^(٧) بمنزلة ريق^(٨) الفم الممدّ لإنشاء الكلام،
والحبر^(٩) لكتابة الأرقام.

(١) مج ٣: القول.

(٢) مج ١: + فعلى هذا القياس لو لم يكن تقدير الفكر...

(٣) اصل، مج ٢، مج ٣: + إنه. (٤) اصل، مج ١، مج ٢: أو.

(٥) مج ٣: تلك. (٦) مج ٣: - التي.

(٧) همه نسخه ها: - هي. (٨) مج ٢: الريق.

(٩) مج ٢، مج ٣: الخبر.

ثم اعلم أنّ في عالم الإنسان ينوط قوام آلات البدن وحياة أشباحها بحياة أرواحها، وكذا تكون^(١) حياة تلك الأرواح متقومة^(٢) بباطن النفس العلامة الفعالة؛ حتى أنّ النفس العلامة الفعالة بالنسبة إلى باطن الأرواح كباطن الأرواح بالقياس إلى ظاهر الأشباح. فتكون^(٣) النفس روح الأرواح و^(٤) قلب القلوب، ومثل نورها في عالمها ومراتبها وأرواحها وأشباحها كمثّل مصباح في زجاجة. وحكم ظاهر جسدها حكم المشكاة تتوقّد^(٥) زجاجتها التي بمثابة الكوكب اللّوئي من زيتونة الفكرة المتشعبة التي ليست^(٦) من شرق الأرواح ولا من غرب الأجساد^(٧)، بل ذات جهتين وواسطة بين العالمين. وإذا صفت الفكرة ونقيت، حصلت منها زيت العقل بالفعل^(٨) الذي^(٩) يكاد زيتها^(١٠) يُضيء^(١١) في عالم المعاد، وإن لم تمسه نار العقل الفعال والروح الأعظم. فإذا استضاء بنور الله، كان نوراً على نور^(١٢).

فالنفس العلامة الفعالة^(١٣) بمراتبها الظاهرة والباطنة ممّا يتنوّر ويحيى بالهوية الحقّة الإلهيّة التي بها^(١٤) حياة الأشياء وقوامها؛ بحيث لو لم يصل إليها مدد^(١٥) الحياة والقوام من الحي القيوم، لانقطعت^(١٦) سلسلة الأسباب وانهدمت السماوات وانطمست الكواكب وتساقطت^(١٧) النجوم وعدمت الإسطقسات. وهو غنيّ في ذاته عن العالمين، لا يحيط به علم ولا تسلّط عليه فكرة؛ وهو القاهر فوق عباده، وهو بكلّ شيء محيط^(١٨).

(١) اصل، مج ٢، مج ٣: يكون.

(٣) اصل، مج ١: فيكون.

(٤) مج ٢: - كباطن الأرواح... الأرواح و.

(٥) اصل: يتوقّد/ مج ١، مج ٢، مج ٣: يتوقّد.

(٦) اصل: - ليست.

(٨) مج ٢: - بالفعل.

(٩) مج ٣: + زيتها.

(١٠) مج ٣: - ليس.

(١١) مج ٢: - بالذّي.

(١٢) مج ٢: - الفعالة.

(١٣) مج ٣: مدة.

(١٤) مج ١، مج ٢: تساقط.

(١٥) مج ٢: لانقطعت.

(١٦) مج ٢: - ليس.

فلا يوصف بوصف ولا ينعت بنعت ولا يحدّد^(١) بحدّد. ولا يعرف ببرهان ولا يقاس بميزان؛ بل هو البرهان على كلّ شيء، وبحياته يحيى كلّ حيّ، وينوره يظهر كلّ نور وظلّ وفيّه. وإنّما مقصود أهل المعرفة من ملاحظة مرآة^(٢) الأنفس والآفاق انعطاف النظر منها إلى ملاحظة نور الأنوار وانمحاء صور^(٣) الأغيار عن صفحة^(٤) بصيرتهم، ليتجلّى وجه الله الواحد القهار.

فانت أيّها السالك، ولّ وجهك شطر كعبة المقصود، وانحر تقرّباً إليه حيوانيتك، وأزل عن طريقك إليه أذى وجودك، واقطع النظر عن مرآة هويتك، لئلا تكون مشركاً ذا الوجهين. فارتق واصعد من مشاهدة آيات الآفاق والأنفس ورؤية ملكوت السماوات والأرض إلى مرتبة التوحيد الحقيقي ومشاهدة لقاء الله الباقي، واتّبع ملة أبيك إبراهيم، وقل كما قال: ﴿وَجْهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ خَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٥)؛ لترى كلّ قدرة مستغرقة في قدرته، وكلّ علم وإرادة مستغرقة في علمه وإرادته، وكلّ سمع وبصر مستهلكاً في سماعه وبصره، وكلّ حياة مضمحلّة في حياته، فتكون^(٦) متّبعاً لشريعة سيّدك وقائدك حبيب الله ﷺ.

فيحبّك الحقّ^(٧)، ويقرب منك قرب الفرائض، وتقرب^(٨) منه قرب النوافل. لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾^(٩) وقوله: «لا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحببته فإذا أحببته كنت سمعه الَّذي به يسمع» (الحديث)^(١٠).

-
- | | |
|--|-----------------------|
| (١) همه نسخه ها: - بنعت ولا يحدّد. | (٢) مج ٢: - مرآة. |
| (٣) اصل، مج ٢، مج ٣: صورة. | (٤) مج ٢: صحيفة. |
| (٥) سورة انعام، آية: ٧٩. | (٦) مج ١: فيكون. |
| (٧) مج ١: - الحق. | (٨) مج ١، مج ٣: يقرب. |
| (٩) سورة بقره، آية: ١٨٦. | |
| (١٠) الكافي، ج ٢، ص ٣٥٣، «صحيح بخارى»، ج ٨، ص ١٣١. | |

الباب الثالث

في أحوال البداءات

[وفيه عشرة فصول]

الفصل الأول

في أقسام^(١) البداءة و^(٢)الأوليّة

اعلم أنّ التقدّم للشيء^(٣) على قسمين:

الأول ما^(٤) بحسب الكميّة للشيء الذي له مقدار متّصل أو عدد منفصل، كخطّ واحد أو^(٥) صفّ واحد؛ فيكون أحد طرفيه متقدّماً والآخر متأخراً. فما بحسب الزمان من جهة ما له من التجدّد والتقضي يسمّى بـ«التقدّم الزماني»، وما بحسب المكان^(٦) من جهة ما له من الوضع والترتيب^(٧) يسمّى بـ«السبق الرتبي»^(٨). فالتجدّد للزمان كالوضع للمكان.

والثاني ما بحسب الوجود؛ لأنّ الوجود ممّا يقتضي لذاته الغنى والحاجة بحسب الكمال والنقص والوجوب والإمكان. فتقدّمه من جهة وجوبه بذاته أو بغيره المستلزم لوجوب وجود آخر، يسمّى بـ«السبق العلّي»؛ ومن جهة أصل الوجود من غير اعتبار الوجوب يسمّى^(٩) بـ«التقدّم بالطبع»، كتقدّم الحوادث المترتبة، إمّا بحسب الذات وإمّا بحسب الزمان.

فملاك التقدّم في هذين أصل الوجود أو تأكّد الوجود، وفي الأولين^(١٠) إمّا الزمان أو المكان. فكما أنّ الزمان علّة التجدّد والتغيّر على الإطلاق، فكذا

-
- | | |
|------------------------|---|
| (١) مج ١: - أقسام. | (٦) مج ٣: المكاني. |
| (٢) مج ٢: - البداءة و. | (٧) مج ٢: - يسمّى بالتقدّم... والترتيب. |
| (٣) مج ١: لشيء. | (٨) مج ١: الترتبي. |
| (٤) مج ١: - ما. | (٩) مج ١: نسّمى. |
| (٥) مج ٢: و. | (١٠) أصل، مج ١، مج ٢: الأولين. |

المكان علة الحضور والغيبة. وهما منشآن للموت والجهل، لأن المتعلق بهما يكون متصفاً بخاصيتهما^(١) من غيبة كل جزء عن^(٢) آخر وغيبة الكل عن الأجزاء؛ على أن الكل ليس غير جميع الأجزاء، فما لم يتجرد^(٣) الصورة عن التجسم والتجدد لم يكن^(٤) موجوداً لذاته ولا مدركاً لنفسه. فمدار العالمية على التجرد.

فالعارف الناظر للأشياء بنور الإلهام يرى العالي والسافل مرة واحدة، وكذا يشاهد الماضي والمستقبل دفعة واحدة^(٥) بمقياس يجده^(٦) من عالمه في ذاته؛ حيث أحاط علماً بما في يده وتصرفه من أعلى قلة رأسه إلى أسفل قدمه جميعاً بعلم واحد، كالعلم بنقطة واحدة؛ وكذا أحاط بالآزمنة التي هي مقدار علمه^(٧) وحركته من أول عمره إلى انتهاء في دفعة واحدة، كالآن.

فبهذا الميزان يعرف معية الحق الأول مع جميع الأشياء المترتبة المتقدمة^(٨) بعضها على بعض معية غير زمانية ولا مكانية، ويعرف إحاطة الأول بجميع الأشياء السابقة واللاحقة إحاطة مقدسة عن التكثر والتغير؛ ويعلم أن البارئ^(٩) إنما سخر المملكة الإنسانية بجميع ما فيها ظاهراً وباطناً وغيباً وشهادة للهوية النفسانية لتعلم^(١٠) ميزان الأشياء وحساب^(١١) الكائنات، وبهذا السبب تقام^(١٢) في القيامة ليوزن أعمالها وأفعالها بالقسط ليوم الحساب. ولو لم يكن^(١٣) معالم الأشياء وموازينها مرتكزة في الفطرة الآدمية، لم تكن^(١٤) مجزئاً بها يوم القيامة، ولم تكن^(١٥) مواخذة عند الله بإهمالها معاقبة بنكالها وضلالها.

أو لا ترى كيف تكون^(١٦) الهوية الإنسانية مجبولة في معرفة الأشياء والتفتيش

- | | |
|----------------------------|-------------------------------|
| (١) اصل، مج ٢: خاصيتها. | (٩) مج ١: المبادئ. |
| (٢) مج ٢: من. | (١٠) مج ١: ليعلم. |
| (٣) مج ٣: تتجرد. | (١١) مج ٢: حسنات. |
| (٤) مج ٣: تكن. | (١٢) مج ١، مج ٣: يقام. |
| (٥) مج ٢: وافقة. | (١٣) مج ١، مج ٢، مج ٣: + طلب. |
| (٦) مج ١: تجده/ اصل: يجده. | (١٤) مج ١: لم يكن. |
| (٧) مج ١، مج ٣: عمله. | (١٥) اصل، مج ٢: لم يكن. |
| (٨) مج ٣: - المتقدمة. | (١٦) اصل، مج ١، مج ٢: يكون. |

عنها والتعمق فيها، بحيث لا تصبر^(١) عن التطلع إلى فهم الأشياء المرتفعة عن فهمها، ولا تقف^(٢) عن البحث عن سرّ القدر وما فوق ذلك عند حدّ لا يتعداه إلى ما هو وراءه ١٩ بل كلما ازدادت^(٣) معرفة واطلاعاً، ازدادت طلباً وشوقاً من غير سكون؛ اللهمّ إلّا في ضعيف الإنسانية^(٤) أو المنحرف إلى الشهوات والشواغل الدنيوية أو المريض النفس بالآفات النفسانية.

إذا علمت هذا، فاعلم أنّ النفس إنّما تعرف الحقائق الكلّية من إعداد الجزئيات بوسيلة إدراك الحواسّ؛ لأنّ النفس في أوّل نشأتها في درجة الحواسّ، ثمّ ترتفع^(٥) إلى درجة التخيل؛ ثمّ التعقل؛ ولهذا^(٦) قيل^(٧): من فقد حسّاً، فقد علماً.

فإذا وقع لها إحساس بجزء من أجزاء العالم وحصل عندها عدد من المحسوسات بالفعل بوسيلة ما في ذاتها من أجزائها التي هي كأنها تلك المحسوسات بالقوّة، إذ^(٨) الشيء لا يدرك شيئاً إلّا بقوة ما في ذاته؛ فإذا أدركتها النفس أودعتها في خزانة مدركاتها، فأمسكت القوّة الحافظة عددها، ثمّ تأملت بالقوّة المفكّرة مدركاتها المستودعة واسترجعتها مرّة بعد أخرى وانتقلت من واحد إلى واحد؛ فحصل لها من ذلك علم العدد والمساحة، ومن هذا قيل: «العدد عقل متحرّك»، إذ^(٩) العدد هو كمّيّة مجموع ما حصل من العلم بجزء جزء من النفس.

فنقول: إذا نظر الإنسان إلى الأبعاد المكانية، وجد أجزاء العالم بعضها محيطاً وبعضها محاطاً به، كطبقات العناصر والأفلاك؛ فعلم أنّ منتهى الجزء المحيط مكان الجزء الذي في جوفه، فيقع في الطلب والفحص من مكان جزء إلى مكان الجزء الذي فوقه حتّى ينتهي في^(١٠) الفحص عن الأمكنة إلى طلب مكان الجزء الذي هو آخر الأجزاء أنّه في أيّ مكان هو.

- | | |
|--------------------------------|------------------|
| (١) مج ١: بصدا/ مج ٢: بصير. | (٦) مج ١: ولذا. |
| (٢) هذه نسخه ما جز مج ١٢: يقف. | (٧) مج ٣: - قيل. |
| (٣) مج ٣: زادت. | (٨) اصل: إذا. |
| (٤) مج ٢: الإنسان. | (٩) مج ٢: - إذ. |
| (٥) مج ١: يرتفع/ مج ٢: ترفع. | (١٠) مج ٣: إلى. |

وكذلك إذا نظر إلى ^(١) الأبعاد الزمانية ووجد أجزاء العالم ^(٢) بعضها متقدماً
وبعضها متأخراً، كالحوادث المترتبة المتسلسلة التي بعضها معدة لوجود البعض،
كالوالد قبل الولد والنطفة قبل العلقة والمفردات قبل المركبات، فيقع في الطلب
والفحص عن بدء هذه السلسلة. فلنذكر مبدأ معرفة المكان والزمان وما
بحسبهما ^(٣) من الترتيب في الفصلين ^(٤) الآتين ^(٥).

* * *

(١) مج ٣: - إذا نظر إلى.

(٢) مج ٢: - العالم.

(٣) مج ٢: بحسبها.

(٤) مج ٣: الفصل.

(٥) مج ٢: - الآتين.

الفصل الثاني

في ماهية المكان

اعلم أنّ مكان كلّ جسم - كما عليه الجمهور من الحكماء - هو السطح الباطن من الجسم الحاوي له، بحيث لم يكن جزء منه خارجاً عن ذلك السطح. وهذا الحال لا يكون إلّا في أجزاء العالم، كأحاد العناصر والأفلاك. فإذا أخذ مجموع ما في العالم من الأمكنة والتمكّنات كلّها بما هو شيء واحد مسمّى^(١) باسم واحد، فلم يبق شيء خارجاً منه خروجاً^(٢) وضعياً حتّى يكون مكاناً للمجموع؛ وإلّا لم يكن المجموع مجموعاً.

وظهر من هاهنا^(٣) أن لا مكان للعالم جميعاً، كما لا عدد لجميع الأعداد والمعدودات من جنسها. وذلك لأنّها إذا فرضها الذهن بحيث لا يشدّ عنها عدد ولا معدود، لا يكون بهذا الاعتبار مقسوماً أبداً ولا عاداً ولا معدوداً؛ فكذا حكم مجموع الأجسام والكمّيات المكانية إذا أخذت بأجمعها كأنّها شيء واحد، فلا يخرج عنه^(٤) جسم ولا مقدار، فلم يكن منقسماً بوجه من الوجوه. فيكون حكمه حكم النقطة، بل أرفع منها عن التحيز؛ لكونها ذات وضع بوجه، بخلافه.

ومن هاهنا علم أنّ العالم واحد، وأنّ الدار الآخرة ليست من جنس هذه الدار، ولا منسلكة معها في سلك واحد؛ بل لها نشأة ثانية^(٥)، لكونها^(٦) داخلة في^(٧) حجب السماوات والأرض، كما حقّقناها في المسائل المعاديّة.

-
- | | |
|---------------------|----------------------------|
| (١) مع ١: سمي. | (٥) مع ١: ثابتة. |
| (٢) مع ١: - خروجاً. | (٦) مع ١: لأنّها. |
| (٣) مع ٢: من هنا. | (٧) اصل، مع ١، مع ٣: - في. |
| (٤) مع ٣: عنها. | |

الفصل الثالث

في ماهية الزمان

الزمان ميزان الحركة ومقياس المتحركات من حيث هي متحركات وليس كما ظنَّ أنه مقدار الوجود مطلقاً، بل هو^(١) مقدار الوجود الضعيف التدريجي ومعبّر امتداده^(٢) بحسب ما يخرج من القوة إلى الفعل لا دفعة. فالحركة خروج الشيء من القوة إلى الفعل لا دفعة. فلا حركة في جوهر الشيء؛ إذ لا بدّ في الحركة من شيء^(٣) ثابت العين متبدّل^(٤) الصفة، وصفة الشيء خارجة عن ذاته. والزمان مقدار هذا التغيّر^(٥)، والآن طرفه كما أنّ النقطة طرف الخط^(٦).

والحركة لكونها أمراً متغيّراً حادثاً تحتاج إلى محرّك فاعل تقوم به، وإلى محلّ قابل تحلّ^(٧) فيه. فكما أنّ مقدار الحركة يقوم بالحركة، فهي أيضاً ممّا يقوم بأمر سابق عليها خارج عن الحركة والزمان؛ وإلاّ لتسلسل الأمر لا إلى^(٨) نهاية. فليس قبل الزمان والحركة زمان وحركة أصلاً. فعلم أنّ محرّك الكلّ أمرٌ وحداني الذات، محيط بالآباد والآزال، غير متجدّد بالمضّي والاستقبال، ولا^(٩) متحدّد بالأمكنة والأحوال، ولا له الحركة والانتقال.

فالتنظر في ماهية الحركة يرشدك^(١٠) إلى العلم بأن ليس عند ربّك صباح ولا

-
- | | |
|-------------------------|-------------------------------------|
| (١) همه نسخه ها: - هو. | (٦) مع ١: كما أنّ الخط والنقطة طرف. |
| (٢) همه نسخه ها: إمداد. | (٧) مع ٢، مع ٣: يحلّ. |
| (٣) مع ٢: - شيء. | (٨) اصل، مع ١، مع ٢: إلى لا. |
| (٤) مع ١: مبتدل. | (٩) مع ٣: - و. |
| (٥) مع ١، مع ٣: التغير. | (١٠) مع ١: ترشدك. |

مساء، وأنّ ساحته^(١) أرفع من توقم التغيير والفناء. فاصعد إلى ذروة العرفان من مهبط^(٢) جهالة السافلين وقل: إني^(٣) لا أحبّ الآفلين^(٤).

تنبيه آخر:

الحركة على قسمين: إحداهما متصلة، كحركة الأفلاك^(٥) وما فيها والأخرى^(٦) منفصلة، كحركات العناصر وما منها^(٧) التي لها ابتداء زمني وانتهاء زمني.

فالزمان أيضاً على قسمين بوجه: أحدهما الزمان المتصل، وهو مقدار حركة العالم من الأيام والليالي والشهور والسنين والقرون. وثانيهما الزمان المنقطع، كزمان نموّ النبات وبلوغ الحيوان وفصول السنة. فكما أنّ عمر الشخص ومدة تكوّنه لا يمكن أن يكون متحقّقاً^(٨) قبله، فكذلك عمر العالم ومدة تكوّنه لا يمكن أن يكون حاصلًا^(٩) قبله.

(١) مج ١: ساحة.

(٢) مج ٢: مهية.

(٣) مج ٣: - إني.

(٤) التباس از سورة انعام، آية: ٧٦.

(٥) مج ١: العناصر.

(٦) مج ٢: الآخر.

(٧) مج ١: فيها.

(٨) مج ١: حاصلًا.

(٩) مج ١: متحقّقًا.

الفصل الرابع

في البداية والنهاية بحسب الوجود^(١) والهوية

التقدم والتأخر في الوجود هو أن يكون شيئان بحيث يكون أحدهما موجوداً بنفسه وإن^(٢) قطع النظر عن الآخر، ولا يمكن للآخر وجود إلا ويكون هو موجوداً، كالحال بين الكاتب والكتابة^(٣)؛ فيقال للأول «متقدم» وللآخر «متأخر» عنه بالذات، وإن كانا معاً في الزمان إن كانا زمانيين. فالبياض مثلاً متقدم على الأبيض هذا النحو من التقدم وهما معاً في الزمان.

ومن خصائص هذا التقدم أن المتقدم^(٤) بحسبه لا يبطل عند حضور المتأخر، بخلاف التقدم الزماني والمكاني.

فأهل النظر إذا فحصوا عن هذا^(٥) العالم، فلم يجز لهم أن يطلبوا له بدءاً زمانياً؛ وإلا لتأذى^(٦) بهم الطلب إلى الوسواس^(٧). بل يجب لهم أن يأخذوا الزمان جزءاً من أجزاء العالم، كما فعله الإلهيون؛ حيث أخذوا العلم بما فيه وما^(٨) معه جملة واحدة كأنها^(٩) شخص واحد، فبحثوا عن علة بدئه^(١٠). وقد وقع التنبيه على أن الزمان وجوده مع المتغيرات، لأنه عبارة عن مكبال يكال به قدر الحركات والمتغيرات^(١١).

-
- | | |
|---|----------------------------------|
| (١) مج ١ : + العنصرية. | (٢) مج ٣ : فإن. |
| (٣) مج ١ : من الكتابة والكاتب. | (٤) مج ٣ : المتقدم. |
| (٥) مج ٢، مج ٣، اصل : بدء. | (٦) مج ١ : لنأذى / مج ٣ : لنأذى. |
| (٧) مج ٣ : الدور والتسلسل. | (٨) مج ١، مج ٢، اصل : - ما. |
| (٩) مج ١ : كانه. | (١٠) مج ٣ : مدبره. |
| (١١) مج ١، مج ٣ : المتغيرات والحركات / مج ٢ : التغيرات. | |

وليس لوجود الجوهر بما هو جوهر ولا لبقاء الحقائق والذوات زمان، إذ لا كميّة لها ولا تغير لذواتها^(١). بل يقال لنسبة الذوات الثابتة إلى الذوات الثابتة «سرمد»، ولنسبتها^(٢) إلى الذوات^(٣) المتغيرة «دهر»، ولبدنها «أزل»، ولانتهائها «أبد»؛ إذ^(٤) لم يكن لها بدء زمني ولا نهاية زمنية؛ ويقال لعلّة وجود الحقائق الجوهرية وقوامها وبقائها «الهوية الإلهية».

فليس بين الله وبين الملكوت النفساني واسطة زمنية؛ بل الملكوت النفساني واسطة بين الله وبين عباده من الجواهر المتغيرة، ليكون وجود الجواهر المتغيرة^(٥) باقية مستمرة بنعت التغير^(٦) مع ميزان التغير والمتغير وهو الزمان. كما أنّ معيّة الملكوت النفساني للجواهر المتغيرة هي الدهر، ومعيّة الهوية الإلهية مع الكل هي السرمد.

* * *

(١) مج ١، مج ٢، اصل: لذاتها. (٤) همه نسخه ها: إذا.

(٢) مج ١، اصل: - سرمد ولنسبتها. (٥) مج ٣: - ليكون... المتغيرة.

(٣) مج ٢: - اللاحقة سرمد... الذوات. (٦) مج ٢: - ليكون... التغير.

الفصل الخامس

في بدء وجود الإنسان

إن^(١) مبادئ الإنسان بحسب حقيقته وأخراه^(٢) - كمبادئه بحسب جسميته وأولاه - أمور أربعة هي من عالم الملكوت النفساني.

أحدها النفس العليا، اسمها^(٣) إسرافيل صاحب الصور، وفعلها^(٤) الخاص نفخ الأرواح في قوالب الأجساد وإعطاء الحياة وقوة الحس والحركة لانبعاث الشوق والطلب.

وثانيها النفس التي اسمها ميكائيل، وفعلها الخاص إعطاء الأرزاق بالتغذية والتنمية على قدر لائق وميزان معلوم.

وثالثها النفس التي اسمها جبرائيل، وفعلها^(٥) الوحي^(٦) والتعليم وتأدية الكلام من الله إلى عباده.

ورابعها النفس التي اسمها عزرائيل، وفعلها نزع الصور من المواد وتجريد الأرواح عن الأجساد^(٧) وإخراج النفس الناطقة من البدن ونقلها من الدنيا إلى الآخرة.

ونحن لا نريد بالقوة الناطقة^(٨) هذه القوة الجزئية التي يتأتى^(٩) بها

-
- | | |
|-------------------------|------------------------|
| (١) مع ٣ : - إن. | (٦) مع ١ : + والإلهام. |
| (٢) مع ١، مع ٣ : أجزاء. | (٧) مع ٣ : الأجسام. |
| (٣) مع ٢ : اسم. | (٨) مع ٢ : - الناطقة. |
| (٤) مع ١، مع ٣ : فعله. | (٩) مع ١ : تتأتى. |
| (٥) مع ٣ : + الخاص. | |

الإنسان^(١) أن يتكلّم بالأصوات والحروف بألة اللسان؛ بل نروم^(٢) بها إمام سائر القوى الباطنة والظاهرة^(٣) في العالم النفساني، وخاصيتها رسم المعاني والصور العلمية في صحائف الملكوت. وهي بحسب التمثيل كاليد في رسم الأرقام الكتابية في صحائف المواد؛ لأنها تضبط^(٤) المعاني العلمية والصور العقلية في صحيفة القلب، وبها^(٥) يصحّ الأفاعيل البشرية، ومنها قوة حركات التغذية والتنمية والتوليد. إذ لتلك النفوس الأربع^(٦) ارتباطات بقوى أربع من هذه النفس الإنسانية؛ فلاسرافيل مع الفكرة^(٧)، ولميكائيل مع الحفظ والإمساك، ولجبرئيل مع النطق، ولعزرائيل مع الصورة.

فلو لم تكن^(٨) القوة الإسرافيلية، لم تنبعث قوة الشوق والطلب والحركة لتحصيل الكمال. ولو لم تكن القوة الميكائيلية^(٩)، لم يحصل النشوء والنماء في الأبدان والتطور في أطوار الملكوت في الأرواح، ولا يحصل الأرزاق الحسية للمخلقة البدنية ولا العلوم^(١٠) الجمّة الغفيرة للفطرة النفسانية^(١١). ولو لم تكن^(١٢) القوة الجبرئيلية، لم يستفد أحد معنى من^(١٣) المعاني بالبيان والقول، ولا يقبل قلب أحد إلهام الحق وإلقاءه في^(١٤) الروح. ولو لم تكن^(١٥) القوة العزرائيلية، لم تكن^(١٦) الاستحالات والانقلابات في الأجسام ولا الاستكمالات و^(١٧) الانتقالات الفكرية في النفوس والخروج من الدنيا والقيام عند الله للأرواح؛ بل كانت الأشياء كلّها واقفة في منزل واحد ومقام أول، ولم يكن لبُنى الأرواح خروج من مكامن الأجسام وبطون الأرحام.

-
- | | |
|--------------------------------------|--|
| (١) مع ٢: للإنسان. | (١٠) مع ٣: - العلوم. |
| (٢) مع ٣: تروم. | (١١) مع ٣: الإنسانية. |
| (٣) مع ١: الظاهرة والباطنة. | (١٢) مع ١: لم يكن. |
| (٤) اصل، مع ١، مع ٢: يضبط. | (١٣) مع ١: - من. |
| (٥) همه نسخة ها: + أيضاً الأفاعيل. | (١٤) مع ١: - في. |
| (٦) همه نسخة ها: الأربعة. | (١٥) اصل، مع ١، مع ٣: لم يكن. |
| (٧) مع ١، مع ٢، مع ٣: المفكرة. | (١٦) اصل، مع ٣: لم يمكن/ مع ١: لم يكن. |
| (٨) مع ١: لم يكن. | (١٧) مع ٢: + لا. |
| (٩) مع ٢: - لم تنبعث... الميكائيلية. | |

فإن إبداع البارئ نطف النفوس في أرحام الأجسام ثم تكميلها وتبليغها بالإرشاد والتعليم إلى درجة البلوغ المعنوي وإنشاءها في النشأة الآخرة، بمنزلة إبداع^(١) الدهقان البذور في الأراضي وسقيها المياه^(٢)، لتنمو وتزيد^(٣) في المقدار وتبلغ^(٤) غاية الكمال. وإليه أشار بقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾^(٥) أنتز تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْمَخْلُقُونَ ﴿٦﴾^(٦) وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾^(٧) أنتز تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٨﴾^(٨).

إشارة:

ما أشبه^(٩) حال النفس الإنسانية - في تقلبها في أطوار الخلقة ووقوعها من عالم الفطرة في مزايل^(١٠) الجهال ونسيانها عالمها عند الهبوط إلى منازل الأردال إلى أن يصل إلى درجة العقل الفعال - بحال البذر في تقاليب^(١١) الأطوار إلى أن يبلغ مرتبة الثمار فيبتدىء^(١٢) أوله وهو بذر يفسد لبه^(١٣) في الأرض ويفنى عن ذاته في الأماكن الغربية؛ ثم يستحيل بقوة نامية من حال إلى حال حتى ينتهي إلى ما كان أولاً، ويصل إلى درجة اللب الذي كان عليها في بدء أمره، مع^(١٤) عدد^(١٥) كثير^(١٦) من أفراد نوعه وفوائد وأرباح^(١٧) كثيرة حاصلة من سفره من الأوراق والقشور والأشجار والأنوار. فيخرج^(١٨) من بين تلك^(١٩) القشور والحشائش لباً^(٢٠) صافياً بإذن الله وثمره صالحة^(٢١) هي نتيجة تلك المقدمات

- | | |
|----------------------------------|------------------------------|
| (١) مج ٢، مج ٣: إبداع. | (١١) مج ٣: إليه. |
| (٢) مج ٣: بمياه. | (١٢) مج ٣: - مع. |
| (٣) اصل، مج ١، مج ٢: ينمو ويزيد. | (١٣) مج ٣: عدا. |
| (٤) همه نسخه ها: يبلغ. | (١٤) مج ٣: كثيراً. |
| (٥) سورة واقعه، آيتان: ٥٨ و ٥٩. | (١٥) مج ٣: ارباح. |
| (٦) سورة واقعه، آيتان: ٦٣ و ٦٤. | (١٦) مج ١: فخرج. |
| (٧) مج ٣: اشبه. | (١٧) مج ٢: - الأشجار... تلك. |
| (٨) مج ٣: مزايل. | (١٨) مج ٣: بها. |
| (٩) مج ١: تقاليب. | (١٩) مج ٣: حاصلة. |
| (١٠) مج ٣: فيبدي. | |

ونهاية تلك الانتقالات، تكون موجودة باقية ببقاء موجودها مع انفساخ تلك الأمور وزوالها.

فظهر لك بما ذكرنا أنَّ اللَّباب الصافي^(١) والمقصود الأصلي من حصول الكائنات هو الروح النطقِي والملكوت الإنساني؛ وإنَّما خلقت الحيوانات والنباتات من فضالته، كتولّد الأوراق والحطب والتبن من^(٢) البذور تطفلاً. ألا ترى أنَّ الدهقان لا يودع البذور في الأراضي للأغصان والأوراق، بل إنَّما يودع البذور للبذور، مع ما يحصل لها من الفضل والزيادة والوفور في الخير والكمال^(٣) ١٢. فكذلك غرض الصانع الزارع لبذور الأرواح - في أراضي قابليّات الأشباح وسقيها من دوالي دولا ب الأفلاك^(٤) التي تديرها^(٥) القوة المحركة الحيوانية الفلكية وتدبرها النفس السائسة للدابة السماوية بسيرها^(٦) وحركاتها الثمان كسير الثواني، طاعة لمدير عقلي وأمر^(٧) إلهي - إنَّما هو فطرة الإنسان -؛ فخلق من فضالته وحشوه سائر الأكوان. وعلى هذه الأحوال^(٨) الخيرات التي تترتب^(٩) على وجودها وهي^(١٠) بعد في عالم الفساد ومنزل الأضداد وسوء الحال^(١١) والاضمحلال. فإذا حان وقت أن يرتحل من هذه الهاوية المظلمة، فذلك وقت حصول ثمرة الأنظار الحاصلة من أشجار الأفكار، والخروج من القشور والجلود النباتية والحيوانية إلى لباب نور فطرة الإنسانية المستضيئة في عالم الأنوار ومعدن الأخيار، والانتباه والقيام من رقدة^(١٢) الجهالة ونوم الغفلة إلى تربة^(١٣) الحكمة الإلهية الحاصلة لأولي الأيدي والأبصار. وهذا بالحقيقة سرّ خطيئة آدم ﷺ وسقوطه عن جنة قدس المعرفة إلى منزلة الأقدام ومزابل^(١٤) تحاوليل النفوس وبعده عن مأواه وزلة قدمه.

-
- | | |
|---------------------------------------|--------------------------------|
| (١) مج ٢: الضادف. | (٨) همه نسخه ها: + و. |
| (٢) مج ٢: و. | (٩) اصل، مج ١، مج ٢: يترتب. |
| (٣) مج ٣: الكمالات. | (١٠) مج ٢: بين. |
| (٤) مج ٣: الفلك. | (١١) مج ٣: - الحال. |
| (٥) مج ١، مج ٣: يدبرها/ مج ٢: تدبرها. | (١٢) مج ٢: رقدة. |
| (٦) مج ٢: نسيرها. | (١٣) مج ٢: مرتبة/ مج ٣: رتبته. |
| (٧) مج ٣: أم. | (١٤) اصل، مج ٢، مج ٣: مزابل. |

فإذا قام من سقوطه ونهض من منزلة قلعه في هذه المدة والأيام الستة^(١)
 الإلهية وتاب وأناب إلى ربه^(٢) في دار الثواب ورجع إلى رب الأرباب وبلغ إلى
 فطرته الأصلية، فاستوى جالساً في فلك المعرفة، ركباً على سفينة النجاة، ناجياً
 عن الهلاك والغرق في بحر الطبيعة، قائلاً: ﴿يَسِرُّ اللَّهُ بِجَهَنَّمَ وَمُزْمَنًا﴾^(٣)؛
 فأخبر عما رآه من آيات ربه الأعلى ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ
 اسْتَوَى﴾^(٤).

* * *

(١) مج ٢، مج ٣: السنة.
 (٢) سورة هود، آية: ٤١.
 (٣) سورة يونس، آية: ٣.
 (٤) مج ٣ - إلى ربه.

الفصل السادس^(١)

في سجود الملائكة لآدم ﷺ

اعلم أنّ الباريء - جلّ ذكره - أقام النفس الأدميّة على أربع قوائم، ليقوم بهذه القوائم على مسند التكلم والخطاب مع أهل العالم^(٢). فالقدم الأولى في الأرض، واسمها «الطبيعة»؛ والثانية في الماء، واسمها «القوة النامية»^(٣)؛ والثالثة في الهواء، واسمها «القوة الحيوانيّة»؛ والرابعة في النار، واسمها «القوة النفسانيّة»؛ فافهم^(٤).

فالروح كلسان^(٥) إنسان^(٦) فصيح يخاطب جميع^(٧) طوائف العالم؛ فالقدم التي منه في الأرض مائة^(٨)، والتي في النبات نامية^(٩)، والتي في الحيوان هائمة^(١٠) مدهوشة طالبة، والتي في الإنسان يقظانة ناطقة. وهذه الأرجل منها منكسرة^(١١)، ومنها منكوسة، ومنها متوسطة في الانتكاس والاستقامة، ومنها قائمة.

فالنفس في أول نشأتها مكسورة القدم؛ فإذا زال الانكسار وامتدت قدمها،

(١) مج ١: الثامن. (٢) مج ٢: - العالم.

(٣) مج ٢: النباتيّة (بجاء «القوة النامية»). (٤) مج ١: - فافهم.

(٥) مج ٣: كل.

(٦) مج ١: الإنسانى كلسان (بجاء «كلسان إنسان»).

(٧) همه نسخه ها: مع. (٨) مج ٣: نباتيّة/ مج ١، مج ٢: مائة.

(٩) اصل: هائمة/ مج ١، مج ٣: قائمة. (١٠) مج ٣: - هائمة.

(١١) مج ٣: مسكنرة.

خرجت إلى النبات منكوسة؛ وإذا مالت عن الانتكاس إلى رتبة^(١) البهائم،
توسّطت في الانتكاس والاستقامة؛ وإذا وصلت في حركاتها إلى درجة
الإنسانية، استقامت قامتها و^(٢)قامت قيامتها لتقوم^(٣) عند الباري.

وهذه القوائم^(٤) الأربع ثلاث منها ظلمات بعضها فوق بعض، ولا يحصل
القيام والانتباه إلا لمن له قدم صدق عند ربّه^(٥).

* * *

(١) مج ٢: مرتبة.

(٤) مج ٣: القوايع / مج ١: القوايم.

(٢) مج ٢: - قامتها و.

(٥) اقتباس از سورة يونس، آية: ٢.

(٣) همه نسخه ها: ليقوم.

الفصل السابع

في ماهية إبليس والشیاطین

إبليس^(١) کلّ انسان هو نفسه عند متابعة الهوى وسلوك طريق الوسواس والجحود والعتوّ والاستکبار^(٢)؛ لكن أول من سلك سبيل الغواية والضلالة وطرده الحق من^(٣) عالم رحمته وقع عليه اسم «إبليس». وهو الجوهر النطقي الشرير الحاصل من عالم الملكوت النفساني بجهة ظلمانية رديئة، كالإمكان ونحوه؛ وشأنه الإغواء وسبيله الإضلال، كما في قوله تعالى حكاية عن اللعين: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾، وقوله: ﴿فِيمَا أَغْوَيْنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٤). والقوة الفكرية الإنسانية في الابتداء كشعلة ملكوتية، لها^(٥) نور الإلهام وظلمة الوسواس؛ لأنّ تكوين^(٦) النفس من موادّ هذا العالم وأدخنة العناصر أصابها نور إفاضة الحق، كما ورد عن النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فِي ظِلْمَةٍ ثُمَّ رَشَّ عَلَيْهِمْ مِنْ نَوْرِهِ». (الحديث). فهذه النفوس في أول خيلقتها ممتزجة من النور والظلمة، ففيها الإلهام والوسوسة والهداية والغواية.

فالحكم للعاقبة في كلّ أحد: فمن غلب عليه الشيطنة من الحيلة والمكر والتمرد عن^(٨) طاعة الله^(٩)، وطلب الأنانية والافتخار، وزال^(١٠) عنه^(١١) السكينة

(٧) اصل: تكون.
(٨) مج ٢: من.
(٩) مج ٣: + وأتباع الرسول.
(١٠) مج ٣: زوال.
(١١) مج ٣: عن.

(١) اصل: إبليس.
(٢) مج ٣: الفساد والاستكهار.
(٣) همه نسخه ها: عن.
(٤) سورة ص، آيتان: ٨٢ و ٨٣.
(٥) سورة اعراف، آية: ١٦.
(٦) مج ٢: لهم.

والطمأنينة، وانقطع عن قلبه إلهام الملائكة وإفاضة الحق عليه بالعلوم^(١) الحقّة
الإيمانية؛ فهو من حزب الشيطان، فيكون مآله إلى دار البوار ومنزل الأشرار.
ومن غلب عليه طلب المعرفة، وظَهَرَ أرض نفسه من^(٢) خبائث^(٣) الصفات
الرديلة والشُرور النفسانية - من طلب الشهوات والمعاصي والسفسطة في العقائد
والوسواس في العبادات والحيلة في المعاملات - وتنوّر قلبه بالإيمان بالله واليوم
الآخر؛ فهو من أولياء الله: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٤)؛
﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٢٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٨﴾ فَإِنَّ الْجَنَّمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٢٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ
وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٣٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣١﴾﴾^(٥).

واعلم^(٦) أن تطرّق الوسوسة في النفس إنما يكون لأجل سقوطها عن فطرتها
الأصلية ومقامها الفطري، كتطرّق^(٧) المرض إلى البدن بالاعتلال لأجل انحراف
مزاجه عن صوب الاعتدال^(٨): «من صحّت طبيعته، صحّت شريعته».

* * *

-
- | | |
|---------------------------|----------------------------------|
| (١) مج ١: العلوم. | (٥) سورة نازعات، آيات: ٣٧ تا ٤١. |
| (٢) همه نسخه ها: عن. | (٦) مج ٢: - واعلم. |
| (٣) آس، مج ٢: جناية. | (٧) اصل، مج ٢: لتطرّق. |
| (٤) سورة مجادله، آية: ٢٢. | (٨) مج ٢: الاعتلال. |

الفصل الثامن

في أَنَّ إلهام الملك ووسوسة الشيطان يقع في النفوس على وجوه
وعلامات أربعة

أحدها كالعلم واليقين الحاصلين من جانب يمين النفس - أعني القوة العاقلة -
في مقابلة الهوى والشهوة الحاصلتين من جانب شمال النفس - أعني القوة
الوهمية -.

وثانيها أَنَّ صورة العالم الإنساني^(١) المطابقة^(٢) لصورة هذا العالم هي بمنزلة
عقبة بين وسوسة الشيطان وإلهام الملك.

فإنك مهما نظرت إلى آيات الآفاق والأنفس على سبيل الاشتباه والغفلة
والإعراض عنها كما وقع للعوام والمقلدين والمجادلين، نشأت لك منها الشبهة
والوسواس^(٣) في الواهمة والمتخيلة؛ وهي على جانب الأيسر من القوة النطقية،
كما^(٤) في قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ
عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾^(٥). وفي الحديث: «وَيْلٌ لِّمَنْ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ»^(٦) - إشارة إلى قوله
سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٧) (الآية). - ثم مسح بها^(٨) سبلته.
وإذا نظرت إلى تلك الآيات على سبيل النظام والإحكام، زالت عنك الشكوك

(٥) سورة يوسف، آية: ١٠٥.

(٦) مج ٣: - الآية.

(٧) سورة بقره، آية: ١٦٤.

(٨) مج ١: - بها.

(١) مج ١: الإنسان.

(٢) مج ١: المطابق.

(٣) مج ٢: الوسوسة.

(٤) مج ٣: + وقع.

والأوهام وحصلت لك المعرفة والحكمة في القوة العاقلة؛ وهي على الجانب الأيمن منها.

فالآيات المحكمات بمنزلة الملائكة المقدسة من العقول والنفوس الكلية، لأنها هي مبادئ العلوم اليقينية؛ والمتشابهات الوهميات بمنزلة الشياطين والنفوس الوهمانية، لأنها مبادئ المقدمات السفسطية.

وثالثها متابعة أهل الجحود والإنكار وأهل التعطيل والتشبيه والكفار في مقابلة طاعة الرسول المختار والأئمة الأطهار والحكماء الأخيار عليهم السلام والرضوان^(١) من الله المليك الجبار. فكل من سلك سبيل الضلال فهو بمنزلة الشياطين^(٢)؛ ومن اتبع الهوى، فقد تابع الشيطان اللعين^(٣). ومن سلك سبيل الهداية، فهو من جملة أهل الله وذوي الإلهامات الحقّة من الأنبياء والأولياء الذين درجتهم درجة الملائكة المقربين المهتمين الملهمين للكتاب والحكمة. فأولئك حزب الله؛ والفرقة الأخرى حزب الشيطان.

ورابعها أن^(٤) الملائكة الروحانية التي هي سكّان عالم الملكوت السماوي في مقابلة الأبالسة المطرودة عن باب الله، المحبوسة عن جناب القدس، الممنوعة عن ولوج السماوات، المحبوس في الظلمات. فمن كان علومه وإدراكاته في الموضوعات العالية والأعيان الشريفة، كالإيمان بالله وملائكته العقلية وكتبه السماوية ورسله واليوم الآخر والبعث وقيام الساعة ومثول^(٥) الخلائق بين يدي الله وحضور الملائكة والنبيين والشهداء والصالحين، فقد شابه^(٦) الملائكة وجنود الرحمان. ومن كان علومه وإدراكاته من باب الحيل والخديعة والسفسطة والتأمل في الأمور الدنيوية، ولم يخرج من فهمه من دار المحسوسات، فقد شابه الشياطين المحبوسة في طبقات الجحيم، المحرومة في الدنيا عن الارتقاء إلى

(١) مج ٢: - والرضوان. (٤) مج ٣: - أن.

(٢) مج ٣: الشيطان. (٥) مج ١: سؤال.

(٣) مج ٣: - اللعين. (٦) مج ٢: مثابه.

ملكوت السماء^(١)، المحجوبة في الآخرة عن دار النعيم؛ فهو محشور معهم، حاضر^(٢) في زمرةهم.

واعلم أنّ طبقة من الجنّ وضرباً من مردة الشياطين المنسلخة عن الفطرة حيث سقطت درجاتهم عن درجة الملكوتيين^(٣)، لا اقتدار لهم على فعل الضرر^(٤) على أحد من أهل السلوك؛ لأنهم صمّ بكم عميّ مقيدون في السلاسل والأغلال، معذبون بنار الجحيم والعذاب والنكال الأليم.

وارد كسفي؛

قد انكشف أنّ أصل الضلال والعمى والجهل من الشيطان، وأصل الهدى والبصيرة واليقين من الملك. واسم إبليس كاسم شجرة خبيثة، والشياطين بمنزلة أغصان هذه الشجرة الملعونة^(٥)، وأوراقها وأثمارها^(٦) هي الأفكار الجزئية المتعلقة بالشهوات العاجلة الحيوانية واللذات الدنيوية. وأشير إليه في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾^(٧) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ^(٨) فَإِنَّهُمْ لَا كَلُونَ مِنْهَا فَأَلَوْنَ مِنْهَا الْبُطُونَ^(٩) واسم الملك والعقل كاسم شجرة طيِّبة أضلُّها ثابت وفرعها في السماء تُؤتي أكلها كلّ حينٍ بإذن ربِّها^(١٠)؛ كما أشير^(١١) إليه في القرآن. وثمارها الحاصلة منها هي العلوم الكلّية والمعارف الإلهية. وهي أيضاً شجرة طوبى التي غرسها يد^(١٢) الرحمان. وهي أيضاً شجرة مباركة زيتونة^(١٣)، لا شرقية ولا غربية^(١٤)؛ لتجردها عن شرق العالم وغربه وعدم اختصاصها بمكان أو زمان. فلا^(١٥) يوجد في جانب دون جانب، كما لا يوجد في وقت دون وقت.

(٨) اقتباس از سورة ابراهيم، آيتان: ٢٤ و ٢٥.

(٩) مج ١: ١ يشير.

(١٠) اصل: - يد.

(١١) همه نسخه ها: زيتونة.

(١٢) اقتباس از سورة نور، آية: ٣٥.

(١٣) مج ١: ١ ولا.

(١) مج ٢: السماوية.

(٢) مج ٢: - حاضر.

(٣) مج ١، مج ٢: الملكوتيين.

(٤) مج ٣: الصراط.

(٥) اقتباس از سورة اسراء، آية: ٦٠.

(٦) اصل، مج ٢: ثمارها.

(٧) سورة صافات، آيات: ٦٤ تا ٦٦.

الفصل التاسع

في وجه الحكمة في خلق الشياطين

إنَّ الإنسان كما ينتفع^(١) من إلهام الملك، ينتفع^(٢) من وسوسة الشيطان بوجه. فإنَّ وجودها من الله لا محالة^(٣) لحكمة ومصلحة؛ وإلا لم يوجد، لاستحالة العبث والتعطيل عليه تعالى. فإنَّ^(٤) أتباع^(٥) الشياطين كلُّهم تبعه^(٦) الوهم والخيال؛ ولو لم يكن أوهام المعطلين وخیالات المتفلسفين والدهريين وسائر أولياء الطاغوت ومراتب جريزتهم^(٧) وفنون اعوجاجاتهم^(٨)، لما انبعث أولياء الله في تحقيق الحقائق وتعليم العلوم وطلب البراهين لبيان^(٩) التوحيد وعلّة الحدوث للعالم بالكشف^(١٠) واليقين وغير ذلك. وكذا في الأخلاق والأعمال مثلاً لو لم يكن اغتيال المغتابين وتجسس المتجسسين لعيوب الناس، لم يجتب كل الاحتساب من العيوب الخفية^(١١) التي لا يراها أحباؤه؛ وإنما يظهر له ثبوتها^(١٢) من تدقيقات أعدائه وتجسسهم عيوبه وإظهارهم إيّاها. فكم من عدو خبيث الذات انتفع^(١٣) الإنسان من عداوته أكثر ممّا انتفع^(١٤) من محبة صديقه؛

(١) مج ١ : ينفع.

(٢) مج ١ : ينفع.

(٣) مج ١ : لا محالة من الله.

(٤) مج ١ : - فإن.

(٥) اصل : أتباع.

(٦) مج ٢ : جريزتهم / مج ٣ : جزيرتهم.

(٧) مج ١ : - وفنون اعوجاجاتهم / مج ٣ : احوجاجاتهم.

(٨) مج ٢ : لبيان.

(٩) مج ٣ : الخسبة.

(١٠) مج ٣ : ينتفع.

(١١) مج ٣ : ينتفع.

فإنَّ المحبةَ ممَّا يورث الجهل بعيوب المحبوب والعمى والصَّمم^(١) من^(٢) معاينة معاينه وسماع مثالبه^(٣)، كما قيل:

وعين الرضا عن^(٤) كلِّ عيبٍ كليله وعين العداوة قد تبدي^(٥) المساويا
فظهر أنَّ لوجود الأعمال الشيطانية منافع عظيمة للناس. ومن فوائد الآلام
والمحن التي تصل^(٦) إلى العبد من أهل الظلم والفسق أنَّه يوجب له^(٧) سرعة
الرجوع إلى الله تعالى وترك الإخلاد إلى الأرض والاجتناب عن أهل الدنيا
وطلب أهل الآخرة، لما يرى من أبناء الزمان ويصل إليه^(٨) بسببهم من المحن
والآلام الشديدة ما يزعجه عن الخلق^(٩) ويملّه^(١٠) عن الدنيا ونعيمها^(١١)؛
فيفرّ^(١٢) طبعه^(١٣) عنهم فراراً إلى الله وتشبّثاً منهم إلى^(١٤) مسبب الأسباب
ومسهل الأمور^(١٥)، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾^(١٦)؛ كما في المثنوي
الفارسي:

این جفای خلق با تو در جهان گربدانی گنج زر آمد^(١٧) نهان
خلق را با تو چنان بدخو کند تا تو را ناچار رو آنسو کند^(١٨).

* * *

-
- | | |
|---|---------------------------|
| (١) مج ٣: صم. | (٢) همه نسخه ها: عن. |
| (٣) مج ٢: مثاليه/ مج ٣: مثاله. | (٤) مج ١، مج ٢: من. |
| (٥) مج ١، مج ٣: يدي. | (٦) اصل، مج ١، مج ٢: يصل. |
| (٧) مج ٣: به. | (٨) مج ٣: إليهم. |
| (٩) مج ٢: - عن الخلق. | (١٠) مج ٣: حليه. |
| (١١) اصل، مج ٢، مج ٣: بينها. | |
| (١٢) مج ١: + وطلب أهل الآخرة لما يرى من أبناء الزمان ويفرّ. | |
| (١٣) مج ١: الطبع. | |
| (١٤) اصل، مج ٢، مج ٣: - وتشبّثاً منهم إلى. | |
| (١٥) مج ٣: + الصعاب. | (١٦) سورة ذاريات، آية: ٥. |
| (١٧) اصل، مج ٢: باشد/ مج ١، مج ٣: زرین. | |
| (١٨) مثنوي، دفتر پنجم، آیات ١٥٢١ و ١٥٢٢. | |

الفصل العاشر

في ذكر المحصول من هذه الفصول

قد ذكر فيما سبق من الأقوال أحوال مبادئ الأفعال وبيان النفس الإنسانية وكيفية استكمالها واستبصارها بمشاهدة المفردات والأصول حسبما^(١) مضى ذكره في الفصول؛ فالآن ينبغي لك إذا تفحصت^(٢) والتمست عن مبدأ نشوء الإنسان ومراتب ترقياته واستكمالاته أن^(٣) تتفحص وتلتمس عن^(٤) غاية كونه وصنعه ومراتبها. فإنَّ المبدأ وإن كان واحداً والغاية وإن كانت^(٥) واحدة، لكن لكل منهما مراتب ودرجات؛ كما^(٦) أنَّ للمبدأ مراتب ودرجات^(٧) يكون كلها في عداد المبدأ، فللغاية^(٨) أيضاً مراتب ودرجات يكون^(٩) كلها في عداد الغاية.

وقد علم في الباب الثاني والثالث أنَّ الإنسان ذو وجهين وذو نشأتين: أحدهما وجه جسماني متغير قابل للفناء؛ والآخر وجه نفساني منير^(١٠) ثابت دائم بدوام علته الفياضة، حيٌّ بحياة ربه الباقي، كما في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۖ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(١١). والوجه الجسماني إنما حياته وبقاؤه بالوجه^(١٢) النفساني، ومنه يصل المدد والفيض إلى هذا^(١٣)؛ ولو

(١) مج ١: جسماني.

(٢) مج ١، مج ٣: أن.

(٣) همه نسخه ها: - وإن كانت.

(٤) مج ٢: - أنَّ للمبدأ مراتب ودرجات.

(٥) مج ٢: - كلها في عداد... يكون/ مج ٣: - يكون.

(٦) مج ٣: - منير.

(٧) مج ٢: - بالوجه.

(٨) آس، مج ١: - إلى هذا/ مج ٣: إلى الوجه الجسماني.

(٩) مج ٣: تفصحت.

(١٠) مج ٢: من.

(١١) مج ٣: فكما.

(١٢) (٨) اصل: فالغاية.

(١٣) سورة رحمان، آيتان: ٢٦ و٢٧.

انقطع فيضه^(١) منه لحظة، لَحْرَبَ سريعاً وانهدم بناؤه وتعطلت آلاته وتفسخت^(٢) صورته.

فأنت إذا طلبت مبدأ الإنسان وفتشت عنه، فعليك أن تطلب وتفتش عن مبدأ جوهريته^(٣) جميعاً^(٤): الجسماني والروحاني. فمبادئ الجوهر الجسماني منه مرتبة الجسم المطلق والهيولى الأولى التي لا نعت لها في ذاتها ولا حلية ولا صورة سوى الامتداد والانبساط في الأبعاد؛ وهو مناط القوة والجهل والفقد والغيبة عن الاجتماع والحضور، والبعد عن الوحدة والاقتران في الوجود. وذلك لغيبة كلّ جزء عن غيره وتباعد الأطراف والأبعاد بعضها عن بعض؛ فيفقد^(٥) المجموع عن المجموع، لأنه عين الأجزاء. ثمّ الجسم الطبيعي، وله صورة طبيعية هي مبدأ الكيفيات الفعلية والانفعالية، كالجواهر المعدنية. ثمّ الجسم النباتي الذي له صورة ينشأ منها الحركة في النماء وطلب الغذاء^(٦)، كالنطفة التي حصلت فيها قوة الجذب والنشوء لصيورتها مضغة^(٧). ثمّ الجسد الحيواني الذي صورته مبدأ الحسّ و^(٨) الحركة^(٩) الاختيارية، كالطفل. ثمّ البدن الإنساني الذي له قوة التمييز بين الضارّ والنافع والخير والشرّ. فهذه خمسة مبادئ جسمانية للإنسان بحسب هويته ونشأته الجسمانية. وأمّا المراتب التي له بحسب هويته الروحانية، فعلى هذا القياس عند أهل البصيرة. فإنّ أول مبادئ النفسانية هو كحال النفس وقت اتّصالها بالجسم المفرد الذي له^(١٠)؛ لا نعت لها فيه سوى صفة الجسميّة، ويكون اسمها حينئذٍ الطبيعة. ثمّ كحالها^(١١) عند كونها في الجسم المركّب، واسمها القوة^(١٢) المزاجيّة عند ذلك. ثمّ

(١) اصل: خيره/ مج ٣: خبره.

(٢) مج ٣: انفسخت.

(٣) اصل، مج ١: جوهرية.

(٤) مج ١: - جميعاً.

(٥) مج ١: فينفقد.

(٦) مج ٣: للغذاء.

(٧) همه نسخها: كالمضغة.

(٨) مج ١: ينشأ منها (بجاء «مبدأ الحسّ و»).

(٩) مج ٢: + و.

(١٠) اصل: - له.

(١١) مج ١: كما/ مج ٣: لها.

(١٢) مج ٢: الصورة.

كوقوعها^(١) في درجة الأجسام النباتية، واسمها حينئذ النفس النامية^(٢). ثم كصيرورتها^(٣) نفساً حيوانية، كما^(٤) في سن الطفولية^(٥) والصبا للإنسان. ثم نفساً إنسانية، كما في مرتبة البلوغ له.

فإذا صدرت عنها^(٦) الأفعال والأعمال على وجه الروية والمصلحة، تسمى^(٧) بـ«العقل العملي» و«النفس الكاسبة»^(٨). وإذا نظرت في معرفة الأشياء وتأملت في المعالم^(٩) العقلية، تسمى^(١٠) بـ«العقل النظري» و«النفس الفائرة». وإذا حصلت لها قوة الحفظ والاسترجاع، تسمى^(١١) بـ«النفس الحافظة». وإذا حصلت لها قوة^(١٢) استنباط الأصول^(١٣) واستكشاف الحقائق، تسمى^(١٤) بـ«النفس ناطقة». وإذا اتصلت بقاء الله ومشاهدة الحقائق تسمى^(١٥) بـ«روح القدس».

ثم اعلم أن الوصلة بين هذين الأمرين، أعني الجسم والروح، إنما هي لأجل التركيب الاتحادي بينهما؛ لأنهما واحد بالذات متعدد بتعدد الصفات والحيثيات. فهما متحدان في الجوهرية، متخالفان بالقوة والفعل، والنقص والكمال، والظلمة والنور. فالإنسان^(١٦) في أولى^(١٧) المراتب يكون^(١٨) مادة مطلقة باعتبار، وجسماً مطلقاً باعتبار. وفي ثانية المراتب يكون نوعاً من^(١٩) الجسم باعتبار، وصورة نوعية باعتبار. وفي ثالثة المراتب يسمى من حيث كونه قابلاً للنشوء جسماً نباتياً^(٢٠)، ومن حيث كونه فاعلاً للأفاعيل النباتية من النشوء

-
- | | |
|---|--------------------------------|
| (١) مج ١: لوقوعها. | (٢) مج ١، مج ٣: النباتية. |
| (٣) مج ١: لصيرورتها. | (٤) مج ٢: + مر. |
| (٥) مج ٣: الطفولة. | (٦) همه نسخة ها: عنه. |
| (٧) مج ١، مج ٣: يسمى. | |
| (٨) اصل، مج ١، مج ٢: الكاتبة/ مج ٣: الكتائية. | |
| (٩) مج ٢: العالم. | (١٠) مج ١، مج ٣: يسمى. |
| (١١) اصل، مج ٣: يسمى. | (١٢) مج ٢: + الحفظ والاسترجاع. |
| (١٣) الأحوال. | (١٤) مج ١، مج ٣: يسمى. |
| (١٥) مج ٣: يسمى. | (١٦) مج ١: فإن الإنسان. |
| (١٧) مج ١: أول. | (١٨) مج ٣: تكون. |
| (١٩) مج ٣: نوعين. | (٢٠) مج ٣: جسمانياً. |

ولإيراد البدل وتوليد المثل نفساً^(١) نباتية^(٢). وفي المرتبة الرابعة من حيث كونه منفعلاً عن المحسوسات منتقلاً في الأماكن المختلفة من جهة الإرادة بدنأً حيوانياً، وباعتبار كونه مستعملاً لآلات الإحساس والتحريك بالإرادة نفساً حيوانية^(٣). وفي المرتبة الخامسة يسمّى بدنأً إنسانياً من جهة، ونفساً إنسانيةً من جهة.

وهكذا القياس في سائر المراتب والمنازل إلى أن ترتفع^(٤) هذه الإثنينية الحاصلة لحقيقته^(٥) من جهة^(٦) نزولها وخروجها من^(٧) عالم الوحدة الإلهية والجمعية السماوية؛ فإنّ النقص والقصور منبع الكثرة والفتور^(٨). أو لا ترى حركة النبض إذا قويت القوة، اتّصلت وانتظمت؛ وإذا ضعفت، انفصلت وتواترت؛ وإلى الشعلة التي قلّت مادة^(٩) فتيلتها، كيف تعدّدت [صنوبريتها]^(١٠) لقصور قوتها الفاعلة^(١١) للتشكيل لقلة المدد من الدهن؟!.

فهكذا حال النفس الإنسانية وخروجها عن الحضرة الجمعية ووقوعها في عالم التفرقة؛ فما لم ترجع^(١٢) إلى ما واماها^(١٣) الأصلي لأجل الكمال والتمام الذي يحصل في الآخرة للسعداء الكاملين، لم يحصل لها أحدية في عين الجمع. وعند^(١٤) ذلك تصير^(١٥) النفس كلّها السمع والبصر والقوى والجوارح؛ فتكون^(١٦) عين البدن لغاية قوتها ونورانيّتها، والبدن عين النفس لغاية صفائه ولطافته. وإليه أشار من قال:

- | | |
|-----------------------------|---|
| (١) مج ٣: - نفساً. | (٩) مج ٢: + مادة. |
| (٢) همه نسخه ها: نباتياً. | (١٠) همه نسخه ها جز مج ٢٢: صنوبرتها. |
| (٣) مج ١: حيوانياً. | (١١) مج ١، مج ٣: الفاعلية. |
| (٤) اصل، مج ١، مج ٢: يرتفع. | (١٢) مج ٢: فما لا يرجع/ مج ١: فإذا لم يرجع. |
| (٥) مج ٣: + الواحدة. | (١٣) مج ١: مادتها. |
| (٦) مج ٢: + و. | (١٤) مج ٢: فعند. |
| (٧) مج ١، مج ٢: عن. | (١٥) مج ١: يصير. |
| (٨) مج ٣: النصور. | (١٦) همه نسخه ها: يكون. |

رَقَّ^(١) الزُّجَاجُ وَرَقَّتِ الْخَمَرُ فَتَشَابَهَا^(٢) وَتَشَاكَلْ^(٣) الْأَمْرُ
فَكَانَ خَمْرٌ وَلَا قَدْحٌ وَكَأَنَّهَا^(٤) قَدْحٌ وَلَا خَمْرٌ
فَعَلِمَ أَنَّ حَالِ الْإِنْسَانِ فِي الْبَدَاءِ هِيَ بَعِينُهَا حَالُهُ^(٥) فِي النِّهَايَةِ، كَمَا قَالَ
سُبْحَانَهُ: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾^(٦)؛ ﴿فَرِيقًا هَدَى﴾^(٧) أَي وَصَلَ إِلَى الْوَحْدَةِ،
﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾^(٨)؛ فَبَقُوا فِي التَّفْرِقَةِ^(٩) وَالْعَذَابِ. وَمِنْ نَظَرِ بَعِينِ
الْبَصِيرَةِ وَالتَّحْقِيقِ، رَأَى أَنَّ الْوَحْدَةَ فِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ حَقِيقَةٌ مُتَحَصِّلَةٌ هِيَ أَصْلِيَّةٌ
إِبْتِدَائِيَّةٌ، وَالكَثْرَةُ فِيهِ مِنَ الْعَوَارِضِ الَّلَّاحِقَةِ. فَإِذَا حَقَّقْتَ الْحَقَائِقَ وَزَالَتْ
الْعَوَارِضُ، زَالَتِ الْكَثْرَةُ^(١٠) وَانْفَسَخَتِ التَّفْرِقَةُ الْفَرَعِيَّةُ الْعَارِضَةُ.

فَهَكَذَا الْإِنْسَانُ إِذَا رَجَعَ إِلَى حَاقِّ حَقِيقَتِهِ، وَعَادَ إِلَى إِقْلِيمِ وَحْدَتِهِ الَّتِي كَانَتْ
لَهُ بِحَسَبِ الْفِطْرَةِ الْأَصْلِيَّةِ، وَخَلَصَ عَنْ دَارِ الْأَضْدَادِ وَمَنْزِلِ^(١١) الْأَعْدَادِ - وَذَلِكَ
بِاِكْتِسَابِ الْقُوَّةِ وَالْكَمَالِ وَالِاتِّصَالِ بِالْعَقْلِ الْفَعَّالِ -؛ زَالَتْ عَنْهُ الْعُيُوبُ وَالْقُشُورُ
الْجِسْمَانِيَّةُ، وَحُذِفَتْ^(١٢) عَنْهُ الْقَيُودُ الْهَيُولَانِيَّةُ بِإِذْنٍ مِنْ يَدِهِ مُلْكُوتِ^(١٣) كُلِّ شَيْءٍ
وَمِنْهُ الْبَدْءُ فِي الْإِبْتِدَاءِ وَإِلَيْهِ الْعُودُ فِي الْإِنْتِهَاءِ. وَقَدْ قِيلَ: «النِّهَايَةُ هِيَ الرُّجُوعُ
إِلَى الْبَدَاءَةِ».

طلوع نور جمعي من أفق سرّ حكمي:

اعلم أَنَّ صُورَةَ الْجِسْمِ الطَّبِيعِيِّ الْعَنْصَرِيِّ جَمَادٍ بِالْقُوَّةِ؛ وَصُورَةُ الْمَعْدِنِيَّاتِ
جَمَادٍ بِالْفِعْلِ، نَبَاتٌ بِالْقُوَّةِ؛ وَصُورَةُ النَّبَاتِ - أَيِ النَّفْسِ النَّبَاتِيَّةِ - جَوْهَرٌ نَامٍ مُتَغَذٍّ

(١) مَج ٣، تَن: - رَقَّ.

(٢) مَج: بِشَاكَلِ.

(٣) مَج ١، مَج ٢: حَالُهَا / مَج ٣: حَالُ النِّهَايَةِ.

(٤) مَج ٣: كَأَنَّهَا.

(٥) مَج ١، مَج ٢: حَالُهَا / مَج ٣: حَالُ النِّهَايَةِ.

(٦) سُورَةُ الْأَعْرَافِ، آيَةُ: ٢٩.

(٧) «مَعَانٍ» مَج ٣: + أَي وَصَلَ إِلَى التَّفْرِقَةِ. (٨) مَج ٣: - فَبَقُوا فِي التَّفْرِقَةِ.

(٩) مَج ٣: - زَالَتِ الْكَثْرَةُ.

(١٠) مَج ٣: - زَالَتِ الْكَثْرَةُ.

(١١) مَج ٣: - زَالَتِ الْكَثْرَةُ.

مولد للمثل^(١) بالفعل، حيوان بالقوة؛ وصورة الحيوان - أي نفسه - جوهر حسّاس بالفعل، إنسان بالقوة؛ ونفوس الصبيان حسّاسة بالفعل، عاقلة بالقوة؛ ونفوس البالغين عاقلة بالفعل، فلاسفة بالقوة؛ والفلاسفة حكماء بالفعل، ملائكة بالقوة، فإذا فارقت أجسادها، صارت ملائكة بالفعل. فإذا المعادن تستحيل^(٢) إلى الأجسام النباتي، والأجسام النباتي إلى أجسام الحيوان؛ وأشرف الحيوانات هو الإنسان.

وهذه الاستحالات والاستكمالات^(٣) ظاهرة في المادة النطفية والجنينية للإنسان. والنفوس الإنسانية كأنها واقعة في آخر باب من أبواب^(٤) جهنم، لأنها متوسطة بين العالمين وواسطة بين المنزلتين.

فكما أنها في هذا المقام جازت^(٥) جميع رتب الموجودات التي دونها في المنزلة، فكذلك إذا استكملت بالعلم والعمل وتجردت وبلغت مرتبة العقل المستفاد المنير في عالم المعاد، صارت كلّ الموجودات لأجل صيرورتها عقلاً بالفعل؛ إذ^(٦) العقل بالفعل جميع الموجودات التي دونه في الرتبة.

فالنفوس الصاعدة^(٧) إلى ربّها بهذه الخطوات كأنها على صراط مستقيم، بل هي صراط مستقيم بذاتها؛ وسائر النفوس صراط^(٨) معوجة أو منكوسة. أو لا ترى إلى صورة النبات وكونها صراطاً منكوساً إلى العمق، وقد جاوزتها النفس الحيوانية ونجت^(٩) منها؛ وصورة الحيوان صراط ممدود، وقد جاوزتها النفس الإنسانية؛ وصورة الإنسان صراط^(١٠) قائم ينتصب^(١١) بين الأسفل والأعلى بحسب فطرتها. لكن إذا انحرفت^(١٢) إلى الاعوجاج^(١٣) بالآراء^(١٤) الفاسدة أو

(٨) مج ١، مج ٣: صراط.

(٩) مج ٣: بحث.

(١٠) مج ١: + مستقيم.

(١١) مج ١، مج ٣: منتصب.

(١٢) مج ١: انحرفت.

(١٣) مج ٢: بالاعوجاج.

(١٤) مج ٢: إلى الآراء.

(١) مج ٣: - للمثل.

(٢) مج ٢: يستحيل.

(٣) مج ١: الاستكمالات والاستحالات.

(٤) مج ١، مج ٣: - من أبواب.

(٥) مج ٣: صارت.

(٦) مج ٣: إذا.

(٧) مج ٢: الصاعد.

الانتكاس بالأعمال القبيحة، ردت إلى أسفل السافلين؛ وإذا استقامت وسلكت سبيل الله وتوجهت إلى عالم الآخرة بالعلم والعمل^(١)، نجت من^(٢) عذاب جهنم وبلغت إلى باب الرحمة والرضوان محلّ الملائكة الكرام.

فاجتهد^(٣) يا نفس وتأملّي! فإنك قد بلغت قريباً من باب الجنة. فإن بادرت قبل مفارقة الجسد واستعددت^(٤) وتزوّدت بالتقوى والأعمال الصالحة^(٥) والآراء الصحيحة والأخلاق الجميلة والعلوم الحقيقية^(٦)، فقد نجوت من نيران الهاوية والعذاب الأليم، ورجوت أن تكون^(٧) من صنف^(٨) الأعالى المقيمين في مقاعد القدس الأعلى من جنة النعيم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً^(٩).

-
- | | |
|--------------------------------------|--------------------------|
| (١) مج ١، مج ٣: - والعمل. | (٢) مج ٣: بحسب. |
| (٣) مج ١: فاجتهد. | |
| (٤) مج ١: اسعدت/ مج ٢، مج ٣: استعدت. | |
| (٥) مج ١، مج ٣: الصالحين. | (٦) مج ٣: الحقيقة. |
| (٧) مج ١: يكون/ مج ٢: - تكون. | (٨) اصل، مج ١، مج ٣: صف. |
| (٩) اقتباس از سورة نساء، آية: ٦٩. | |

الباب الرابع

في معرفة النهايات

[وفيه عشرة فصول]

الفصل الأول

اعلم أنّ معرفة الغاية ترتبط بمعرفة المبدأ، وقد وقعت الإشارة إلى أنّ المبدأ لكلّ شيء هو عين الغاية له في الحقيقة. وأومأنا أيضاً إلى أنّ المبدأ والغاية كلّما كانا أرفع وأعلى من الوقوع تحت الكون، كانا إلى جهة الوحدة والجمعية أقرب وأميل؛ وكلّما كانا أدنى وأنزل، كانا إلى التعدّد والافتراق أسرع وفي الهويّ إلى الهاوية أوغل.

ثمّ اعلم أنّه لا بدّ للخلق من المرور على هذه المنازل والأحوال عند النزول عن^(١) عالم الوحدة والجمعية والصعود إليها؛ فلا بدّ من معرفة الغايات والمبادئ، لأنّها بالحقيقة أفضل أجزاء العلوم الكلّية الحكميّة والمعارف اليقينيّة.

وقد ثبت أيضاً في مباحث فنّ البرهان من حكمة الميزان أنّ^(٢) مناط كون العلم جزئياً أو كونه كلياً^(٣) إنّما يكون بحسب البحث عن المبادئ القريبة^(٤) لموضوعه^(٥) في البراهين اللَّمَّيات. فإن كان البحث عن المبادئ القريبة لموضوعه^(٦)، كان العلم جزئياً؛ وإن كان البحث عن المبادئ البعيدة له، كان العلم كلياً. فقد يكون مسألة واحدة - كاستدارة حركة الفلك - يبحث عنها في علمين مختلفين: طبيعي جزئي، وإلهي كلي. حيث يمكن أن يثبت تشابه الحركة

(١) اصل: من.

(٢) اصل، مج ٢: - أنّ.

(٣) مج ٣: جزئياً وكلياً.

(٤) مج ٢: - القريبة.

(٥) مج ٢: الموضوع.

(٦) مج ٣: - في البراهين... لموضوعه.

للفلك^(١) مرة في الطبيعيات من جهة مادته وصورته، وهما علتان قريبتان؛ فيقول الباحث الطبيعي: الطبيعة هناك واحدة، والمادة بسيطة، فيكون الهيئة والصفة غير مختلفة. فيكون العلم جزئياً حاصلًا من جهة المبادئ القريبة؛ لأنه يأخذ الأوسط من الطبيعة التي لا ضد لها، والمادة البسيطة لا اختلاف^(٢) فيها، فيمتنع أن يعرض لها فساد أو^(٣) تغير. ويثبت مرة في الإلهيات؛ فيقول الفيلسوف العارف: الفاعل أمر^(٤) عقلي مفارق، هو خير محض، والعلّة الغائية هي السبب الأقصى الذي هو الوجود المطلق الذي لا أتم منه.

فالباحث الطبيعي يعطي^(٥) برهاناً لمّا^(٦) ما دامت المادة والطبيعة موجودتين. والفيلسوف العارف يعطي البرهان اللّمّي الدائم مطلقاً^(٧)، ويعطي علّة دوام المادة والطبيعة^(٨) التي لا ضد لها^(٩) فيدوم مقتضاها.

وبالجملة، فإذا^(١٠) أعطي البرهان من العلل المقارنة، كان من العلم السافل^(١١) والجزئي. وإن أعطي من العلل المفارقة، كان من العلم^(١٢) الأعلى والكلّي. والعلل المقارنة هي المادّة والصورة الواقعتان^(١٣) في عالم الحركات؛ والعلل المفارقة هي الفاعل والغاية الواقعتان^(١٤) فوق عالم الحركات وهو عالم القدس. هذا ممّا^(١٥) ذكر في كتب^(١٦) الحكماء كالشفاء وغيره. فعلى هذا أعلى العلوم ما ينظر فيه^(١٧) ويسأل عن حال المبدأ الأعلى والغاية القصوى للموضوعات العلميّة؛ وهو العلم الربوبيّ الذي هو أشرف العلوم وأفضل

-
- | | |
|--|------------------------------|
| (١) مج ١، مج ٣: حركة الفلك. | (٢) اصل، مج ٢: الاختلاف. |
| (٣) مج ١، مج ٣: و. | (٤) مج ٢: أمره. |
| (٥) مج ٣: يعصي. | (٦) مج ١: البرهان التي. |
| (٧) اصل: - مطلقاً. | (٨) مج ٢: المفارقة. |
| (٩) مج ١: + والمادة البسيطة. | (١٠) مج ٣: إذا. |
| (١١) مج ٢: - التي لا ضد لها... السافل. | (١٢) مج ١، مج ٣: - و. |
| (١٣) مج ١: العلم. | (١٤) همه نسخه ها: الواقعتين. |
| (١٥) مج ٢: - والعلل المفارقة... الواقعتان/ همه نسخه ها: الواقعتين. | (١٦) مج ٣: إنما. |
| (١٦) مج ٣: إنما. | (١٧) مج ٢: كتاب. |
| (١٨) مج ١: إله. | |

الصنائع، وبه يحصل للإنسان درجة الملائكة العلويين؛ لأنَّ مرتبة العالم^(١) بشيءٍ من حيث إنَّه عالم به مرتبة المعلوم بعينها إذا كان راسخاً في العلم به، كما حُقِّق في مقامه.

وقد انكشف هذا المعنى - أي اتِّحاد العاقل والمعقول - لمقدِّم المشائين^(٢) فرفوربوس، وهو أفضل تلامذة المعلِّم الأقدم والفيلسوف الأعظم أرسطاطاليس. ونحن قد عرفنا بحمد الله عدداً كثيراً في الإسلاميين الذين^(٣) سبقونا بالإيمان من أصحاب العلوم الروحانية الحاصلة بالكشف والبرهان قد ذهبوا إلى ما ذهب إليه فرفوربوس وموافقه. والشيخ الرئيس قدَّس سرُّه أيضاً قد رجع عن إنكاره لاتِّحاد العاقل^(٤) والمعقول في بعض كتبه. وأمَّا في هذا الزمان، فلم نجد أحداً حصل هذه المسألة تحقيقاً^(٥) إلا شخصاً واحداً قد خصَّه الله بهذه النعمة العظيمة.

وبالجملة، معرفة المبدأ والمعاد والعلم بما يؤول إليه نفوس العباد من أهم المقاصد وأرفع المآرب، وهو الدواء النافع والدرياق الأكبر والإكسير الأحمر. والجهل به خصوصاً إذا كان مشفوعاً بالإنكار العناد هو السمُّ النافع^(٦) والمرض المهلك، وبه يكون مرارة النزاع عند الموت والفرع عند البعث للنفوس^(٧) المريضة بداء الجهالة. ونحن قد بيَّنا العلم بحقيقة المبادئ^(٨) المتقدِّمة لوجود الإنسان في الباب^(٩) السابق. والعلم بالغاية إمَّا ينوط بالعلم بالمبدأ؛ فمن عرف أنَّ مجيئه من أين، يعرف أنَّ^(١٠) ذهابه إلى أين. ومن^(١١) تأمَّل في^(١٢) واحد واحد من الأفاعيل التي لها غايات اختيارية أو طبيعية، وتدبَّر فيما هو المبدأ بالذات لصدورها وفيما هو الغاية بالذات^(١٣) لورودها، لعلم يقيناً أنَّ الغاية فيها

-
- | | |
|------------------------------|---------------------------------------|
| (١) مج ٣: عالم. | (٨) مج ٣: المسائل. |
| (٢) مج ١، مج ٣: + هو. | (٩) مج ١، مج ٣: - الباب. |
| (٣) مج ٢: - الذين. | (١٠) مج ٣: - أن. |
| (٤) مج ١، مج ٢: العقل. | (١١) مج ٣: + أين. |
| (٥) مج ٢: تحقيق هذه المسألة. | (١٢) مج ١: - في. |
| (٦) مج ٢: النافع. | (١٣) مج ٢، مج ٣: - لصدورها... بالذات. |
| (٧) مج ٣: - للنفوس. | |

هي بعينها ما كان هو المبدأ على وجه أكمل. مثلاً الفاعل لصدور الأكل هو ذات الإنسان مثلاً^(١) بشرط كونه جائعاً متصوراً للشبع أو^(٢) اللذة في نفسه، والغاية هي وجود الشبع أو اللذة^(٣) له. فماهية الشبع مثلاً بحسب وجودها الخيالي علة فاعلية للأكل، وهي بعينها بحسب وجودها العيني غاية ذاتية له.

والوجود العيني أقوى وأشد من الوجود الخيالي للإنسان هاهنا؛ فالوجود في هذا المثال قد تحرك من النقص إلى الكمال ومن ضعف إلى قوة، فالفاعل بعينه هو الغاية مع تفاوت في نحو الوجود. وهكذا الحال في جميع الأفاعيل الواقعة في هذا العالم، فقس عليها^(٤) حال حقيقة الإنسان بحسب انقلاباته في وجوده.

وهذا المقصود إنما يتضح حق الاتّضاح بمقدّمتين: الأولى^(٥) أن يعلم أن الإنسان من لدن حدوثه عند كونه نطفة ذات صورة طبيعية لا يزال في الانقلاب والانتقال طبيعة ومادة و^(٦) نفساً وبدناً، من طور إلى طور وصورة إلى صورة وحال إلى حال، إلى هذا الوقت الذي يكون فيه بحسبهما^(٧). وهذا أمرٌ يظهر من مشاهدة كلّ أحد أحوال نفسه وبدنه.

أمّا أحوال البدن، فحيث يشاهد^(٨) أنّه أبدأ في التحوّل^(٩) والنقطة في أطواره الذاتية، من لدن كونه نطفةً وجينياً وطفلاً إلى كونه شاباً وكهلاً وشيخاً.

وأمّا أحوال النفس في أطوارها وانقلاباتها، فوقتاً لم يكن لها^(١٠) شأن إلا حفظ الجسم، ثم حصلت لها قوة الإنماء والتغذية للجسم، ثم حصلت^(١١) لها قوة التوليد للمثل^(١٢) لبدنها. وهذه مراتبها بحسب التحريك. وأمّا مراتبها

(١) مج ١، مع ٣: - مثلاً. (٧) مج ١: بحسبها.

(٢) مج ١، مع ٢، مع ٣: ر. (٨) مج ٣: شاهد.

(٣) مج ٢: - في نفسه... أو اللذة. (٩) مج ٣: النمو.

(٤) مج ٣: عليه. (١٠) مج ١: له.

(٥) مج ٢: - الأولى. (١١) مج ١: حصل.

(٦) همه نسخه ها: - ر. (١٢) مج ١، مع ٢، مع ٣: توليد المثل.

بحسب الإدراك، فوقتاً كانت في مقام الشعور والإحساس للجزئيات فقط. وأول درجة الحسّ وأنقصها حاسة اللمس التي لا يخلو عنها^(١) حيوان حتى الدود في الطين، فإنها إذا غرز^(٢) فيها إبرة^(٣) انقبضت؛ وبهذا يمتاز^(٤) عن النبات. وبعده مرتبة^(٥) الشم، ثم باقي الحواس الظاهرة. ثم يحصل لها الإدراكات الباطنة الحسية، ثم العقلية على درجاتها.

فعلم أنّ كلّاً من النفس والبدن في الحركة والانتقال والسفر والارتحال من حال إلى حال، وهكذا في هذه الدار^(٦) إلى أن بطلت هذه الحياة الدنياوية وبطلت^(٧) صورة التأليف وحصل الافتراق بينهما والانفصال. ثم لا يقفان^(٨) في هذا الانفصال؛ بل يمعن البدن في الاضمحلال حتى ينتهي إلى الأرضية بل إلى^(٩) الهيولية المحضة، وتمعن^(١٠) النفس في الرجوع إلى الواحد القهار. فانهم.

وثانيهما^(١١) أن يعلم أنّ كلّ متوجّه ومتحوّل من مرتبة إلى مرتبة ومن^(١٢) منزل إلى منزل بحسب^(١٣) الطبيعة أو الطباع، فله لا محالة - حيث يرتحل وينتقل^(١٤) من مرتبة إلى مرتبة^(١٥) أخرى - يكون غاية طبيعية ذاتية هي آخر ما يطمئن^(١٦) به ويسكن لديه ويتوطن فيه. ولا بدّ أن يكون منزل استقراره ودار قراره أصلح المواطن له وأنسب المراتب والدرجات^(١٧) إليه في جوهره وذاته؛ وما ذلك إلا ما كان مبدأ ذاته ومقوم^(١٨) وجوده.

-
- | | |
|--------------------------------------|-------------------------------------|
| (١) اصل، مع ١، مع ٢: منه مع ٣: منها. | (١٠) مع ١: يمعن. |
| (٢) اصل: هزز/ مع ٣: قرّض. | (١١) مع ١: ثانيها/ مع ٢: - ثانيهما. |
| (٣) مع ٣: إبرة. | (١٢) مع ٣: - ومن. |
| (٤) مع ٢: ممتاز. | (١٣) مع ٢: - بحسب. |
| (٥) مع ٢: مرتبه. | (١٤) مع ١: ينقل. |
| (٦) مع ٣: - الدار. | (١٥) مع ٢: مرتبه. |
| (٧) مع ٣: تطل. | (١٦) مع ٢: تطمئن. |
| (٨) اصل، مع ١، مع ٢: يقفان. | (١٧) مع ٣: الدرجات والمراتب. |
| (٩) منه نسخه ها: - إلى. | (١٨) مع ٣: مقدّم. |

فغاية ما يسافر إليه الشيء يجب أن يكون أول ما^(١) سافر منه^(٢)، وهو الموطن الطبيعي والمعدن الأصلي، دون غيره من المنازل والحدود التي في الأوساط؛ لأن^(٣) كلاً منها لو كان^(٤) مقرأً أصلياً^(٥) طبيعياً، لم يقع الهرب منه والتوجه إلى غيره؛ فإن دأب الرحمة والعناية الإلهية أن^(٦) يمسك الشيء على أشرف الحالات اللائقة به وأعلى المقامات المتصورة في حقه^(٧)، من غير انتقال منه إلى ما ليس كذلك إلا لعارض قاصر. والقاصر ليس دائماً ولا أكثرية، بل نادراً أحياناً. وذلك لأنه لا منع في رحمته تعالى، ولا بخل^(٨) ولا تقصير^(٩) ولا تراحم ولا تشاح في عالم جوده^(١٠) وعنايته. وبذلك جرت^(١١) سنة^(١٢) الله^(١٣) التي لا تبديل لها ولا تحويل عنها.

فالفيض مبذول، والرحمة واسعة، وكل شيء قابل لأرفع ما يتصور في حقه ويناسب نشأته ويحتمله ذاته ويسعه وجوده^(١٤). فالعالم بكلية وبأجزائه^(١٥) على أحسن الوجوه^(١٦) وأفضل النظمات. وأما الآفات والعاهات اللاحقة للأشياء المتوجهة، فهي إنما تقع في هذا العالم وفي الأشخاص الكائنة وفي قليل من الأمزجة على سبيل الشذوذ أحياناً. وربما كانت فيها مصلحة تعود^(١٧) إلى ذوات^(١٨) العاهات وغيرها، إما في الدنيا وإما في الآخرة. والكلام في الطبائع الأصلية وأفاعيلها وانفعالاتها الذاتية، لا أفاعيلها وانفعالاتها القسرية. فكل متوجه بحسب طبعه إلى جهة فلا محالة له غاية ذاتية^(١٩) هي أشرف الحالات

- | | |
|-----------------------------|---------------------------|
| (١) مع ٣: ممّا. | (١١) مع ٣: هرب. |
| (٢) مع ٢: عنه. | (١٢) مع ٣: منه. |
| (٣) مع ١، مع ٣: إلا أنّ. | (١٣) مع ٣: - الله. |
| (٤) مع ٣: - لو كان. | (١٤) مع ١: جوده. |
| (٥) مع ١: + به. | (١٥) مع ٢: أجزاء. |
| (٦) اصل: لم. | (١٦) مع ١: + الحال. |
| (٧) مع ١: له (بجاء في حقه). | (١٧) اصل، مع ٢: يعود. |
| (٨) مع ١: - لا بخل. | (١٨) مع ١: قوي. |
| (٩) مع ٣: تقصير. | (١٩) مع ١، مع ٣: - فانية. |
| (١٠) مع ١: وجوده. | |

له، وسيؤول^(١) إليها البتة^(٢) إن لم يمنعه عائق^(٣) خارجي قاطع لطريقه. والعوائق عن المآرب الطبيعية للأشياء أمور نادرة غير دائمة، كما وقعت^(٤) الإشارة إليه وقد بين في مقامه؛ وعند ارتفاع القواسر سريعاً أو بطيئاً يكون مرجع الكل إلى الخير الأقصى والمصير إليه: ﴿وَالْأَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾^(٥).

إعلام وتنبيه:

ولا يذهب على أحد^(٦) أن يتوهم أن المراد من المبدأ والغاية ما يعتبر فيه الزمان والوقت، حتى يفهم من تقدّم الصّبَا على الشيخوخة مجرد كون أحدهما في الزمان الماضي والآخر في الآتي؛ بل المراد ما يكون بحسب الطبع والذات. فلكلّ معلول حادث أمور سابقة عليه، بمعنى كونها^(٧) أسباباً ذاتية لوجوده و^(٨) معدات ومقربات له من علته ودواعٍ لتحقيقه؛ وله أيضاً كمالات لاحقة به يستكمل بها ويسلك إليها. كيف ونفس ماهية الزمان بحسب هويّتها الشخصية الكمية الاتصالية ممّا له مبدأ وغاية بهذا المعنى الذي ذكرناه، لا بمعنى^(٩) السبق واللّحوق الزمانيين؟! وإلّا^(١٠) يلزم أن يكون للزمان زمان سابق عليه أو لاحق به، وهذا محال.

- (٦) مج ٣: - أحد.
(٧) مج ٢، مج ٣: كونه.
(٨) اصل، مج ٢، مج ٣: - و.
(٩) مج ١: + الذي سبق من.
(١٠) مج ١: لا.

- (١) مج ٣: سفر.
(٢) مج ٣: الشهي.
(٣) مج ١: مانع.
(٤) مج ١: وقع.
(٥) سورة شورى، آية: ٥٣.

الفصل الثاني

في الإبانة^(١) عن ماهية الغاية الأخيرة التي^(٢)

يتوجّه إليها الإنسان وشرحها

قد مرّت الإشارة إلى أنّ تمامية الشيء إنّما تحصل^(٣) له عند نهاية^(٤) سلوكه؛ وإنّما^(٥) هي الحالة الأصلية التي توافق^(٦) طبعه وتلائم^(٧) ذاته. كلّ ما يكون غير تلك الحالة الأخيرة من سائر الحالات فهي غريبة عن ذاته عارية عليه؛ والحالات الغريبة عن الشيء يزول^(٨) عنه لا محالة، فيرجع الشيء آخر الأمر إلى الصفة التي كانت له أولاً كما مرّت إليه الإشارة.

والحالة الأصلية إنّما تحصل^(٩) له في مأواه^(١٠) الطبيعي. والمأوى^(١١) الطبيعي للنفس^(١٢) في عالم الآخرة التي هي باطن هذا العالم وغيب هذه الشهادة، وهو عالم النفوس الإنسانية^(١٣) وموطنها ومعادها الحقيقي؛ ما لم تصل النفس إليها، لم تسكن ولم تطمئن من انزعاجها واستقرارها. والنفس كانت في

-
- | | |
|--|-------------------------------|
| (١) مج ٢ : الإبانة / مج ٣ : - الإبانة. | (٢) مج ١ ، مج ٣ : - التي. |
| (٣) مج ١ ، مج ٢ : يحصل. | (٤) مج ٣ : - نهاية. |
| (٥) اصل، مج ٢ ، مج ٣ : إنّها. | (٦) مج ١ : يوافق. |
| (٧) مج ٣ : يلائم. | (٨) اصل، مج ٢ ، مج ٣ : سيزول. |
| (٩) مج ١ : يحصل. | |
| (١٠) مج ٣ : مأوته مج ٢ : - التي كانت... مأواه. | |
| (١١) مج ٣ : المادي. | (١٢) مج ١ : + الإنسانية. |
| (١٣) مج ١ : - الإنسانية. | |

مأواها^(١) الأصلي حيّة مختارة لطيفة عالمة قادرة بقوة مبدعها سائحة^(٢) في عالمها فرحانة^(٣) مطمئنة عند بارئها ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْدِرٍ﴾^(٤) وهي الجنة التي كانت فيها أبوها العقلي وأمها النفسية^(٥) آدم وحواء: ﴿...يَنَادُمُ أُنْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾^(٦).

فإذا هبطت النفس من عالمها ومأواها^(٧) وجنة ربّها لخطيئة وقعت من أبيها وأمها، وانحطت إلى السفل وحولت إلى هذا العالم؛ انقلبت حياتها موتاً ونورها ظلمة، وتبدلت^(٨) قدرتها عجزاً واختيارها اضطراباً واستقرارها اضطراباً ولطافتها كثافة، وزالت كرامتها وشرفها وكمالها إلى المذلة والخسة والنقص، وانجرت^(٩) جمعيتها ووحدتها إلى التفرقة والكثرة. كمن عرض له مرض شديد وأحم^(١٠)، فظهرت^(١١) منه آثار كثيرة غريبة، كالحرارة الشديدة^(١٢) وهي علامة النار، والثقل العظيم وهو صفة الأرضية؛ وتورّمت أطرافه وتهيجت^(١٣) وهو من الهواء؛ وسال العرق^(١٤) من مسامه وعروقه كقطرات المطر.

هكذا إلى أن يعود^(١٥) إلى الحالة السابقة الأصلية، فينعدم^(١٦) منه هذه^(١٧) التولدات^(١٨) شيئاً فشيئاً إلى أن تزول بالكلية كأنّها لم تكن أصلاً؛ فصار أخيراً^(١٩) كما كان أولاً.

فهكذا حال النفس^(٢٠) في سقوطها عن مرتبتها ونشأتها الأصلية، حيث

- | | |
|--|---------------------------------|
| (١) مج ٣: مادّتها. | (١١) مج ٣: فظهر. |
| (٢) مج ٣: سائحة. | (١٢) مج ١: الشديد. |
| (٣) مج ٣: فرحانية/ مج ٢: فرحانه. | (١٣) مج ١: لو بهجت. |
| (٤) سورة فمر، آية: ٥٥. | (١٤) مج ٣: العروق. |
| (٥) مج ١: النفسي. | (١٥) مج ٣: تعود. |
| (٦) سورة بقره، آية: ٣٥. | (١٦) مج ٣: فتتعدم/ مج ١: فيعدم. |
| (٧) اصل، مج ٢: مادّتها/ مج ٣: ما فيها. | (١٧) مج ٣: - هذه. |
| (٨) اصل، مج ١، مج ٢: تبدّل. | (١٨) مج ٢: بالتولدات. |
| (٩) مج ٢: انجرت. | (١٩) مج ٢، مج ٣: خيراً. |
| (١٠) مج ٢: مزاحم. | (٢٠) مج ١، مج ٣: النفوس. |

تكوّنت منها أمور مختلفة كالقوى والأركان والأعضاء عند نقصانها وضعفها الذي يلحقها^(١)؛ كما نشأت من النفس الكلية الأفلاك والعناصر والمركبات عند نزولها من^(٢) مقام العقل إلى مقام الطبيعة. إذ البعد عن الموطن^(٣) الأصلي مثار الضعف والآفة^(٤) والكثرة والانقسام؛ فإذا عادت إلى معادها الأصلي، زالت الكثرة والتفرقة عنها بالكلية كأنها لم تكن.

وهكذا الحال في كل شيء زال عن مكانه الأصلي إلى مكان غريب يكون مع آفة وتفرقة إلى أن يعود إلى مكانه. أولاً ترى الماء كيف يكون مجموعاً في مأواه الأصلي ذا قرار واطمئنان^(٥) وصفاء يتراءى فيه الصّور والنقوش^(٦)؛ وإذا انتقل إلى حيز النار، تبدّلت^(٧) الجمعية بالتفرقة، والثقل بالخفة، والاطمئنان بالاضطراب، والصفاء بالكدورة، والاستقامة بالاعوجاج؛ ثم إذا رجع إلى مأواه^(٨)، زالت الأحوال الغريبة وعادت الحالة الأصلية^(٩)!

وكذا القياس في غيره من الأركان في كل^(٩) نبات وحيوان؛ كالسمك في مكان السّمندل، والسّمندل في مكان السمك.

-
- | | |
|---------------------------------|---------------------------|
| (١) مع ١: تلحقها. | (٦) مع ٣: النفوس. |
| (٢) مع ١، مع ٢، مع ٣: عن. | (٧) مع ٢: تبدّلنا. |
| (٣) مع ٢: المواطن. | (٨) مع ١، مع ٣: + الأصلي. |
| (٤) مع ١: + وضعفها الذي يلحقها. | (٩) مع ١، مع ٣: - كل. |
| (٥) مع ٢: طمانينة. | |

الفصل الثالث

في أن منشأ احتباس^(١) النفس في الدنيا والمرتبة
السفلى وحرمانها عن الارتقاء إلى العالم
الأعلى^(٢) هو البدن العنصري

اعلم أن مثل النفس في هذا^(٣) البدن كمثل شاة قيّدت بثلاثة أرجل وأطلقت^(٤) بواحدة^(٥). وبيان ذلك أن النفس في أول نزولها إلى هذا العالم كانت - في مرتبة الهيولية المحضة - محبوسة في باب الجسميّة الطبيعيّة عن الحركة من مكان إلى مكان^(٦) إلا بقوة خارجة عن ذاتها تحركها^(٧) في جهة واحدة؛ وفي باب النمو والتغذية عن الحركة المقداريّة، إلا بقوة خارجة تجذب جسماً^(٨) آخر إليها وتحركها في جوانبها وأطرافها على التناسب؛ وفي باب الحيوانيّة عن الحركات الإراديّة المختلفة في الجهات المكانية، إلا بقوة حسّاسة وشوق وإرادة؛ وفي باب الإنسانيّة والملكيّة عن الحركة في المعاني المثاليّة والعقليّة والسيّاحة في عالم الغيب، إلا بقوة خارجة عن^(٩) قوى هذا العالم. فإذا انتقلت إلى درجة الطبيعة^(١٠)، أطلقت^(١١) إحدى قوائمها^(١٢) الأربع؛

-
- | | |
|------------------------------|---------------------------------|
| (١) مج ٣: إحباس. | (٧) مج ٢: بتحركها. |
| (٢) مج ٣: الأصلي. | (٨) أصل، مج ٢: جسم. |
| (٣) مج ٣: + العالم أو. | (٩) أصل: معن. |
| (٤) مج ٢: طلقت/ مج ٣: أحلقت. | (١٠) مج ١: الطبيعيّة. |
| (٥) مج ٢: واحدة. | (١١) مج ٢: طلقت/ مج ١: أطلقت. |
| (٦) مج ١: آخر. | (١٢) مج ٣: قوائم/ مج ١: قويمها. |

فتحركت^(١) من مكان إلى مكان بمقتضى الطبيعة على سمت واحد. ثم إذا تجاوزت من درجة الطبيعة إلى درجة النبات، أطلقت رجلها الثانية أيضاً؛ فتحركت من مقدار إلى مقدار^(٢) بقوتها النامية. وإذا انتقلت^(٣) إلى درجة الحيوان، أطلقت^(٤) رجلها الثالثة أيضاً؛ فلها^(٥) أن تتحرك^(٦) إلى ما^(٧) يلائم^(٨) مزاجها الحيواني وتطلبه^(٩) بالشهوة، أو تتحرك^(١٠) عن^(١١) ما ينافر مزاجها وتهرب^(١٢) عنه بالغضب. وبقيت برجلها الرابعة ممنوعة عن الوصول إلى ما تتصورها^(١٣) وتتخيلها^(١٤) من الصور الغيبية التي تشتهيها الأنفس وتلد^(١٥) الأعين الباطنة ممّا^(١٦) لا عين رأت ولا أذن سمعت في هذا العالم، إلى أن يأتي الله أمراً كان مفعولاً؛ فتكون ذات قوة ملكوتية تسبح^(١٧) في فضاء الملكوت وتبوء^(١٨) من الجنة حيث تشاء.

فظهر أنّ النفس في هذا العالم مطلقة بثلاثة أرجل محبوسة بواحدة. فكما أنّها إذا وصلت إلى مرتبة الطبيعة، أطلقت بواحدة؛ وإذا تعدّت^(١٩) إلى القوة النامية، أطلقت باثنتين؛ وإذا تجاوزت إلى القوة الحيوانية، أرسلت فمشّت^(٢٠) حيث أرادت في هذه^(٢١) الأرض؛ فإذا بلغت إلى القوة الملكوتية، يحصل لها الانطلاق الكلّي والحرية^(٢٢) الصرفة بسبب قوة كمالها^(٢٣) واستقلالها في السياحة والطيران في فضاء^(٢٤) الملك والملكوت ورؤية آيات الربّ تعالى في

- | | |
|-------------------------------------|------------------------------------|
| (١) مج ١: فيتحرك. | (١٣) مج ١، مج ٣: يتصورها. |
| (٢) مج ٢: - إلى مقدار/ مج ١: + آخر. | (١٤) مج ١، مج ٣: يتخيلها. |
| (٣) مج ١: انطلقت. | (١٥) اصل، مج ١، مج ٣: تلدّها. |
| (٤) مج ٢: اطلعت. | (١٦) مج ٢: منها. |
| (٥) مج ٣: فها. | (١٧) اصل: يسبح. |
| (٦) اصل، مج ٢، مج ٣: يتحرك. | (١٨) مج ١، مج ٣: يشاء/ مج ٢: نشاء. |
| (٧) مج ٣: - ما. | (١٩) مج ١، مج ٣: قعدت. |
| (٨) مج ٢: ملائم. | (٢٠) مج ٣: فمشيت. |
| (٩) مج ١، مج ٢: يطلبه. | (٢١) مج ٢: هذا. |
| (١٠) مج ١، مج ٣: يتحرك/ مج ٢: تحرك. | (٢٢) مج ٣: الجزئية. |
| (١١) مج ١: - عن. | (٢٣) مج ٣: كمالاتها. |
| (١٢) مج ١، مج ٣: يهرب. | (٢٤) مج ٢: عالم. |

الآفاق وفي^(١) الأنفس، والوصول إلى المقامات والدرجات المُلْكِيَّة والملْكوتِيَّة الحاصلة لقبائل^(٢) من عالم الباطن والغيب على مثال أصناف الحيوان في عالم الظاهر والشهادة. وأشير في الصحيفة الإلهية إلى المراتب الأولى بقوله: ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّىٰ وَتِلْكَ وَرِثَةُ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾^(٣)، وإلى المراتب الثانية بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾^(٤).

نكتة وإشارة:

اعلم أنَّ انحلال النفس في هذا العالم الجسماني بحسب مرتبة واحدة وقوة واحدة و^(٥) هي قوتها الفكرية والخيالية وهي ما لها في ذاتها، وانحباسها^(٦) بحسب ثلاث مراتب هي مراتب قواها الحيوانية والنباتية والجمادية، وهي ما لها بحسب البدن، على عكس^(٧) ما ذكرنا آنفاً من انطلاقها بثلاثة أرجل وانحباسها برجل واحدة؛ لأنَّ الاعتبار فيها^(٨) مختلف. لأنَّ الكلام هاهنا بحسب جوهر النفس في النزول عن عالم القدس إلى هذا العالم، وفي السابق بحسب سنخ مادتها في الترقى والعروج من هذا العالم إلى عالم القدس؛ فهي في^(٩) أحد^(١٠) الاعتبارين مقبلة، وفي الآخر مدبرة.

فالحق ﷻ أشار إلى هذه المراتب والأقدام للنفس الإنسانية في هذا العالم بالاعتبار المذكور هاهنا، بأن خلق في الأكوان العنصرية أصنافاً أربعة، غلب في كل منها بعض القيود والحجب من مراتب الاحتباس^(١١) ومزلات^(١٢) الأقدام،

(٧) مج ٣: - عكس.

(٨) مج ١، مج ٢، مج ٣: فيهما.

(٩) مج ٣: فهي.

(١٠) مج ١: واحد.

(١١) مج ٣: الأجناس.

(١٢) مج ٣: من مراتب.

(١) مج ٢: - في.

(٢) مج ١: لقبائل / مج ٣: لقالل.

(٣) سورة فاطر، آية: ١.

(٤) سورة نور، آية: ٤٥.

(٥) اصل: - و.

(٦) مج ٣: انحباسها.

هي الجماد والنبات والحيوان والإنسان؛ ليعلم وينكشف انطلاقاً^(١) جوهر ذات الإنسان بحسب أصل الفطرة إذا لم يتدنس بالكفر والمعاصي، لأنه أقرب منها إلى الخلاص من^(٢) الاحتباس في عالم الأنداس الطبيعية والأرجاس النباتية والوساوس^(٣) الحيوانية، بل أكد في^(٤) هذه الإشارة بأن خلق في الحيوان فقط - فضلاً عن الأكوان مطلقاً - أصنافاً أربعة لمراتب أربعة ثابتة في الإنسان، ليعلم أولو البصائر^(٥) المستنيرة - إذا تدبروا فيها - كيفية احتجاب^(٦) أهل الجحيم وانحباسهم في حجب^(٧) ظلمانية ووقوعهم في ظلمات ثلاث بعضها فوق بعض حسب ركونهم إلى هذا العالم وأكوانه الثلاثة عن مشاهدة لقاء الله وعالم القدس، وكيفية انكشاف وجوه أهل الرحمة وانطلاقهم إلى^(٨) العالم الأعلى^(٩) وعدم احتجابهم عن الله^(١٠)؛ حيث لم يتحقق علامة الانفتاح والطلاقة إلا في واحد من هذه الأصناف الأربعة وهو الإنسان، دون الأصناف^(١١) الثلاثة - أعني البهائم والوحوش والطيور. ففيه علامة أهل^(١٢) الجنة الذين هم «جُرْدُ مُرْدُ مُكْحَلُونَ»، ولغيره علامة المحبوسين والمسجونين، وهي^(١٣) الاحتجاب بالأغشية والظلمات والانسداد بالأغلال في الأعناق والعقد في الأيدي والأرجل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾^(١٤)، ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُمُنُوا بِمَا قَالُوا﴾^(١٥).

- | | |
|------------------------|--------------------------------|
| (١) مج ٣: إطلاق. | (٩) مج ٣: - الأعلى. |
| (٢) همه نسخه ها: عن. | (١٠) مج ٣: الحق. |
| (٣) مج ١: + النفسانية. | (١١) مج ١: - الأصناف. |
| (٤) مج ٣: - في. | (١٢) مج ٣: - أهل. |
| (٥) مج ١: الأبصار. | (١٣) مج ١، مج ٣: - هي. |
| (٦) مج ٢: - احتجاب. | (١٤) سورة ياسين، آيتان: ٨ و ٩. |
| (٧) مج ٣: - حجب. | (١٥) سورة مائدة، آية: ٦٤. |
| (٨) مج ٢: - هذا. | |

نكتة أخرى:

للإشارة^(١) إلى ما ذكر من تقيّد^(٢) النفس في هذا العالم بقيود ثلاثة لأقدامها الثلاث، هي أنّ في كلّ واحد من الحيوانات الثلاثة^(٣) سوى الإنسان يوجد^(٤) ثلاث علامات من علامات أهل الجحيم والعذاب، وفي الإنسان ثلاث علامات^(٥) مقابلة لها من علامات أهل الجنة والمغفرة. فإنّ لكلّ واحد^(٦) منها يوجد ثلاث عقد:

إحداها عقدة العمى في الأعين عن مشاهدة آيات الله وقراءة كتاب الآفاق والأنفس.

والأخرى عقدة الصمم^(٧) في الآذان عن استماع^(٨) البيان والبرهان وقبول المواعظ والنصائح.

والثالثة^(٩) عقدة الجهل والنسيان على القلوب: ﴿...لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾^(١٠).

ولهذه العقد الثلاث^(١١) ثلاث عقد أخرى شاهدة عليها: إحداها عقدة اللسان شاهدة^(١٢) على صمم الأذن^(١٣)، فإنّ اللسان كخليفة الأذن. والثانية عقدة اليدين شاهدة^(١٤) على عمى العين^(١٥): ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾^(١٦)، فإنّ اليد

(١) مج ٣: الإشارة.

(٢) مج ١، مج ٣: الثلاث.

(٣) مج ٢: - من علامات... ثلاث علامات.

(٤) مج ١: - واحد.

(٥) مج ٣: إسماع.

(٦) سورة اعراف، آية: ١٧٩.

(٧) مج ٣: الصم.

(٨) مج ١، مج ٣: الثالث.

(٩) مج ٣: الثالث.

(١٠) مج ١: الآذان.

(١١) مج ٣: شهادة.

(١٢) مج ٢، مج ٣: عبارت «شاهدة على عمى العين»، بعد از آيه آمده است.

(١٣) سورة مائدة، آية: ٦٤.

الكاتب^(١) كخليفة العين^(٢). والثالثة^(٣) عقدة الانتكاس والانقلاب في البدن، فإنَّ البدن خليفة النفس؛ فانتكاسه دليل انتكاسها، كما أنَّ انحناء الغلاف دليل لانحناء^(٤) السيف.

نكتة أخرى:

هذه الحيوانات الثلاث على صورة كتاب الفجّار: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾^(٥). وذلك لأنَّ بعضاً^(٦) منه على صورة: ﴿مَنْ أَوْقَى كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾^(٧)، وهي صورة الدوابّ ذوات القوائم المعوجة؛ يعني المنحرفة^(٨) الممنوعة عن الكتابة، فهي عاجزة عن الاستكمال بأفاعيل أهل الكمال.

ومنها ما^(٩) على صورة: ﴿مَنْ أَوْقَى كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾^(١٠)، وهي كصورة الطيور.

ومنها ما على صورة كتاب أهل السجّين، كالهوامّ التي على هيئة أهل العذاب؛ لانحباسها في قعر الأرض مقطّعة الأيدي والأرجل.

وأما^(١١) الحيوان الرابع الذي هو الإنسان، فصورته صورة^(١٢) ﴿مَنْ أَوْقَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾^(١٣)؛ فهم الأبرار العليّون. فإنَّ الصورة الإنسانيّة مرفوعة إلى جهة العلوّ مكرّمة مطهّرة عن أرجاس العنصريّات وأرواث الدواب^(١٤) ونجاساتها. فيها دلائل واضحة على كرامة نفس كاتبها^(١٥) وشهادة المقرّبين على منزلتها^(١٦)

- | | |
|---|--------------------------------|
| (١) مج ٢: الكاتب. | (٩) مج ٣: - ما. |
| (٢) مج ١: العين. | (١٠) سورة مدثر، آية: ١٠. |
| (٣) مج ١، مج ٣: الثالث. | (١١) مج ٣: - أما. |
| (٤) مج ١: انحناء. | (١٢) اصل، مج ٢، مج ٣: + كتاب. |
| (٥) سورة مطفّفين، آية: ٧. | (١٣) سورة بنى اسرائيل، آية: ٧. |
| (٦) مج ٣: تفضيلاً/ مج ١: تفضيلاً بعضاً. | (١٤) مج ٣: الذوات. |
| (٧) سورة حافه، آية: ٢٥. | (١٥) مج ٣: كايها. |
| (٨) اصل، مج ٢، مج ٣: المحرّفة. | (١٦) مج ٣: نزلها. |

عند الملك الحق وعالم ملكوته الأعلى بحسب هذه^(١) الفطرة، كما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُ الْمَرْقُومُ ﴿٢١﴾﴾^(٢).

فهذه دلالة على أن للإنسان^(٣) في جوهره الأصلي^(٤) استعداد الارتقاء إلى العالم الأعلى وحضور المقرّبين والقعود في مقعد صدق^(٥) مع الملائكة والنبّيين والشهداء والصالحين. وذلك إذا سلك سبيل الله واستقام على الصراط المستقيم^(٦) وطار بأجنحة الكروبيين^(٧)، ولم ينحط عن درجتها إلى درجة الحيوانات المنتكسة^(٨) الرؤوس، المقلوبة الأبدان، المغلولة الأيدي والأرجل. وإلا فمجرد الصورة الظاهرة غير كافية في الوصول إلى رتبة السعادة الأخروية ونيل^(٩) الكرامة السرمديّة؛ فإنّ المذموم من الحيوانات ليس ما هو بهيمة بحسب الصورة والهيئة، بل إنّما المذموم من هو بهيمة في صورة الإنسان: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْفَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(١٠). فالجاهل والفاجر^(١١) من الإنسان^(١٢) وإن كان من جهة البدن على أحسن وجه في الصورة، فهو من جهة جهل^(١٣) النفس على أقبح وجه في المعنى^(١٤).

- | | |
|----------------------------------|-------------------------------|
| (١) مج ١: + هذه. | (٨) اصل: منتكسة. |
| (٢) سورة مطففين، آيات: ١٨ تا ٢١. | (٩) مج ١، مج ٣: - نيل. |
| (٣) مج ٢: الإنسان. | (١٠) سورة فرقان، آية: ٤٤. |
| (٤) مج ٣: الأعلى. | (١١) اصل، مج ٢، مج ٣: العاجز. |
| (٥) اقتباس از سورة قمر، آية: ٥٥. | (١٢) مج ٣: - من الإنسان. |
| (٦) مج ١، مج ٣: - المستقيم. | (١٣) مج ١: - جهل. |
| (٧) مج ٢، مج ٣: الكروبيين. | (١٤) مج ١: المعاني. |

الفصل الرابع

في العناية الإلهية للإنسان وحبله المتين وعروته الوثقى
التي إذا تعلّقت^(١) النفس بها واستمسكت، قامت من
عثراتها^(٢) وزلاتها^(٣) الطبيعية والنباتية والحيوانية

وذلك لأنّ الناس إنّما يقومون من مزالّ الأقدام ويعرجون إلى عالم الملكوت
ولقاء الله تعالى بإمداد الكتب السماوية وإلقاء الكلمات الربّانية على أحد الوجوه
الثلاثة، التي أحدها مشاهدة الوحي الصريح بسبب^(٤) الاتّصال بعالم الملكوت
الأعلى العقلاني، وأوسطها ملاحظة الوحي ومشاهدة الملّك الموحّي من وراء
حجاب التمثيل^(٥) الشبهي بسبب الاتّصال بعالم الملكوت الأوسط^(٦) النفساني
السماوي، وأدناها استماع الآيات والنذر من جهة الاتّصال بالملكوت الأدنى
البشري الأرضي. وإلى هذه المراتب الثلاث أشير في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ
لِإِنشْرِ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾^(٧).

والأبواب التي تكون^(٨) مشاعر ومدارك لهذه الكلمات^(٩) والآيات^(١٠) هي
السمع والبصر والفؤاد خاصّة. ولهذا يكون أسباب معرفة الله ومبادئ الاطلاع

-
- | | |
|----------------------------------|-----------------------------|
| (١) مع ٣: تعلّقت. | (٦) مع ٢: - الأوسط. |
| (٢) مع ٣: عثراتها. | (٧) سورة شوري، آية: ٥١. |
| (٣) مع ٢: نزلاتها/ مع ٣: زلاتها. | (٨) مع ١، مع ٢، مع ٣: يكون. |
| (٤) اصل، مع ٢: بحسب. | (٩) مع ١: الكمالات. |
| (٥) اصل، مع ٢، مع ٣: التمثيل. | (١٠) مع ١، مع ٣: - والآيات. |

على ملكوته واردة على ذات الإنسان على هذه الطرق الثلاث التي يكون^(١) عددها بإزاء مراتب^(٢) الكتب السماوية المنزلة على ثلاث أمم؛ وهي التوراة لليهود، والإنجيل للنصارى^(٣)، والفرقان للمسلمين.

فعلم من هذه الإشارة أن أقوى الأسباب لخلاص النفس من عالم الظلمات التي يعرج بها الإنسان^(٤) إلى العالم^(٥) الأعلى هي بعثة الأنبياء من الله وإنزال الوحي من الملائكة إليهم وهدايتهم^(٦) للخلق، ليدبروا^(٧) آياته في الآفاق والأنفس ولينذكروا ألو الألباب، كما في قوله^(٨) تعالى: ﴿سَرُّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٩).

فهذه الآيات هي حبل الله المتين وعروته الوثقى التي إذا استمسكت بها النفس الإنسانية، قامت من عثراتها^(١٠) وزلات أقدامها الثلاث المذكورة بعناية الله وحسن توفيقه.

* * *

-
- | | |
|---|-------------------------------------|
| (١) اصل: تكون. | (٦) مج ١: هذا الإرشاد/ مج ٣: هذا. |
| (٢) مج ٢: - مراتب. | (٧) مج ١: + في/ مج ٣: ليدبر الآيات. |
| (٣) مج ١: التوراة والإنجيل للنصارى واليهود. | (٨) مج ٢: قولهم. |
| (٤) مج ٢: للإنسان. | (٩) سورة سجده، آية: ٥٣. |
| (٥) مج ٢: عالم. | (١٠) مج ٣: عثراتها. |

الفصل الخامس

في بيان آيات الآفاق والأنفس

اعلم أنّ الله تعالى خلق السماء وجعلها بمنزلة حجاب متوسط بين هذا العالم والعالم الآخر وبمنزلة حجاب الظلّ بين النور والظلمة؛ فلها نصيب من الوحدة والتماميّة، ونصيب من مقابل كلّ منهما. فهي بحسب صورة ذاتها ومقدارها وكيفيّاتها وأعراضها القارّة بالفعل، وليس فيها^(١) قوّة إلّا في النسب والأوضاع؛ وهي من^(٢) أضعف الأعراض اللاحقة بالشيء وأخرجها^(٣) عن ذاته وجوهره.

فالحوادث الفلكيّة هي مجردّ أمور نسبيّة، يتغيّر وينقلب بعضها إلى بعض، ويقع فيها التضادّ والتفاسد في أسهل عرض وأيسر^(٤) صفة منها. إذ قد قسّمها الله أقساماً أربعة على مثال العناصر، كالأرباع الربيعيّة والصيفيّة والخريفيّة والشتويّة؛ فالربيع الأوّل كمثال الهواء، والثاني مثال النار، والثالث مثال الأرض، والرابع مثال الماء. ثمّ رتب العالم ترتيب^(٥) المملكة، فجعل خواصّ من عبادته - وهم الملائكة - جلساء الحق بالذكر والتسبيح؛ لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون، يسبحون الليل والنهار ولا يفترون. ثمّ اتخذ حاجباً من الكروبيّين^(٦) واحداً أعطاه علمه في خلقه، وهو^(٧) علم مفضل في إجمال فعله؛

(١) همه نسخه ما: فيه.

(٢) مع ٣: - من.

(٣) مع ١، مع ٣: إخراجها.

(٤) مع ٢: التبر.

(٥) مع ٣: بترتيب.

(٦) اصل: الكروبيّين.

(٧) مع ١: هم.

وكان تجلّى له من اسمه^(١) «العليم»، وسمّاه^(٢) نونه و«الروح الأعظم»؛ فلا يزال معتكفاً في حضرة علمه تعالى، وهو رأس الديوان الإلهي. ثم اتخذ ملكاً كاتباً، فيعلمه علم التفصيل من العلم الإجمالي^(٣) بوساطة «النون»؛ فهذا الملك كاتب ديوانه، وتجلّى له من اسمه «القادر»؛ فجعل نظره إلى عالم^(٤) التدوين والتسطير، وسمّاه «القلم»^(٥) الأعلى وعالم قضائه. ثم خلق له لوحاً زمردياً، وأمره أن يكتب فيه جميع ما شاء^(٦) أن يجريه في خلقه إلى يوم الدين، وجعله عالم قدره. فكلّ^(٧) شيء^(٨) بقدر^(٩)، وكلّ صغير وكبير مستطر في اللوح المحفوظ، وأنزله^(١٠) منه منزلة التلميذ من الأستاذ؛ فله تجليات من الحق بلا واسطة وبواسطة. وليس لـ«النون» سوى تجلّ^(١١) واحد في مقام أشرف؛ فأمر الله «النون» أن يمدّ القلم بثلاث مائة وستين علماً من علوم الإجمال، تحت كلّ علم تفاصيل لا يحيط بها إلّا الله أو^(١٢) من شاء من عباده.

ولهذه الحقيقة جعل الله الفلك بثلاث مائة^(١٣) وستين درجة، كلّ درجة^(١٤) مجملة لما يحتوي عليه من تفاصيل الدقائق والثواني والثالث إلى ما شاء الله ممّا يظهر في خلقه إلى يوم القيامة. ثم أمر الله سبحانه أن [يتولّى]^(١٥) على^(١٦) عالم الخلق اثنا عشر والياً يكون مقرهم في بروج الفلك الأقصى مثل أبراج السور^(١٧)، كلّ برج مسكناً لأحد هذه الولاة الإثني عشرية؛ ورفع الله الحجاب بينهم وبين اللوح المحفوظ، فرأوا فيه صور الخلائق كلّهم والكائنات مسطّراً فيه أسماؤهم وأرزاقهم^(١٨) وما شاء الحق أن يخرج به على أيديهم في عالم الخلق

- | | |
|---------------------------------|---|
| (١) اصل، مج ٢: اسم. | (١٠) مج ٣: لو نزله. |
| (٢) اصل، مج ٢، مج ٣: هو المستق. | (١١) همه نسخه ها: تجلّي. |
| (٣) مج ٢: الإجمال. | (١٢) مج ١، مج ٣: و. |
| (٤) مج ٣: - عالم. | (١٣) مج ١: ثلثته. |
| (٥) مج ٣: العلم. | (١٤) مج ١: - كلّ درجة. |
| (٦) اصل، مج ٢: شاء. | (١٥) مج ١: تولّى / ديكر نسخه ها: يولّى. |
| (٧) مج ١: وخلق كلّ. | (١٦) مج ١، مج ٣: إلى. |
| (٨) مج ٣: - شيء. | (١٧) مج ٣: النور. |
| (٩) مج ٣: بقدره. | (١٨) مج ١: + ما شاء الله. |

إلى يوم القيامة، فانتقش^(١) وارتقم ذلك كله في نفوسهم وعلموه، ثم أمر الله لهؤلاء الولاة أن يجعلوا لهم^(٢) نواباً ونقباء في السماوات السبع، وفي كلّ سماء نقيباً كالحاجب لهم، ينظر في مصالح العالم العنصري بما يلقي إليهم هؤلاء الولاة ويأمرونهم^(٣) به، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهُ﴾^(٤).

وجعل الله أجسام هذه الكواكب النقباء أجساماً نيرة مستديرة، ونفخ فيها^(٥) أرواحاً^(٦) نفسانية؛ وأنزلها في هذه السماوات السبع، في كلّ سماء واحداً. وجعل^(٧) أيضاً لكلّ نقيب فلکاً يسبح فيه من الأفلاك السريعة الحركة كالتدوير والخوارج، هي لهم كالجواد للراكب^(٨)؛ إذ كان لهم التصرف في حوادث العالم والاستشراف^(٩) عليه بأمر الله. ولهم سدنة^(١٠) وأعوان يزيدون على الألف، وللكلّ فلک يشتمل على أفلاك تدور^(١١) بهم على المملكة في كلّ يوم وليلة^(١٢) مرة؛ فلا يفوتهم^(١٣) من المملكة^(١٤) شيء^(١٥) أصلاً من تلك السماوات والأرض. فتدور الولاة والنقباء السدنة كلهم في خدمة هؤلاء النواب والكتاب العاكفين على باب رحمة الله الملك الأعظم.

وهكذا ينبغي أن يكون الملك يستشرف كلّ يوم على أحوال أهل^(١٦) مملكته، يقول: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(١٧)، لأنه يسأله كلّ من في السماوات والأرض^(١٨) بلسان حاله أو مقامه. فهو يعطيه ما يقومه ويكملّه، ويحفظه عما يفسده ويزيله؛ ولا يؤوده حفظ العالم وهو العليّ العظيم؛ فما له شغل إلاّ بها.

- | | |
|--------------------------|-------------------------------------|
| (١) مج ١: فانتقش. | (١٠) مج ٢: خدمة/ مج ١: سدنة. |
| (٢) مج ٣: - لهم. | (١١) مج ١، مج ٣: يدور. |
| (٣) اصل، مج ٢: تأمرونهم. | (١٢) اصل، مج ٣: بليلة/ مج ١: بليته. |
| (٤) سورة سجده، آية: ١٢. | (١٣) مج ٢: تفوتهم. |
| (٥) مج ٢: فيها. | (١٤) مج ٣: الملكة. |
| (٦) اصل: أورها. | (١٥) مج ٣: - شيء. |
| (٧) مج ١: + الله. | (١٦) مج ٣: - أهل. |
| (٨) مج ٢: للكواكب. | (١٧) سورة رحمان، آية: ٢٩. |
| (٩) مج ٢: استراق. | (١٨) اقتباس از سورة رحمان، آية: ٢٩. |

مكذا جرت السُّنة الإلهية؛ ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾^(١)، ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَكُمْ لِقَاءَ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾^(٢) إذ كنا المقصود من العالم، وكل من هؤلاء الولاة والنقباء والسدنة والحبّاب مسخّرون^(٣) في حقنا. قال الله سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾^(٤)؛ وأنزل الله في التوراة: «يَا ابْنِ آدَمَ خَلَقْتُ الْأَشْيَاءَ مِنْ أَجْلِكَ وَخَلَقْتُكَ مِنْ أَجْلِي»^(٥).

ولمّا^(٦) جعل الله زمام أمور هذا العالم تحت أيدي هؤلاء وجعل أعواناً وسدنة مسخّرة تحت هؤلاء الولاة، فجعل تسخيرهم على طبقات ومراتب: فمنهم أهل العروج والنزول بالليل والنهار منا إلى الحق ومن الحق إلينا، في كل صباح ومساء.

ومنهم المستغفرون لمن في الأرض.

ومنهم الموكّلون بإيصال الشرائع والأحكام.

ومنهم الموكّلون بالإلهام واللمّات^(٧) والموصولون العلوم^(٨) إلى القلوب^(٩).

ومنهم الموكّلون بتصوير ما في الأرحام.

ومنهم النافخون للأرواح في الأجساد.

ومنهم الموكّلون بالأرزاق.

ومنهم زواجر السحاب ومشيعوا الثلج والبرد والهوايط مع أقطار الأمطار.

ومنهم^(١٠) الموكّلون على خزائن البحار والجبال فلا تزول.

ومنهم السفرة الكرام البررة والحفظة الكرام الكاتبون^(١١).

(١) سورة سجده، آية: ٥.

(٢) سورة رعد، آية: ٢.

(٣) مع ٢: - مسخّرون.

(٤) سورة جاثية، آية: ١٣.

(٥) مع ١: لأجلي.

(٦) اصل، مع ١، مع ٢: اللّمّات / مع ٣: الكلمات.

(٧) مع ٢: + ومنهم الموكّلون بالأرزاق.

(٨) مع ٣: للعلوم.

(٩) مع ١، مع ٣: الكاتبين.

(١٠) هذه نسخة ها: - منهم.

ومنهم ملائكة القبور والطائفون بالبيت المعمور.

ومنهم رضوان وسدنة الجنان.

ومنهم الزبانية الذين إذا قيل لهم: ﴿خُذُوا فَنُؤُوهٖ﴾ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ لَنَجِمْ صَلُوهٖ﴾ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿^(١)، ابتدروه^(٢) سراعاً ولم ينظروه.

وغير هؤلاء ممّا لا يحيط علم البشر بإحصائه؛ إذ ما من حادث في العالم إلا وقد وُكِّل بإجرائه ملائكة، ولكن بأمر أولئك الملائكة^(٣) المقرّين.

ولذلك^(٤) قال الله تعالى حكاية عنهم: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾^(٥)، كما كان منهم الصّافات والزّاجرات والسّابحات والملقيات والمدبّرات؛ ومع هذا فلا يزالون تحت سلطان أولئك الأرواح المهيّمة^(٦)، فهم^(٧) خصائص الله.

ثمّ العامّة ما يشاهدون إلا منازل هذه الملائكة العلوية والسفلية، والخاصّة يشاهدونهم في منازلهم.

وجعل الله في العالم العنصري من نوع البشر خلفاء الله أشباه الملائكة [الأعلىين]^(٨).

فمنهم^(٩) الرسل والأئمة والقضاة والملوك العدل والولاة والسلاطين. وجعل أفضل الأنبياء ﷺ بمنزلة الروح الأعظم، وأفضل الأئمة بمنزلة^(١٠) النفس الكلّي والّلوح المحفوظ وأم الكتاب: ﴿وَإِنَّهُ فِي أَرْأْسِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾^(١١).

وجعل الله بين أرواح هؤلاء الولاة في الأرض وبين هؤلاء الولاة في^(١٢) الأفلاك دقائق^(١٣) ومناسبات تمتد^(١٤) إليهم من هؤلاء الولاة الفلكيّة

(٨) همه نسخه ها: الأعلون.

(١) سورة حاقه، آيات: ٣٠ تا ٣٢.

(٩) مج ١، مج ٣: منهم.

(٢) مج ٣: ابتدوه.

(١٠) مج ١: - بمنزلة.

(٣) مج ٢: - الملائكة.

(١١) سورة زخرف، آية: ٤.

(٤) مج ١: ذلك.

(١٢) مج ٣: - الولاة في.

(٥) سورة صافات، آية: ١٦٤.

(١٣) اصل: دقائق.

(٦) مج ٣: المهمة.

(١٤) مج ١، مج ٣: يمتد.

(٧) مج ٣: - فهم.

مطهرة من الشوائب مقدسة عن العيوب، فيقبلها^(١) هؤلاء بقدر قوتهم واستعدادهم.

حكمة أخرى:

إن الله جعل الأرض لمكان الإنسان الكامل بمنزلة إمام يجتمع عنده الخلائق من البسائط والمرکبات والكائنات العنصرية والآثار السماوية وقبائل من الملائكة وجنود مجتدة^(٢) من عالم الغيب ليعتدل باجتماعها أحواله. وجعل ضوء الشمس ونور القمر ساجدين^(٣) على بابها، والليل والنهار دائبين لها طائفين على ساحتها وأطرافها؛ وكذلك جعل الماء والهواء عاكفين على سطحها دائرين حولها؛ وكذلك جعل الكواكب من جهة وقوع أشعتها بمنزلة من يهوي^(٤) برأسه إلى التحت للسجود؛ وكذلك النباتات^(٥) بحسب وضعها الطبيعي الانتكاسي بمنزلة من يضع رأسه على البساط^(٦) للسجدة: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾^(٧)؛ وكذلك حال الحيوانات في انكبابها إلى الأرض وخضوعها.

كل ذلك لأجل وجود خليفة الله في هذه الأرض، كما قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٨)، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَلٍ مِّن حَمَلٍ مَّتَّسُونَ﴾^(٩) فَإِذَا سَوَّيْتُهُمْ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(٩).

فإنه الغاية الأصلية في وجود العالم وخلقة الكائنات، وهو الثمرة العليا واللباب الأصفى. ولهذا جعل الله المخلوقات العالية والسافلة كلها مسخرة له مطيعة إياه، كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِي إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١٠) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي

- | | |
|----------------------|-------------------------------|
| (١) مع ١: فقبلها. | (٦) مع ٣: البسائط. |
| (٢) مع ١، مع ٣: + و. | (٧) سورة رحمان، آية: ٦. |
| (٣) مع ٣: ساجداً. | (٨) سورة بقره، آية: ٣٠. |
| (٤) مع ١: تهوي. | (٩) سورة حجر، آيات: ٢٨ تا ٣١. |
| (٥) مع ٣: النبات. | |

الْأَرْضِ مَخْلُوقًا لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ جِلْبَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾

فأشار في (١٢) هذه الآيات إلى تسخيرها لنا الكواكب والحيوانات والنبات والجماد. ثم أجمل وقال أيضاً: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (١٣)، وكذا قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (١٤).

حكمة أخرى:

جعل الله الأرض لقوة (٥) قبولها الآثار بمنزلة خميرة تهيأ بها خلقة المكونات (٦)، والغرض الأصلي منها خلقة الإنسان خليفة الرحمان، وخلق من فضالته سائر الأكوان لأمرين: حاجة الآدمي إليها، ولئلا يهمل (٧) كل عنصر حقه ولا يمنع عن القابل ما يستحقه.

فبعث الله خليفة (٨) من الأرض المخمّرة بثلاث نفخات: فبالنفخة (٩) الأولى حصل لها قوة النمو والزيادة في المقدار من جهة جذب الغذاء وصرفها في الجوانب والأقطار بمنزلة من ينفخ في زق فيزداد في مقداره. وبالنفخة (١٠) الثانية يتولد (١١) قوة الحسّ والحركة، كمن ينفخ بالكير في فحم يتجمّر بعد أن يتسخّن (١٢). وبالنفخة (١٣) الثالثة يتولد فيه قوة الفكر والمعرفة وتصور المعقولات بالنور العقلي كمن ينفخ في جمر يشتعل (١٤) ويضيء (١٥) جوانبه.

- | | |
|-------------------------------|-----------------------|
| (١) سورة نحل، آيات: ١٢ تا ١٤. | (٩) أصل: فالنفخة. |
| (٢) مع ٣: إلى. | (١٠) مع ١: بالنفخة. |
| (٣) سورة لقمان، آية: ٢٠. | (١١) مع ٣: + فيه. |
| (٤) سورة جاثية، آية: ١٣. | (١٢) مع ٣: سخّن. |
| (٥) أصل، مع ٢، مع ٣: بقوة. | (١٣) مع ١: بالنفخة. |
| (٦) مع ١: للمكونات. | (١٤) أصل: تشتعل. |
| (٧) مع ٣: + على. | (١٥) أصل، مع ٢: تضيء. |
| (٨) أصل: خليفته. | |

فالإنسان^(١) بحسب هذه النفخات الثلاث بمنزلة نائم^(٢) في نوم^(٣) شديد يتحرك قليلاً بالأولى، ويتنبه^(٤) بالثانية هائماً متحيراً، ويستيقظ^(٥) بالثالثة قائماً مستوياً^(٦) من رقدة الطبيعة ونوم الغفلة عارفاً مقاييس الأمور ومحاسبات الأشياء بالفكر والروية. ويسترجع الأعمال الماضية بالحفظ والذكر، ويستنظر الأحوال الآتية بالحدس والفهم، ويعرف خواص الأشياء وأصولها وحدودها ورسومها وعللها ومبادئها وغاياتها بقوة^(٧) الحكمة والبرهان، ويستكشف أيضاً مقادير كل عمل وأنحاء وجود كل^(٨) مهية وحقيقة كل ذي حق وعوالمه ونشأته بالقدرة التامة الباطنية^(٩).

وهكذا إلى أن يصل بالنور الشارق والوميض^(١٠) البارق إلى عالم الربوبية، فيرى فيها من العجائب ما يكل^(١١) عن وصفه الألسن ويصم عن سماعه الأذان. فيا حبيبي، يجب عليك أن تعلم من هذه الجملة وتؤمن بأن العالم بمنزلة شجرة ثمرتها الإنسان؛ وهو كشجرة ثمرتها النفس الناطقة^(١٢) والعقل المستفاد؛ والعقل^(١٣) كشجرة ثمرتها لقاء الله؛ وهو غاية الغايات ومنتهى الأشواق والرغبات.

* * *

- | | |
|------------------------------|--------------------------------------|
| (١) مج ١، مج ٣: فإن الإنسان. | (٨) مج ٣: كل وجود. |
| (٢) مج ٣: النائم. | (٩) مج ٣: الباطنة. |
| (٣) مج ١: يدم. | (١٠) مج ٣: البيض. |
| (٤) اصل: يتبه. | (١١) مج ١: نكل. |
| (٥) مج ١: يسط. | (١٢) مج ٣: + وهي كشجرة ثمرتها العقل. |
| (٦) مج ٢: مشوياً. | (١٣) مج ٣: هو. |
| (٧) مج ١: + الفكر و. | |

الفصل السادس

في بيان أصل السعادة وأصل^(١)

الشقاوة الحقيقيتين^(٢)

واعلم أنّ الناظر في أحوال بدن الإنسان وصفات مزاجه ولونه وحركات أطرافه يمكن له^(٣) أن يستنبط منها بصناعة الطبّ الجسماني صحته وسعادته أو سقمه وشقاوته العاجلتين؛ كذلك^(٤) الناظر في أحوال نفسه وصفاتها وملكانها وأخلاقها النفسانية يمكن له^(٥) أن يستنبط منها بصناعة الطبّ الروحاني صحته وسعادتها أو سقمها وشقاوتها الآجلتين.

ثمّ اعلم^(٦) أنّ الله^(٧) خلق الناس بحسب أحوالهم الظاهرة وصورهم المحسوسة في أحسن الصور^(٨) وأجمل الأحوال، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(٩)؛ فله قابليّة الوصول إلى الكمال الأتمّ لحسن استعداده. لأنّ البدن جوهر قابليّ خلق لأجل استعداد النفس وكمالها^(١٠) اللائق بها وارتقاها إلى عالم الآخرة عند الله، كالدابة المركوب عليها لأجل الوصول إلى منزل مرغوب إليه أو^(١١) وطن أصلي؛ وإلا^(١٢) فمجرّد الركوب عليها أو رعيها

(١) مج ٣: - أصل.

(٢) مج ١، ٢، ٣: الحقيقيين.

(٣) مج ١، ٣: - له.

(٤) مج ١، ٣: كذا.

(٥) مج ١: - له.

(٦) مج ٢: - ثمّ اعلم.

(٧) مج ١، ٣: - الله.

(٨) مج ١، ٣: الصورة.

(٩) سورة طلاق، آية: ٤.

(١٠) أصل، مج ٢، ٣: لكمالها/ مج ١: بكمالها.

(١١) مج ١، ٣: - و.

(١٢) مج ٣: - وإلا.

تعب وخدمة^(١)، كما أشير إليه بقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ^(٢). (الآية). فليست الصورة الظاهرة مناط السعادة^(٣) الحقيقية، لزوالها وتغيرها.

فالسعيد الحقيقي من كان^(٤) سيرته النفسانية كصورته الجسمانية على أحسن هيئة وأكملها وأجمل كسوة وأشرفها؛ والشقي الحقيقي من كانت^(٥) صورته^(٦) الباطنة^(٧) قبيحة لأجل قبائح الأعمال ورذائل الأخلاق. والنفس التي لا سعادة لها ولا شقاوة كبهيمة معظلة لا يستحق الثواب ولا^(٨) العقاب؛ إِلَّا أَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ واسعة لكل شيء، فمجرد الشيئية والإمكان مصححة لقبول مرتبة من الرحمة إن لم^(٩) يمنع مانع مضاد مناف لها؛ فإذا ضم إليه الاستحقاق بفعل الحسنات، يوجب الفوز بالدرجات، كما قال: ﴿...وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾^(١٠). إِلَّا أَنْ أَصِلَ كُلَّ سَعَادَةٍ حَقِيقَةٍ هُوَ الْعِلْمُ وَالْيَقِينُ، وَمَادَّةُ كُلِّ شَقَاوَةٍ هِيَ الشُّكُّ وَالْجَهْلُ^(١١)، وضرب منه - وهو المضاد للمعرفة المشفوع بالإنكار والعناد - رذيلة يوجب العذاب الأبدي والشقاء^(١٢) السرمدى.

والنفوس الساذجة من النقوش^(١٣) بمنزلة صحيفة قرطاس خالية عن الكتابة؛ بحيث إذا انتقشت بالعلوم العقلية^(١٤) والحكمة العملية^(١٥)، صلحت لأن تكون خزانة أسرار الملك؛ وإذا انتقشت هي بعينها بالمزخرفات الواهية والكلمات^(١٦) المعظلة الدانية^(١٧) الباطلة أو الكاذبة، لم يصلح إلا للاحتراق^(١٨) بالنار.

- | | |
|---|-------------------------------------|
| (١) مع ١: خلته. | (١٠) سورة اعراف، آية: ١٥٦. |
| (٢) سورة عصر، آيتان: ٣ و ٤. | (١١) مع ٣: الجهل والشك. |
| (٣) مع ٢: سعاده. | (١٢) مع ٣: الشقاوة. |
| (٤) مع ٣: كانت. | (١٣) مع ٣: النفوس. |
| (٥) مع ١: كان. | (١٤) اصل: المعقولة/ مع ٣: المعقولة. |
| (٦) مع ١، مع ٣: سيرته. | (١٥) مع ٣: العلمية. |
| (٧) مع ١، مع ٢: الباطنية. | (١٦) مع ٣: الكمالات. |
| (٨) مع ١: لا. | (١٧) مع ١، مع ٢، مع ٣: - الدانية. |
| (٩) مع ١، مع ٣: إِلَّا أَنْ (بجاء إن لم). | (١٨) مع ١: الاحتراق. |

فأصل الثواب والعقاب الحقيقيين ينشآن من العلم و^(١)الجهل؛ وذلك^(٢) لأن ثمرات الأعمال ونتائج^(٣) الأفعال^(٤) إما أن يكون في هذا العالم، أو في الدار الآخرة.

فالأولى كأجور أرباب الصنائع والحرف والمكاسب، وهي من باب الدراهم والدنانير؛ أو^(٥) القبول والتقرب للملوك والسلاطين التي فيها راحة الأبدان.

والثانية كجزاء الأعمال الصالحة من العبادات والأذكار والقيام والصيام والزكاة والطواف؛ فإنها تكون^(٦) من الأمور^(٧) الأخروية التي فيها^(٨) روح^(٩) الأرواح وريحانها وجنات النعيم. وكما أن الإنسان يستغني بالغنية المالية والنقود الرائجة عن تعب^(١٠) المكاسب ومشقة الصنائع و الجرف، فكذلك بالغنية العلمية الحقيقية يستغني العالم الرباني عن مشقة النوافل والخيرات المظنونة.

فإن المعرفة غاية كل عمل وحركة، وثمره كل طاعة وعبادة: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^(١١)؛ لأنَّ حاصل سائر العبادات والطاعات تصفية^(١٢) مرآة القلب عن غشاوة الكدورات النفسانية، ليستعدَّ بذلك للانتقاش بصورة المطلوب. وأما غاية العلوم الإلهية والمعارف اليقينية غير الآلية، فحصولها أنفسها.

وما وقع في الآثار أن من فعل حسنة فكتب^(١٣) له أجر ومُجِّت^(١٤) عنه سيئة

(١) مع ١: أو. (٨) مع ٣: - فيها.

(٢) اصل: - وذلك.

(٩) مع ٣: تروح.

(٣) مع ٣: نتالجه.

(١٠) مع ١، مع ٣: - تعب.

(٤) مع ٣: - الأفعال.

(١١) سورة حجر، آية: ٩٩.

(٥) مع ١: و.

(١٢) مع ٣: مصفية.

(٦) اصل، مع ١، مع ٣: يكون.

(١٣) مع ١: كتب.

(٧) مع ٣: - الأمور.

(١٤) مع ٢: محبت.

ورفعت له درجة كما قال بعضهم: من سمع كلمة وفهم معناها، حصلت^(١) له معرفة وزالت عنه جهالة وارتفعت منزلتها بإزاء هذا القدر من العلم؛ لأن^(٢) العلم هو بذاته^(٣) شرف وكمال والجهل بذاته آفة وزوال. وهكذا كلما ازداد الإنسان يقيناً، ازداد منزلة في الملكوت.

* * *

(٣) مج ٣: بذاته هو.

(١) مج ١: حصل.

(٢) مج ١، مج ٣: إلا أن.

الفصل السابع

في ماهية الموت

الموت يقابل الحياة مقابلة^(١) العدم والملكة. ثم لما بُيِّن أنَّ الحياة على وجهين: جسمانية^(٢) وهي مبدأ الإحساس والتحريك الإرادي، ونفسانية وهي منشأ الحكمة واليقين؛ فكذا الموت يكون على وجهين: أحدهما الجسماني^(٣) وهو عدم^(٤) مبدأ الحسّ والحركة بالإرادة^(٥)، والثاني هلاك منشأ الحكمة واليقين.

وكما أنَّ الحياة الجسمانية^(٦) قد تكون بالعرض وبحسب التبعية لا بالذات، كحياة الشعر والظفر، فإنَّ حركاتها بتبعية^(٧) الأعضاء الحساسة المجاورة لها؛ فكذلك الحياة النفسانية^(٨) قد تكون بالعرض وبحسب^(٩) التبعية لا بالذات، كما يتبع أحد عالمًا بالتقليد في العقائد الحقّة ويتشبه به في سيرة صالحة^(١٠) أو يسمع منه الكلمات^(١١) الحقّة من غير أن يقف على مغزاها^(١٢) أو يستبصر^(١٣) معناها. فهو من^(١٤) جهة ذلك ليس ذا حياة أخروية وذا إيمان حقيقي يقوم بنفسه عند الحق؛ لأنَّ العلم التقليديّ ليس بعلم يقيني حاصل من البصيرة الباطنية، ولهذا

-
- | | |
|---|---------------------------|
| (١) مع ١، مع ٣: تقابل. | (٨) مع ١: النفساني. |
| (٢) مع ٣: جسماني. | (٩) مع ٣: - بحسب. |
| (٣) مع ٣: جسماني. | (١٠) مع ١، مع ٣: الصالحة. |
| (٤) مع ٣: - عدم. | (١١) مع ١: الكلمة. |
| (٥) مع ١، مع ٢: والإرادة/ مع ٣: - بالإرادة. | (١٢) اصل، مع ٢: مغزاها. |
| (٦) اصل، مع ٢: - الجسمانية. | (١٣) اصل: تستبصر. |
| (٧) مع ٣: - فإنَّ حركاتها بتبعية. | (١٤) مع ٣: - من. |

يقبل التحول. إلا أنه نوع متابعة وتشبه بأهل الحياة [الأخروية]؛ ومن تشبه يقوم
فهو منهم، فيكون محشوراً معهم.

ولا يذهبن^(١) عليك أن الأنبياء كان سماعهم الوحي من الملائكة من جهة
التقليد؛ هيهات، فإن التقليد ليس معرفة، سواء كان^(٢) المقلد بشراً أو ملكاً.
والأنبياء عرفاء بالله وآياته وملكوته وكتبه ورسله واليوم الآخر؛ إنما ذلك مشاهدة
قلبية^(٣) ومكالمة باطنية^(٤) بحسب الاستبصار واليقين، لا مجرد^(٥) التقليد
والتخمين.

وكما أن النطفة أو^(٦) المادة الجنينية تحولت لنقصانها في الحياة الجسمانية^(٧)
إلى مرتبة الطفولية، وكذا مرتبة الطفولية^(٨) تحولت إلى مرتبة أخرى فوقها؛ حتى
بلغت الغاية في الحياة الجسمانية والنشوء البدني، فوقفت عندها ولم يتحول إلى
حيوانية أخرى في هذا العالم، إلا أن لها أن ينهج منهجاً آخر^(٩) ويسلك مسلكاً
غير هذا المذهب الطبيعي الجسماني. فكذلك الإنسان إذا شرع في إدراك
الأوليات والبدهيّات، فيكون ذلك أول سفره إلى عالم الملكوت؛ وحياته
النفسانية بحسب هذه المرتبة بإزاء الحياة الجسمانية التي^(١٠) للأجنة في بطون
أمهاتهم، فيكون قابلة للتحويل لنقص درجتها، ويكون في كل تحول فساد ونسخ
للحياة السابقة.

ومكذا الحال في التحول والانتقال من كل تقليد إلى تقليد آخر إلى أن
بلغت قوته في قبول الحياة النفسانية إلى درجة البصيرة الباطنية^(١١)، فحصلت
له حينئذ الحياة التامة القلبية التي هي مبدأ العلم العياني والقدرة التامة
الأخروية التي تحضر^(١٢) صورة الأعيان متى شاء وأراد في عالم الجنان؛

(٧) مج ١: الجسماني.
(٨) مج ٣: الطفولة.
(٩) مج ٣: آخر.
(١٠) مج ٣: التي.
(١١) مج ٣: الباطنة.
(١٢) همه نسخة ها: يحضر.

(١) مج ٢: - ولا يلمبن.
(٢) اصل، مج ٣: - كان.
(٣) مج ١: لله.
(٤) مج ١: باطنة.
(٥) مج ١: بمجرد.
(٦) مج ٣: ر.

كما^(١) قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾^(٢)، وقال أيضاً: ﴿...وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٣).

فخلص من الموت، وبطل منه التحول من دنيا إلى دنيا^(٤)، وارتفع منه النسخ الذي هو موت المقلدين؛ كما ورد في الحديث النبوي ﷺ أنه: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار وهم في حال العذاب، يُجاء بالموت على صورة كبش أملح، فيوضع^(٥) بين الجنة والنار، فيضجعه الروح الأمين؛ ويأتي يحيى عليه السلام ويبيده الشفرة^(٦) فيذبحه، ويُقال لساكني^(٧) الجنة والنار: خلود فلا موت».

وفيه إشارة إلى أن في العالم النفساني المتوسط بين الحياة البدنية والعقلية المحضة يجاء بصورة البهيمه^(٨) البدنية، بها يكون موت النفس، ويقطع^(٩) مادتها وحسم^(١٠) آفاتها وذبح قوتها بالعرفان يكون الحياة العقلية للنفس. والروح الأمين هو مخرج النفوس من القوة إلى الفعل بإفاضة الحياة العلمية عليها. ويحيى كناية عن القوة العقلية من الإنسان التي^(١١) يصير عقلاً بالفعل بتأييد الملك المقدس المفيض للحقائق بإذن الله.

فإذا ارتفع الجهل من النفس، ارتفع الموت الأبدي، وحصل البقاء الدائم وحياة الأبدية وقامت القيامة. ولهذا قال رسول الله ﷺ: «أنا والساعة كهاتين». ودعي رسول الله بأنه رسول آخر الزمان؛ يعني زمانه آخر زمان الحياة الجسمية وأول ظهور الحياة النفسانية للأرواح الإنسية^(١٢)، من غير تبدل ونسخ كما في سائر الأزمنة والقرون السابقة^(١٣) والأمم الماضية.

(٨) مع ٢: البهيمه / مع ٢: البهيمه.

(٩) مع ١، مع ٢، مع ٣: يقطع.

(١٠) مع ١، مع ٣: جسم.

(١١) مع ٣: - التي.

(١٢) مع ١، مع ٣: الإنسانية.

(١٣) مع ١: السالفة.

(١) همه نسخه ها: + قد.

(٢) سورة يس، آية: ٥٧.

(٣) سورة زخرف، آية: ٧١.

(٤) مع ٣: - إلى دنيا.

(٥) مع ٢: فتوضع.

(٦) مع ٣: الشفرة.

(٧) مع ٣: للساكني.

الفصل الثامن

في (١) معنى المغفرة وتحققها (٢) من فضل الله تعالى
كما وعدّها (٣) عباده (٤) وبشّرهم بها

وذلك معلوم من سوابق رحمته وإحسانه في حق الإنسان وغفرانه لذنوبه السابقة الخلقية وتطهيره إياه من دنس أرجاسه الطبيعية وأنجاسه الهيولوية. أولاً ترى كيف أخرج الجنين من مضيق بطن أمه إلى فضاء عالم (٥) الدنيا، وغفر ذنوبه التي اقترحها وسيئاته (٦) التي اجترحها (٧) عند كونه نطفة ومضغة وعلقه وجيناً (٨) من تلطّخه بالأنجاس وتغذيّه بحرام دم (٩) الحيض وإخلاده في أرض الرحم بصحبة الظلمات، وطهره عن دنس الأنجاس والأخبثات، وعوّض له عن دم الحيض بلبن خالص سائغ شرابه لأن يتغذى ويتقوى بدنه، فيسرح في سعة العالم كيف يريد ويشاء، فخرج من ذنوبه السابقة يوم ولدته أمه! وكذا إذا بلغ درجة العلم والإيمان، وخرج من نوم الجهالة ورقدة الطبيعة، غفر الله له ما تقدّم من ذنوب الجهالة والظلمة وسيئات العمى والحرمان، وطهره عن دنس جرائم الأجرام وشهوات النفس والهوى، وعوّض له عن الأغذية الجسمانية وألوان الطعوم بالأغذية النفسانية التي هي فنون المعارف وأقسام (١٠) العلوم (١١).

(٧) مع ٣: أخرجها.

(٨) مع ٣: جينها.

(٩) مع ٣: دم.

(١٠) مع ٣: أقسامها.

(١١) مع ٣: العلوم.

(١) اصل، مع ٢: - في.

(٢) مع ٢: محققها.

(٣) مع ٢: وعد.

(٤) مع ٣: عبادهم.

(٥) مع ٣: - عالم.

(٦) مع ٣: سيئاتها.

كشف وتحقيق:

إن قابض روح الأرض هي النفس النباتية التي هي كلمة فعالة وقوة من قوى ملائكة موثقة^(١) على أديم^(٢) الأرض، شأنها إحالة الأرض؛ فتسلخ عنها الصورة الأرضية، لتعوض عنها بأحسن صورة وأجمل كسوة، فتغفر لها ما تقدم من ذنبها وتخرجها عن تسفلها وبعدها عن عالم الرحمة.

وكذلك قابض روح النبات ومتوقيه ورافعه إلى سماء الحيوانات هي النفس المختصة بالحيوان؛ وهي من أعوان الملائكة الموثقة بإذن الله تعالى لهذا الفعل باستخدام القوى الحساسة والمحركة.

وكذلك قابض روح الحيوان ومتوقيه ورافعه إلى سماء درجة الإنسانية هي النفس المختصة بالإنسان؛ وهي كلمة الله المسمى بـ«الروح القدس»^(٣) الذي شأنه إخراج النفوس من القوة الهيولانية إلى العقل^(٤) المستفاد بأمر الله تعالى وإيصال الأرواح إلى جوار الله وعالم الملكوت الأخروي.

ففي هذه التحويلات كانت كل مرتبة لاحقة أشرف من سابقتها. ولم يكن للمنتقل^(٥) من الحالة السابقة إلى الحالة اللاحقة حسرة وندامة على زوال النشأة الأولى؛ بل إن كانت، ففي أمر آخر. فهكذا ينبغي أن يقاس النشأة الأخروية للنفوس^(٦) المرتقية إليها بالعلم والمعرفة.

تأييد فرهاني:

اعلم أنه قد وقع في القرآن الحكيم^(٧) نسبة التوقي^(٨) للنفوس^(٩) تارة إلى الله، كقوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(١٠)، فيدلُّ على أنَّ المتوفي هو الله؛

-
- | | |
|--------------------|-------------------------|
| (١) مج ١: موثقة. | (٦) مج ٢: النفوس. |
| (٢) مج ٣: آدم. | (٧) مج ١: الكريم. |
| (٣) مج ٢: القدس. | (٨) مج ٢: توفي. |
| (٤) مج ٣: - العقل. | (٩) مج ٢: النفوس. |
| (٥) مج ٣: للمثل. | (١٠) سورة زمر، آية: ٤٢. |

وكقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾^(١)؛ وكقوله: ﴿رَبِّ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾^(٢)؛ وكقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾^(٣). وتارة نسب التوفي إلى ملك الموت، كقوله: ﴿قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي نُكِّلَ بِكُمْ﴾^(٤).

وتارة نسب إلى رسول الله، كما في قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾^(٥).

وذكر^(٦) بعض المفسرين في وجه الموافقة بين هذه الآيات:

إنَّ المتوفي في الحقيقة هو الله، إلَّا أَنَّهُ فَوْضَ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَعْمَالِ إِلَى مَلَكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؛ ففَوْضَ قَبْضِ الْأَرْوَاحِ إِلَى مَلِكِ الْمَوْتِ، وَهُوَ رَئِيسٌ وَتَحْتَهُ أَتْبَاعٌ وَخُدَمٌ^(٧). فَأُضِيفَ التَّوْفِيُّ فِي^(٨) آيَةِ إِلَى اللَّهِ، وَهُوَ الْإِضَافَةُ الْحَقِيقِيَّةُ؛ وَفِي آيَةِ إِلَى مَلِكِ الْمَوْتِ، لِأَنَّهُ رَئِيسٌ فِي هَذَا الْعَمَلِ؛ وَإِلَى سَائِرِ الْمَلَائِكَةِ، لِأَنَّهُمُ الْآتِبَاعُ لِمَلِكِ الْمَوْتِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ. (انتهى كلامه)^(٩).

تأويل قدسي:

اعلم أَنَّ الإنسان نشأة جامعة، قد بني وجود هذا المسجد الجامع من أصول أربعة، لكلٍّ منها جنود وخدم وفروع لا يعلم تفصيلها إلَّا الله. و^(١٠) الغاية الحقيقية في بناء هذا المسجد الجامع الإنساني الذي اجتمعت فيه أفراد الأنواع إقامة الصلاة بخطابة^(١١) خطيب العقل على منبر دماغه بشهادة أن لا إله إلَّا الله

(٧) مع ١: خدام.

(٨) مع ٣: - في.

(٩) مع ٣: - انتهى كلامه.

(١٠) مع ١: أو.

(١١) مع ٣: بخطابته.

(١) سورة ملك، آية: ٢.

(٢) سورة يونس، آية: ٢٥٨.

(٣) همان، سورة، آية: ٢٨.

(٤) سورة سجد، آية: ١١.

(٥) سورة انعام، آية: ٦١.

(٦) مع ٢: - وذكر.

ودلالته بوجوده الجمعي المتوحد في مرتبة روحه البسيطة الإجمالية على وحدانية الحق سبحانه، وامثال خلائق قواه الإدراكية والتحريكية أمره، واستماعها نداه إذا نفذ^(١) في مسامعها صداه، ومشايعتها للروح واقتداؤها به^(٢) في الصلاة التي هي معراج المؤمن إلى لقاء الله، وتركها استعمال البدن في معاملاتها، وإعراضها عن^(٣) البدنية امتثالاً لأمر الله وإجابة^(٤) لداعي الحق في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَوَدَّعَ لِلصَّلَاةِ مِنْ بَوِّ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٥) (الآية).

وقد مرّت إشارة^(٦) إلى أنّ الموت أمرٌ طبيعي وسعي جبلي، كما أشير إليه^(٧) في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًّا فَمَلَأْ بِهِ﴾^(٨)؛ ونحن بينا^(٩) هذا في مقام يناسبه بما لا مزيد عليه.

ثم إنه قد وردت الروايات المختلفة في باب المتولّي لعمارة هذا المسجد الحرام والآخذ لطينة هذا البيت المعمور؛ ففي بعضها الجامع لأجزاء بدن آدم هم الملائكة، وفي بعضها الآخذ لتراب قلبه هم رسل الله ليكون لهم الرسالة إلى عباده، وفي بعضها أنّ ملك الموت أخذ قبضة من التراب، وفي بعضها أنّ الله قبض بيده قبضة من أديم الأرض. وقد ارتكز في مدارك العقول أنّ القابض لروح الإنسان المتوفّي له هو القابض لأجزاء بدنه.

فهذه الروايات كلّها صادقة الفحوى متوافقة المعنى عند الواقف على حقيقة ذات الإنسان. فإنّ تخمير^(١٠) ذاته من طينات وأصول أربعة، ففيها الطينة الطبيعية والنباتية والحيوانية والنفسانية.

فأما أصل طينتها النباتية، فهي التي قبضتها الملائكة الموكّلة بعمارة هذا

(١) مج ٣، مج ١: فقد.

(٢) مج ١: اقتداء بها.

(٣) مج ١: - إعراضها من.

(٤) مج ٣: إجابته.

(٥) سورة جمعه، آية: ٩.

(٦) مج ٣: الإشارة.

(٧) مج ٣: - إليه.

(٨) سورة انشقاق، آية: ٦.

(٩) مج ٣: قد بينا.

(١٠) مج ٣: فإنّه يختم.

العالم العنصري، فأحيها الله تعالى بالماء: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾^(١).
وأما مادة طينة الحيوانية، فهي التي جاء بها رسل الله، لقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ
مَرِئِي﴾^(٢) أي ابتداء حصوله^(٣) من عالم الأمر بيد ملائكة متوسطة بين أمره
تعالى وخلقه.

وأما مادة نفسه الناطقة وعقله الهيولاني، فهي التي يكون حياتها العقلية بنفخه
تعالى روحه فيها، لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^(٤).

وأما حصة طينة من كن عبداً عارفاً بالله باقياً ببقائه فانياً عن ذاته، فهي التي
أحيها بروح القدس، كما قال في حق عيسى روح الله - على نبينا وآله
وسلم -^(٥): ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾^(٦).

ثم لما كان القابض لطينة الإنسان المحيي له هو بعينه القابض لروحه المتوفي
لمادته السابقة، فتلك الطينة النباتية التي قبضت الملائكة الأرضية ترابها فتلك
الملائكة بعينها توقاها^(٧) وتقبض روحها إلى الله^(٨)، لقوله تعالى: ﴿...تَوَفَّاهُمْ
الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾^(٩).

وأما الخلقة^(١٠) الحيوانية التي قبضتها^(١١) الرسل وأحيها الله^(١٢) بأمره، فهم
يأخلون روحها ويتوفونها، لقوله تعالى: ﴿تَوَفَّاهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾^(١٣).

وأما نفسه^(١٤) الناطقة التي قبضها ملك الموت وأحيها الله بنفخة إسرافيلية
منه، فيتوقاها ملك الموت، لقوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾^(١٥).

وأما المادة العقلية والخميرة المقدسة الإلهية التي قبضها الله وأحيها بروح

(٩) سورة نحل، آية: ٢٨.

(١٠) مع ٣: طينة.

(١١) مع ٣: قبضها.

(١٢) مع ١، مع ٣: - الله.

(١٣) سورة انعام، آية: ٦٨.

(١٤) اصل: السنحة/ مع ١: النسخة.

(١٥) سورة سجد، آية: ١١.

(١) سورة انبياء، آية: ٣٠.

(٢) سورة بني اسرائيل، آية: ٨٥.

(٣) مع ٣: حصولها.

(٤) سورة حجر، آية: ٢٩.

(٥) مع ٢: - روح الله... السلام.

(٦) سورة بقره، آية: ٨٧.

(٧) مع ١، مع ٢: متوقاها.

(٨) مع ٢: - إلى الله.

القدس وجذبها بجذبة ﴿أَرْجِي﴾ في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿أَرْجِي﴾
إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مُثَمِّنَةً﴾ ﴿٢٨﴾^(١)، فهو الذي يتوقاها ويرفعها^(٢) إليه، لقوله تعالى:
﴿اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾^(٥)، وقوله
تعالى في حق عيسى^(٦): ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ
كَفَرُوا﴾^(٧).

* * *

-
- (١) سورة فجر، آيتان: ٢٧ و ٢٨.
(٢) مع ١: رفعها / مع ٢: + الله.
(٣) سورة زمر، آية: ٤٢.
(٤) سورة مجادلة، آية: ١.
(٥) مع ٢: - وقوله ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ / سورة زخرف، آية: ٣٢.
(٦) اصل، مع ١، مع ٣: + يا عيسى.
(٧) سورة آل عمران، آية: ٥٥.

الفصل التاسع

في الإبانة^(١) عن قيام النفس بذاتها واستقلالها
في الوجود وبقائها^(٢) بعد بوار البدن الدنيوي

يجب أن يعلم^(٣) أن كلّ ما يعدم بعد^(٤) وجوده فإنّما يعدم بسبب؛ وسبب
عدم الشيء إمّا عدم أحد أسبابه الأربعة: الفاعل والغاية والمادة والصورة، أو
بورود^(٥) أمر وجودي مضاد^(٦) له على ذاته أو على مادّته. والنفس فاعلها
وغايتها هو الله تعالى باستخدام بعض الملائكة الباقية بإبقاء الله إيّاه^(٧)؛ وليس
لها مادة، لتجرّدها؛ ولا لها^(٨) صورة^(٩)، لأنّها جوهر صوريّ، وصورتها ذاتها
لا صورة أخرى؛ وإذا لا مادة لها فلا ضدّ لها.

وكلّ أمر وجودي يتحقّق في النفس فلا يكون إلّا من قبيل^(١٠) العلوم
والتصورات النفسية^(١١) والتأملات الفكرية؛ فموت البدن لو كان مؤثّراً في بطلان
النفس، لكان ذلك عند تصوّر النفس إيّاه وخطوره^(١٢) بالبال. ثمّ إنّ^(١٣) كثيراً ما
نتصوّر^(١٤) النفس^(١٥) موت البدن ولم تتضرّر^(١٦) أصلاً، فكيف يكون سبباً
لهلاكها؟

(٩) مع ١: صورة لها (بجاء لها صورة).

(١٠) مع ١: قبل.

(١١) اصل، مع ١، مع ٣: النفسانية.

(١٢) مع ١: حضوره.

(١٣) مع ١: - إنّ.

(١٤) اصل، مع ١، مع ٣: يتصوّر.

(١٥) اصل، مع ١، مع ٣: أنفسنا.

(١٦) اصل، مع ١، مع ٣: يتضرّر.

(١) مع ٢: الإبانة.

(٢) مع ١: إبقائها.

(٣) مع ٣: - يجب أن يعلم.

(٤) مع ٣: - بعد.

(٥) مع ١: بوجود.

(٦) اصل: متضاد.

(٧) مع ١، مع ٣: - إيّاه.

(٨) مع ٢: له.

فقد ثبت أنّ موت البدن في الخارج، ليس سبباً مؤثراً في فناء النفس كما قيل^(١) ذلك. فالنفس العلامة آمنة من الفساد عند حادثة موت الأجساد^(٢)، ولا يتغير^(٣) أصل الذات عند فقد الآلات. نعم، جهل النفس هو موتها؛ وحياتها علمها. لأنّ العقل ليس شيئاً غير تصوّر والنمّثل؛ وأيّ نفس عدمت العقل، فقدت ذاتها^(٤)؛ ومن فقد ذاته^(٥)، فهو ميت. فهذا يحتاج إلى شرح يطلب^(٦) من كتبنا^(٧) الحكيمية.

فإن قيل^(٨)؛ كما افتقرت النفس^(٩) إلى البدن في حدوثها^(١٠)، فكذلك تفتقر^(١١) إليه في بقائها، من حيث إنّ شرط للحدوث لا علة.

يقال^(١٢): شرط الحدوث لا يجب^(١٣) أن يكون شرط البقاء؛ فكأنّ البدن باستعداده شبكة اقتناص^(١٤) النفس من العلة، فبعد الوقوع في الوجود بواسطة الشبكة لا يحتاج إلى بقاء الشبكة.

وشرح هذا: إنّ البدن استعدّ لصورة هي كمال له؛ والنفس من حيث كونها صورة للبدن لها وجود رابطي، ومن حيث كونها جوهر^(١٥) عقلياً^(١٦) لها وجود في نفسه لنفسه. وعند بطلان البدن باستعداده انقطع علاقة النفس وارتباطها به^(١٧)، لا وجودها العقلي؛ لأنّ أحد الوجودين هو الذي يستدعيه البدن ويستعدّ

(١) مج ١: قبل. (٢) مج ١: الموت للأجساد.

(٣) مج ١: + نفس. (٤) مج ١: ذاته.

(٥) مج ٣: ذاتها. (٦) مج ١: تطلب.

(٧) مج ٣: كتب. (٨) مج ٣: قلت.

(٩) أصل، مج ١: - النفس.

(١٠) مج ٣: في حدوثها إلى البدن (هجاى إلى البدن في حدوثها).

(١١) أصل، مج ١، مج ٣: تفتقر. (١٢) مج ١: لا يقال.

(١٣) مج ١: يجب. (١٤) مج ١: اقتباس.

(١٥) مج ٣: - جوهرأ. (١٦) مج ٣: عقلا.

(١٧) أصل: - ٩.

له دون الوجود الآخر^(١)، فإنه^(٢) فائض بإنشاء^(٣) الله تعالى النشأة الآخرة^(٤).
فأفهم واغتنم.

* * *

(١) اصل، مع ١، مع ٣: الأخرى.
(٢) مع ٣: + مجرد قائم بذاته.
(٣) مع ١: بإذن.
(٤) مع ٣: - فائض... الآخرة.

الفصل العاشر

في تعلق هذه الأبواب^(١) الثلاثة بعضها ببعض

المقصود ممّا فُصِّل^(٢) في الباب الثاني والثالث سهولة السبيل على الطالب السالك^(٣)، وإلاّ فحاصل ما ذكر فيهما هو معرفة المبدأ والغاية. ويمكن أن يستنبط أيضاً من الباب الثاني المعقود^(٤) لمعرفة النفس الإنسانيّة أنّ غاية وجودها هي دار القدس^(٥) وعالم الآخرة، وغاية قصدها الذي يتوجّه إليها بالذات بحسب الفطرة هي المعرفة والوصول إلى لقاء الله.

ومن اتّضح له علم التوحيد وتفطّن^(٦) بالمعالم الربويّة التي يبحث فيها عن المبادئ الأول^(٧) والغايات القصوى، علم يقيناً أنّ مبدأ كلّ شيء هو بعينه الغاية له^(٨)؛ فالنفس العلامّة من الله مبدؤها، وإلى الله منتهاها^(٩). ﴿وَدَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَنَحْمُدُكَ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخِرُ دَعْوَانَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١٠).

قد وقع الفراغ من كتابة هذه الرسالة الشريفة المسماة بـ«إكسير العارفين في معرفة الحقّ واليقين»^(١١). والصلاة والسّلام على محمد وآله الطاهرين^(١٢).

-
- | | |
|--------------------------|----------------------------|
| (١) مع ١: الأسباب. | (٢) مع ٣: + في فصل. |
| (٣) مع ١: السالك الطالب. | (٤) اصل، مع ١: المقصود. |
| (٥) مع ١: الخلد. | (٦) اصل، مع ١: يفتن. |
| (٧) مع ٢: الأولى. | (٨) اصل، مع ١، مع ٣: - له. |
| (٩) مع ١: انتهاها. | (١٠) سورة يونس، آية: ١٠. |

- (١١) اصل: قد وقع... الحق واليقين.
(١٢) مع ١، مع ٣: قد وقع... وآله الطاهرين.

رکب ارقام^(۱) هذه السطور^(۲) - بيده الجانية الفانية في هذه الايام^(۳) من عام
 ألف واحدی وثلاثين - مؤلفها و مترجمها المسكين المستكين محمد المعروف
 بـ صدر الدين الشيرازي، حامداً لله مستغفراً لذنبه، ومصلياً ومسلماً على نبيه
 وآله. غفر الله له ولوالديه ولسائر المؤمنين حيثما كانوا في البلاد، نجاهم الله
 عن موكلات يوم المعاد؛ والله وليّ الرشاد^(۴).

* * *

(۲) مج ۳: المسطور.

(۱) مج ۱، مج ۳: - ارقام.

(۳) مج ۱: + والشهور.

(۴) در نسخه های مختلف. از این به بعد، عبارات گوناگون بوسیله ناسخان بعنوان ختم کتاب آمده است.

الواردات القلبية في معرفة الربوبية

تحقيق وتقديم

الدكتور أحمد شفيعي

الواردات القلبية في معرفة الربوبية

إن مفكر عالم الإسلام الكبير والنجم الساطع في العصر الصفوي أي الملا صدر الشيرازي معروف جداً في إيران، كما أنه اشتهر في خارج إيران بعد انتشار الكتاب المعروف للكونت غوبينو المسمى «الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى» - في باريس عام ١٨٦٦، حيث اهتمت المحافل الأكاديمية والعلمية، التي كانت قد اطلعت على أعمال ابن رشد والفارابي والغزالي وابن سينا وبحث فلسفتهم بما يكفي، بهذا الوارث الجليل لثقافة الشرق الساطعة.

وصحيفة الفلسفة وعلوم ما وراء الطبيعة التي طُويت في الغرب بابن سينا، فُتحت من جديد وباهتمام وجهود محققين كبار مثل الفرنسي هنري كوربان والإيرانيين، السيد حسين نصر، والسيد جلال الدين الآشتياني وكذلك الباكستاني فضل الرحمن - الذي يجيد العربية بطلاقة ونشر كتابه «فلسفة الملا صدر» في نيويورك - حيث أصبحت معلومات جامعة وكافية حول حياة صدر المتألهين وأسس فلسفته في متناول يد الغربيين؛ وبينوا أنه خلافاً لتصور بعض محافل الغرب العلمية غير المطلعة، فإن الفلسفة في الشرق لم تنتهِ بل إنها انتعشت في إيران وتحت غطاء جهود المذهب الشيعي؛ خاصة في السنوات الأخيرة حيث نظمت احتفالات بمناسبة الذكرى الأربعمئة لولادة الملا صدر تمثلت بإقامة ندوات ومؤتمرات للتعريف بهذا المفكر وتقديم آرائه وتنزيه جهوده القيمة.

ومثلما يعد ابن سينا وريث العلوم والفلسفة الموجودة قبل عصره أي الفلسفة الإفريقية والهندية والإيرانية القديمة؛ فإن الملا صدر أيضاً كان عالماً بعالم الفلسفة قبل عصره، أي جميع العلوم البشرية منذ أن بدأ الإنسان المتفكر بشرح أفكاره وآرائه وتبيينها عن طريق الكتابة والخطابة، سواء كانت علوم منطقة

الأبيض المتوسط أو علوم الهند وبلاد ما بين النهرين والصين وماوراء الصين، وكسب جميع هذه العلوم عن طريق اللغة العربية والفارسية مقدماً مدرسة فلسفية جديدة تُعد مزيجاً من مدارس العرفان والمشاء والعرفان الإيراني والهندي والأديان.

هنا نكف عن تكرار ما كتبه المحققون منذ عصر الكونت غوبينو، ونُحِيل المهتمين بالفلسفة إلى المصادر الموجودة في متناول يد الغرب والشرق. ونعتقد أننا بتقديمنا المتواضع لهذا العمل قد قمنا بخطوة لتعريف المَلّا صدرا وتقديمه للمهتمين بالثقافة الشرقية وفلسفتها والباحثين الإيرانيين والمحققين الآخرين الذين سيقراءون هذا العمل بعد ترجمته.

التعريف على المَلّا صدرا

وُلِدَ محمد بن إبراهيم بن يحيى قوامي الشيرازي المعروف باسم «صدر الدين» و«المَلّا صدرا» و«صدر المتألهين»^(١) و«الآخوند»^(٢) و«العلامة الثاني»^(٣) حوالي عام ٩٧٩ هـ/ق/ ١٥٧١ م أو ٩٨٠ هـ/ق/ ١٥٧٢ م في مدينة شيراز^(٤) الجميلة مسقط رأس السعدي والحافظ؛ وبناءً على كتاب فارسنامه^(٥) فإن والده إبراهيم حاكم فارس ومن عائلة الحاج قوام الدين حسن الشيرازي^(٦) المتمولة والمتنفذة، وهو

(١) انظر موسوعة دهنخدا ص ١٧، جزء ص، قصص العلماء، ص ٢٥٧.

(٢) الروضات، ص ٣٣١ - ٣٣٢؛ غوبينو، الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى ص ٩١ - ٨١. وراجع دائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ٢٤٩.

(٣) انظر كتاب تاريخ الأدب العربي، سوبلمان ٢، ص ٥٨٨.

(٤) انظر كتاب مقدمة الأصول الثلاثة، ص ٩ حيث نُسب فيها اكتشاف تاريخ ولادة المَلّا صدرا إلى العلامة السيد حسين طباطبائي وذلك أثناء تصحيحه كتاب الأسفار. وقد استند الأستاذ هنري كوربان إلى هذا السند. انظر كتاب المشاعر لكوربان، ص ٢، المقدمة باللغة الفرنسية. وفي رسالة «المبدأ والمعاد» التي نشرت مؤخراً باهتمام وتصحيح الأستاذ الجليل السيد جلال الدين الأشتياني أعلن فيها اكتشاف تاريخ ولادة المَلّا صدرا أثناء قراءة إحدى مخطوطات «المبدأ والمعاد». انظر هامش رقم واحد، ص ٧، مقدمة «المبدأ والمعاد».

(٥) فارسنامه، ج ٢، ص ١٣٧.

(٦) المتوفى سنة ٧٥٣ هـ/ق/ ١٣٥٢ م (براون ج ٣، ص ٢٧٦).

ممدوح وراعي حافظ الشيرازي^(١). والملا صدرا هو الابن الوحيد لوالديه، وقد ذكرت بعض الروايات عن نذور وأدعية والديه من أجل إنجابه^(٢).

بعد وفاة والديه ارتحل عن شیراز قاصداً أصفهان المركز العلمي في ذلك الوقت بغرض إتمام دراسته؛ وحول أساتذته في شیراز لم نجد أي اسم، ولكن من المسلم به أنه درس مقدمات العلوم في شیراز وكان لديه أساتذة غير والده. وفي أصفهان درس العلوم العقلية عند المير داماد، والعلوم النقلية لدى الشيخ البهائي ونال من كلا العالمين «درجة الاجتهاد»^(٣) ومن دون شك لو كان المير أبو القاسم الفندرسكي أستاذاً^(٤) ومدرساً أثناء إقامة الملا صدرا في مدينة أصفهان فإن الملا صدرا قد تتلمذ عنده، ويمكن القول إنه، أي صدر المتألهين، نتاج مدرستي شیراز وأصفهان الإسلاميتين.

ويعد ذلك لأسباب لم تُذكر، ولكن يمكن الاستنباط من فحوى مراسلاته ومصنفاته، مثل انزعاجه من مضايقات وعداء متحلي العلوم والمتظاهرين بالفقه، والعمال الحكوميين - كما هو مألوف منذ القدم وحتى الآن - وكذلك لرغبته في تكميل المراحل العرفانية، ترك محافل المدينة الصاخبة مهاجراً إلى قرية كهك الواقعة بين مدينتي قم وأصفهان واعتزل الدنيا فيها، حيث تفرغ للزهد والعبادة والمجاهدات النفسانية وارتقى مراحل العرفان. وقد يكون كتب رسالة «الواردات القلبية» هذه في هذه القرية إذ طالما لم يجتز أحد مراحل التكامل الأولية فلا يمكنه شرح آرائه كما أنه سار إلى الحج ماشياً سبع مرات، من البديهي أنه خلال رحلاته هذه التقى بعلماء وأساتذة معروفين مقيمين في المدن التي تقع في مساره، سواء كانت البصرة أو بغداد، وجرت مبادلة الآراء بينهم وناقشهم في بعض المواضيع.

(١) المتوفى سنة ٧٦٨ هـ / ش / ١٣٦٦ م. (٢) انظر كتاب: يادنامه، ص ١.

(٣) انظر كتاب: يادنامه، ص ١.

(٤) هوارت Huar في دائرة المعارف الإسلامية، ج ٤، ص ٥٤. ذكر أن الملا صدرا توجه إلى أصفهان حسب توجيهات المير فندرسكي.

وبناء على روايات مختلفة أقام بين سبع إلى خمس عشرة سنة في قرية كهك
منعزلاً عن العالم...

وقد شيد الله وردي خان والي فارس آنذاك مدرسة في شيراز باسم «خان»
ودعا الأخوند إلى العودة إلى مسقط رأسه شيراز ليقوم بتدريس مواطنيه. وحسب
أوامر السلطان الشاه عباس الثاني، لبي الملاً صدرا دعوة الله وردي خان فعاد
إلى شيراز وبدأ بتدريس مدرسة أبي علي سينا الفلسفي^(١).

وبسبب إقامته هذه وتدريسه ومؤلفاته اشتهرت مدرسة خان في شيراز وجاء
الكثير من طلاب العلم من أطراف وأكناف العالم ليتعلموا من محضر الأخوند
في مدينته.

وفي رحلته الأخيرة إلى الحج وعند عودته ارتحلت روحه للقاء خالقها عام
١٠٥٠ هـ / ق / ١٦٤٠ م في البصرة ودفن جثمانه هناك^(٢).

وأما عن تلاميذ الملاً صدرا فإننا نجد الكثير من النصوص حولهم، إذ ذكر
هوارت^(٣) اسم القاضي سعيد كأحد تلاميذ الملاً صدرا إلا أننا لم نجد ما يثبت
هذا الادعاء. كما أنهم ذكروا الملاً محسن الفيض، وعبد الرزاق اللاهيجي
والشيخ حسين التنكابني من ضمن تلاميذ الملاً صدرا المشاهير، وكتبت
معلومات وافية عن حياتهم في مقدمة رسالة الأصول الثلاثة - لمؤلفها الدكتور
السيد حسين نصر - ويحسن أن يراجع القراء الكرام هذا العمل^(٤). وقد كتب
السيد جلال الدين الآشتياني في الصفحة السادسة عشرة من مقدمة كتابه
«منتخبات من أعمال الحكماء الإلهيين في إيران» الجزء الأول، ما يلي:

(١) روضة الصفا، ج ٨، ص ٥٨٤ ودائرة المعارف [الموسوعة] الإسلامية، ج ٤، ص ٥٤.

(٢) مقدمة الأصول الثلاثة، ص ١٢.

(٣) Cl Huart دائرة المعارف الإسلامية، ج ٤، ص ٥٤.

(٤) ذكر الآشتياني في الصفحة السادسة والتسعين من كتاب الشواهد أن تاريخ ولادة القاضي
سعيد هو عام ١٠٤٩، وتاريخ ولادة الشيخ حسين التنكابني عام ١١٠٤ هـ.ق. كما أن
المرحوم السيد أبو الحسن ريفي ذكر في كتابه ٧ أشخاص كتلاميذ للأخوند.

إنَّ محمد بن علي رضا بن آقاجاني أحد تلاميذ المَلّا صدرا وهو شارح كتاب القبسات، ويظهر من شروحه أنَّه أحد أكثر فلاسفة عصره علماً، إلّا أننا لا نجد أي معلومات عنه في حين أنَّه يعد من فحول العلماء وأحد المتبحرين في الفلسفة والعلوم؛ وقد رأيت جزءاً قليلاً من شرحه المذكور آنفاً وسوف أقوم بتعريفه لاحقاً. كما أن الشيخ محمود البروجردي مصحح كتاب القبسات المطبوع في طهران عام ١٣١٣ هـ.ق ذكر في نهاية ترجمته للمير داماد مؤلف الكتاب: عند سفري إلى مدينة مشهد المقدسة رأيت في بيت أحد الأصدقاء في مدينة جرجان شرحاً على كتاب القبسات كُتب من قِبَل أحد تلاميذ المَلّا صدرا. وهذا الشرح هو النسخة ذاتها الموجودة في مكتبة المعهد الإيراني الفرنسي؛ وقد اخترنا في الجزء الثاني من كتابنا أجزاء من هذا الشرح. وأنوي (الآشتياني) أن أنشر هذا الشرح وهو أحد الأعمال النفيسة الحكيمة ككتاب مستقل^(١). (انتهى)

ولكن معرفتي بالمَلّا صدرا تعود إلى عام ١٩٣٧م إذ كنت حينها كنت في مدينة قزوین أذهب إلى إعدادية پهلوي وكنت مضطراً إلى المرور يومياً من أمام جامع الشاه الملكي وفي ظهيرة كل يوم كنتُ أرى جموعاً غفيرة تستمعُ في زاوية من الجامع إلى خطاب شيق وجذاب لرجل وقور وبهي الطلعة. وذاك الرجل ذاك كان المرحوم الحاج السيد أبو الحسن رفيعي القزويني ومحفله ذلك كان حلقة دراسية لشرح الأسفار للمَلّا صدرا. رونق محفله وجاذبية خطابه جعلاني أنا تلميذ الكتاب مفتوناً بحيث كنتُ أنسى في بعض الأحيان العودة إلى المنزل وتناول الغذاء، لأنني كنت أفضل طعام الروح على طعام الجسم.

وبعد مرور وقتٍ يسير سنحت لي فرصة للتلمذ لدى العالم المرحوم الحاج سيد محمد مهدي التقوي واعظ قزوین الشهير ودرستُ عنده «المقدمات» لعدة سنوات، وبعد دراسة الاشتقاق والصرف والنحو والسيوطي والجامي استطعتُ أن أحضر جلسات درس الأستاذ رفيعي شيئاً فشيئاً. وكذلك المرحوم الحاج سيد أحمد صفائي - أعلى الله مقامه - الذي أصبح أستاذ جامعة طهران لاحقاً، كما

(١) الآشتياني، منتخبات من أعمال الحكماء الإلهيين في إيران، المقدمة، ص ١٦.

أنه كان ممثل مدينة قزوین في مجلس الشوری الوطنی لفترة، وكان یزور منزل المرحوم تقوی بمعية الحاج آقا ضیاء الحاج سید جوادى، الذى ارتحل إلى جوار ربّه هو أيضاً - فتُجرى أحاديث شيقة ونقاشات مفيدة حول العلوم القديمة والجديدة وهناك تعلّمُ الكثير من مسائل العلوم العقلية والنقلية عن طریق المرحوم صفائی.

ومع نشوب الحرب العالمية الثانية التي اضطرت عائلتي بسببها إلى المهجرة إلى العاصمة طهران، وفقدت على أثر ذلك امتیاز الحضور في محضر الأستاذ رفیعی، درستُ لسنوات طويلة الكيمياء والعلوم الطبيعية واللغتين الفرنسية والانجليزية في جامعة طهران وكذلك درستُ الطب في جامعة شیراز، وبعدها لعدة سنوات أيضاً درستُ الطب في جامعتي بون وكولونيا في ألمانيا.

وفي عام ١٩٥٤م وتحت إشراف الأستاذ القدير والعزیز «وارنر كاسگل» مدير معهد الدراسات الشرقية في جامعة كولونيا تركتُ الطب واتجهت إلى الفلسفة وهناك تفرغت لدراسة أعمال الملاً صدرا. وبحصولي على مخطوطة «الواردات القلبية في معرفة الربوبية» الموجودة في متحف بريطانيا بلندن بدأتُ العمل بدراسة العرفان الإسلامی. في تلك الفترة لم تكن كل هذه البحوث والدراسات حول الملاً صدرا موجودة، لا في إيران ولا في الغرب. وقد اقترح عليّ أستاذي العزيز السيد عبد الله انتظام ترجمة هذه الرسالة إلى اللغة الفارسية؛ ومنذ عام ١٩٧٣م وتحت إشراف ومساعدة المستشرق القدير الأستاذ «رودلف زلهایم» - الإنسان الكامل الذي أدين له بالكثير حتى آخر عمري لمحبه ولطفه الوفيرين - بدأت بتصحيح وترجمة الرسالة المذكورة، وهنا أقدم هذا العمل المتواضع لعشاق العرفان والمحققين الكرام، وأتمنى أن ينال رضا المهتمين بهذا المجال.

تعريف المخطوطات

(١) مخطوطة «دا ١١»: وهذه المخطوطة مُهداة من مكتبة الأستاذ السيد محمد مشكوة إلى المكتبة المركزية لجامعة طهران، واتخذتها كمخطوطة رئيسية لهذه الرسالة. وقد وضع الأستاذ «محمد تقی دانش بجوه» صورة لهذه المخطوطة في

متناول يدي وهنا أكرر شكري له مجدداً. وهو أول شخص وصف هذه المخطوطة وذكرها ضمن فهرست مكتبة مشكوة المهداة إلى جامعة طهران، المجلد الثالث، القسم الأول، صفحة ٣٩٧ - ٣٩٨، طهران ١٩٥٣ م. وحول مؤلف هذه المخطوطة، أي نور الدين محمد الكاشي ونسبته إلى مؤلف الرسالة، كتب الأستاذ دانش بجوه في هامش صفحة ٥٠٠ من كتاب الفهرست المذكور آنفاً، توضيحات وافية في كتاب باسم «منتخب التصانيف». وهذه المخطوطة هي الرقم السادس من دفتر ضمن المجموعة المرقمة ٢٥٢ وتحتوي على ٩ ورقات من ٣٧٤ ب حتى ٣٥٦^(١).

وقد كتبت هذه المخطوطة بخط النسخ بشكل جميل في ٢٨ صفحة ذات ٢٧ سطراً إلا الصفحة الأولى التي تحتوي على ٢٦ سطراً؛ وفي حاشية الصفحة الأخيرة كتبت هذه الفقرة:

بسم الله انتهت مقابلة هذه الكتب الأربعة المتناسبة المتتالية في الحكمة العرشية المتعالية من أصولها الأصلية التي خطها مؤلفها بيده البالية ومسوداتها الجليلة التي كتبها مصنفها بنفسه الجانية في شهر جمادى الآخرة سنة ألف ومائة وخمسة عشر من هجرة سيد البشر. وكتب هذه الأحرف مؤلف الثلاثة الأولى حشره الله مع أئمة الهدى بحق مقرّبي حضرته الأعلى. هي وقف مهر واقف.

لذلك فقد كتبت هذه المخطوطة بعد أربعة وستين عاماً من وفاة الملاً صدرا وهي منقولة عن مخطوطات المؤلف الأصلية، وبدل نوع الخط المستخدم في هذه المخطوطة على قدمها وهو يختلف جذرياً عن نوع الخط المستخدم في المخطوطات التي كتبت بعد ذلك. وهذه المخطوطة تحتوي على أربعين فيض وهي مكتوبة من قبل نور الدين محمد الكاشي تلميذ الملاً محسن الفيض^(٢)،

(١) انظر كتاب فهرست مكتبة مشكوة، المجلد الثالث، القسم الأول، ص ٥٠١ - ٥٠٢، رقم المخطوطة ٦٨٥.

(٢) انظر كتاب فهرست مكتبة مشكوة، المجلد ٣، القسم ١، ص ٥٠٠.

صهر وتلميذ الملا صدرا. وعلائم القوافي الشعرية في هذه المخطوطة ليست واضحة.

(٢) مخطوطة «دا ٢»: وهذه المخطوطة أيضاً من ضمن مكتبة مشكوة المُهداة التي وضع الأستاذ دانش بجوه صورة مستنسخة عنها في متناول يدي^(١). وقد ذكر الأستاذ دانش بجوه المعلومات الكاملة عن هذه المخطوطة في فهرست مشكوة (ص ٣٩٨، المجلد ١/٣، صفحة ٤١، المجلد ١). وتحتوي هذه الرسالة على ٤٣ ورقة ذات ١٦ سطراً إلا الصفحة الأولى وهي ذات ١٥ سطراً والصفحة الأخيرة التي كتبت في ٨ أسطر قصيرة وهي خاتمة الكتاب حيث كتب فيها ما يلي:

على يد أقل خلق الله إسماعيل بن حاجي إبراهيم، غفر الله لهما في شهر صفر المظفر من شهور سنة ألف ومائتين من الهجرة النبوية المصطفوية ونقلت هذه الدرة اليتيمة من نسخة قوبلت من نسخة كتبها المصنّف رحمه الله تعالى.

اين كتابت روز جمعه شد تمام شد به توفيق خدای لا ینام هر که خواند دعا طمع دارم زانکه من بنده گنه کارم^(٢)
ويشبه الخط «التعليق» في هذه المخطوطة بعناوينها الحمراء القانية وحاشية «منه مدّ ظلّه» وتبويبه للفيضيات مع مخطوطة «دا ١» تماماً. وعلائم القوافي ليست منظمة ومحددة، وإنما تم تحديد بعضها بالنقطة ويبدو أن الناسخ لم يكن دقيقاً جداً في عمله ونرى في هذه المخطوطة كثيراً من الشطب والتصحيح في حواشيتها.

(١) المخطوطة المرقمة ٥١٣ (ص ٣٩٨، المجلد ١/٣) والمخطوطة المرقمة ٣٢ (ص ٤١/ المجلد ١) تحتويان علي رقم التسجيل وهو ٨٨٤، أي أنهما بتعلقان بمجموعة واحدة؛ ولكن بشهادة (ص ٤١، المجلد ١) تحتوي علي أربع رسالات وبشهادة (ص ٣٩٨، المجلد ١/٣) تحتوي علي خمس رسالات. وباعتقادي المتواضع هناك اختلاف بسيط بين الشرحين هذين.

(٢) انتهت هذه الكتابة يوم الجمعة/ وتمت بتوفيق الرب الذي لا ینام ونقل من یقرأ، اطمع فی دعاه/ فلانني من العباد المذنبین

٣) مخطوطة «مج ١»: التابعة لمكتبة مجلس الشورى الوطني الإيراني وهي مسجلة برقم ٦٥٠٤١ ورقم الرف ٤٩٦٩. كتبت هذه المخطوطة بخط النسخ بشكلٍ بديع، وهي بالحجم الصغير ومن دون حواشي في الطرفين، وورق إفرنجى مذهب ونفيس وغلاف جلدي ممتاز بلون أحمر؛ وتحتوي المخطوطة على ٤٣ ورقة وتقع في ٨٥ صفحة. وقد سقط جزء من فيض ٣٥، ولم يذكر فيها اسم المؤلف وسنة التحرير وعلائم القوافي غير محددة بشكل منظم، بل حددت في بعض الأحيان بثلاث نقط وفي أحيان أخرى بنقطة واحدة وتارةً بدون علامة. والمجلد بقياس (١٠ × ١٦) سنتيم، ومذهب بنقوش الأزهار والأوراق؛ وعناوينها وعلائمها بلون أحمر قاني، وفي جميع أوراقها نرى حلقات وجداول مرسومة باللون اللازورد والأحمر... وفي ورقتين في بداية الكتاب هناك أثر ختم بيضوي «نصر الله التقوي»، وفي ورقة بعد نهاية الكتاب ثمة حلقة وجدول مرسومين إلا أنّ الصفحة بقيت بيضاء. الورقتان الأولى والورقتان في نهاية الكتاب بلون أبيض. وكل صفحة تحتوي على ١٥ سطراً باستثناء الصفحة الأولى وهي ذات عشرة أسطر. وتبويب الفيض هنا مثل المخطوطة الرئيسية^(١)؛ ويبدو أن هذه المخطوطة كُتبت نقلاً عن مخطوطة «دا ٢»، إلا أن مؤلفها شخص قليل الانتباه وجاهل إذ إنه قام بتغيير بعض الكلمات سهواً أو متعمداً وارتكب الكثير من الأخطاء الجسيمة.

٤) مخطوطة «مج ٢»: التابعة لمكتبة المجلس الشورى الوطني ومسجلة ضمن المجموعة المرقمة ٥٩٢ للمجلس وهي تحتوي على ٢٢ صفحة (١٠ × ٢١/٥) سنتيم، وكتبت بخط النستعليق وهي ذات ٢٤ سطراً رقعياً. وفي نهاية المخطوطة كتبت هذه العبارة «وقد تَمَّت كتابته في شهر جمادى الآخرة من شهور سنة ١٢٤٥».

والمؤلف غير معلوم، ومن الصفحة الرابعة عشرة وما بعدها كتبت مواضيع

(١) انظر كتاب فهرست مكتبة المجلس، المجلد ١٤، ص ٢٦٠ - ٢٦١، سنة ١٣٤٧ هجري شمسي (١٩٦٨ م).

متنوعة باللغتين العربية والفارسية في طرفي المخطوطة، وهي على الأغلب تفسير وتوضيح حول نفس الرسالة. وتبويب الفيضيات في هذه المخطوطة تتشابه مع المخطوطة الرئيسية ولكنها تبدو مخطوطة غير دقيقة. وقد حُدِّدت علائم القوافي في هذه المخطوطة بثلاث نقاط وكتبت القصائد العربية والآيات القرآنية بخط نسخ كبير. نقاط الحروف ناقصة وغير واضحة المعالم؛ وكتبت في الحاشية تفاسير بالفارسية والعربية وكذلك بعض الأحاديث. وفي الصفحة الأولى من هذه المخطوطة تنتهي رسالة «في سريان الوجود» للملا صدرا على النحو التالي:

...فهو أظهر في أن يخفي فاعرف.

إلى هنا كلامه أعلى الله مقامه، والحمد لله والصلاة على خاتم الرسالة. تَمَّت بعون الله وفضله يوم الجمعة من شهر جمادى الآخرة من ١٢٤٥.

لذلك من المؤكد أنه في مجموعة ٥٩٢ تم ضم إكسير العارفين أيضاً.

٥) مخطوطة «م ١»: وهذه المخطوطة تابعة لمكتبة طهران الوطنية وتُعرف برمز ٨٢٧/ع، ولكن مع الأسف اسم المؤلف وسنة تحريرها غير معلومين. كتبت المخطوطة بخط تعليق جميل وتحتوي على ٦١ صفحة وتنتهي الصفحة الأخيرة بهذه الجملة: «... في لذات البدنية فإن وجدت من استقامت على». لم تكتب صفحة ٦٢ لذلك فإن نهاية الرسالة غير معلومة. وتحتوي الصفحة على ٨ أسطر وكتبت بجوار «بسم الله الرحمن الرحيم» هذه الجملة «من فيوضات الحكيم الإلهي والعارف الرباني مولانا صدر الدين محمد الشيرازي الموسوم بالواردات القلبية»، وتحتوي باقي الصفحات على ١٢ سطراً وكل صفحة هي بقياس (١٦×٧ سنتيمتراً). وحُدِّدت القوافي بعلامة نقطة واحدة فقط^(١).

٦) مخطوطة «م ٢»: هذه المخطوطة أيضاً تابعة لمكتبة طهران الوطنية وذكرت في الصفحة ٢١٩ من كتاب فهرست مخطوطات تلك المكتبة الذي كتبه العالم

(١) ويعود الفضل في إعداد هذه المخطوطة إلى لطف ومحبة الصديق العزيز والأستاذ العالم الدكتور علي أفقه.

العارف السيد عبدالله أنوار والمنشور عام ١٩٦٥م؛ وهي ضمن مجموعة وموجودة من ص ٥١ حتى ٦٩. كتبت هذه المخطوطة بخط «نستعليق شكسته» ممتاز، وكتبت في أعلى صفحاتها وفي الحاشية^(١) قصائد باللغة الفارسية تعود لشعراء مختلفين مثل الملاً مظفر، بابا أفضل الكاشاني، الملاً خواجه علي ظهوري، الخيام، والشيخ أبي سعيد أبي الخير وغيرهم... وفي منتصف صفحة ٥١ من هذه المجموعة تنتهي رسالة إكسیر العارفين للملاً صدرا التي كتبت في شوال عام ١١٤٩، ومن ثم تبدأ رسالة الواردات القلبية. وتعود أهمية هذه المخطوطة إلى علائم القوافي التي تم تحديدها بثلاث نقاط (:؛)؛ وتنتهي رسالة الواردات القلبية في منتصف صفحة ٦٩ بهذه الجملة: «وقد تمت كتيبه في شوال من سنة ١١٤٩»، ثم تبدأ رسالة «في سريان الوجود» للملاً صدرا. وتبويب فيضيات هذه المخطوطة مثل المخطوطة الرئيسية وباستثناء الصفحتين الأولى والأخيرة تحتوي كل الصفحات ذات ١٧ × ٢٩ سنتيمتراً على ٢٨ سطراً. والعيب الوحيد في هذه المخطوطة هو أنه لم يتم وضع النقاط في خطها. وقد ذكر السيد أنوار في الفهرست أن هذه المجموعة كتبت في مدينة قزوین. غلاف المخطوطة جلد أحمر سميك وبحجم ١٦٠ × ٢٦٥ ملم، والعناوين كتبت بالحبر الأحمر، والورق أصفهانى أصفر وأبيض قياسه ١١٠ × ٢٦٥ ملم وحددت القوافي بثلاث نقاط، وخطاطها هو خليل محمد زمان القزويني.

(٧) مخطوطة «ل» لقد استنسخت هذه المخطوطة عام ١٩٥٣م في متحف لندن، وهي من ضمن مجموعة مرقمة بـ ١٦٨٣٢ وكتبت بخط النسخ ولا شوائب فيها^(٢)، وتحتوي على ٥٦ صفحة بقياس ١٠ × ٢٠ سنتيمتراً، وهي ذات ١٩ سطراً بطول ٩ سنتيمترات. وجاء في نهاية الصفحة الأخيرة: تمت مقارنتها مع المخطوطة المنقول عنها في شهر محرم سنة ١١٦٩هـ. ق، وكتبت نقلاً عن مخطوطة بخط ابن المصنف... أبو طالب الحسيني علي النقي عفى عنهما. كتبت

(١) وقد وضع صديقي العزيز عبدالله أنوار هذه المخطوطة في متناول يدي.

(٢) انظر كتاب: فهرست مخطوطات متحف بريطانيا، ج ٢، ص ٨٢٩.

القصائد الفارسية الموجودة في النص بخط شكسته نستعليق، وفي الصفحة الأولى كتبت أعلى من بسم الله بخط شكسته هذه العبارة: مخطوطة الواردات القلبية من مصنفات الملا صدرا الشيرازي؛ ونجد في الحاشية مخطوطة أخرى من المحتمل جداً أن تكون ديوان شعر فلسفي، كتب في صفحة «١٠٦ب» منها «النور الثاني في معرفة الروح السّمويات...» وتستمر هذه القصائد حتى صفحة ١١٦ ب النور الثاني عشر وأخيراً حتى صفحة ١٢١ أ... في شهر شعبان سنة ١١٧٠ هـ. ق... على يد العبد العاصي بن أبي طالب الحسين علي النقي في محال «الله آباد» من محال هندوستان...

لذلك فإن المخطوطة هذه كتبت في الهند ومن هناك انتقلت إلى متحف لندن؛ ومن بعد صفحة ١٢١ كتبت أحاديث وروايات باللغة الفارسية في الحاشية، ومن ثم نجد أنه قام بنسخ قصائد باللغتين الفارسية والعربية لبعض علماء العجم والعرب. وميزة هذه المخطوطة هي أن مصنفها قام بترجمة الكثير من مفردات النص إلى اللغة الفارسية بالحاشية، ويعد هذا الأمر عوناً كبيراً للقراء الإيرانيين. يختلف تبويب الفيضيات في هذه المخطوطة عن المخطوطات الأخرى، إذ بعد الفيض الثاني وفي صفحة «١٠٧ أ» والسطر السابع ومن كلمتي «أظهر الأشياء» يبدأ فيضاً جديداً. وترتيب الفيضيات هنا غير اعتيادي وليس هناك أي علاقة بينها من ناحية المفهوم؛ كما أنه لم تتميز أي قافية في هذه المخطوطة بعلامة ما.

٨) مخطوطة «مج ٣»: التابعة لمكتبة مجلس الشورى الوطني المسجلة ضمن المجموعة ١٠٣ ودفتر رقم ٩٠١٩؛ وهي المخطوطة إياها التي أشار إليها العالم الجليل الدكتور سيد حسين نصر في الرسالة الفارسية المعنونة الأصول الثلاثة^(١)، والتي أوافقه الرأي في أن أخطاءها كثيرة. أشار الأستاذ دانش بجوه إلى هذه المخطوطة أيضاً في صفحتي ٢٠٣ و ٢٠٤ من المجلد الخامس لكتاب فهرست مخطوطات المجلس تحت مجموعة ١٨٠٣ صف ١٥ من صفحة ٢٥٥

(١) انظر إلى رسالة الأصول الثلاثة المنشورة باللغة الفارسية، دار «بنهاد حكمت إسلامي صدرا» للنشر، تصحيح واهتمام الدكتور سيد حسين نصر، ١٣٨١، ص ٣٧.

حتى ٢٥٧، وكذلك صفحة ٣٠٤ المجلد ٩/١ من مجموعة ١٨٠٠٣ أ^(١).
وتحتوي هذه المخطوطة على ٢٩ ورقة، ٥٦ صفحة منها ذات ١٨ سطراً (١٣x)،
وتحتوي الصفحة ٥٧ على ٧ أسطر وباقي الصفحة وكذلك صفحتي ٥٨
و٥٩ تحتوي على قصيدة باللغة الفارسية في مناقب الإمام علي عليه السلام. تاريخ
التحرير واسم المؤلف لم يذكر في المخطوطة وتم تحديد القوافي بعلامة هـ،
وتبويب الفيضيات وأسلوب تحرير الكلمات يشبهان مخطوطة «ل» تماماً.

٩) مخطوطة «مس»: وجدت هذه المخطوطة في جامعة طهران وأدين لصديقي
العزیز وابن مدينتي السيد محمد شيرواني - رئيس قسم مخطوطات المكتبة
المركزية لجامعة طهران - لإعطائي صورة مستنسخة عنها؛ وهذه المخطوطة ضمن
مجموعة المرقمة في المكتبة المركزية لجامعة طهران، وتحتوي على ٢٦ ورقة أو
٥٢ صفحة ١٢x ٥ سنتيمتر، في قطع جيبي ومكتوبة بخط «تعلیق» جميل، وبغير
الصفحة الأولى ذات ١٧ سطراً فإن الصفحات كلها ذات ١٨ سطراً، وفي أعلى
الصفحة الأولى كتبت هذه العبارة: «هو الله، الوارث القلبية» يا ناظم الملكوت
ومبدع الجبروت. وفي الصفحة الأخيرة التي تحتوي على أربعة أسطر من النص
الفلسفي نرى في السطر الخامس هذه العبارة: «واتقى قد فرغ كاتبه من تنميق هذه
الرسالة، وكذلك جاء في السطر السادس: تمت في ١١٨٨. وختم على
الصفحتين الأولى والأخيرة بختم واقف المخطوطة. وربما تكون هذه المخطوطة
من ضمن الكتب المهداة من قبل المرحوم جمال إمامي إلى جامعة طهران.
القوافي واضحة تماماً وتم تحديد القوافي بثلاث نقاط إلا أن تبويب الفيضيات
غير منظم؛ ومن الواضح أن محررها نسخها بدون دقة وبعجالة، حيث حذف
بعض الفيضيات (مثل الفيض ٢٥) أو غير أماكن الفيضيات (مثل الفيض ٢٦ التي
كتبها قبل الفيض ١٩) أو أطلق العنان لقلمه وأضاف بعض الكلمات أو حذفها

(١) يقول الأستاذ دانش بجوه إن رسالة الواردات القلبية طبعت مع رسالة الأصول الثلاثة
باهتمام الدكتور سيد حسين نصر، في حين أن الدكتور نصر صحح رسالة الأصول الثلاثة
وطبعها فقط. كما أنه أضاف بأن بدايتها تبدأ بـ «من كلام صدر المحققين مولانا صدر
الدين...»، ويبدو أن دانش بجوه اشتبه في أمر المخطوطة.

(مثل الفيض ٢٤ حيث كتب عبارة «كما روي» قبل «فالعالم...»). وفي حاشية صفحة ٣٣ أو من الورقة ١٧ رسم درجات الحكمة بشكل جميل (مثل مخطوطة «دا ١» ومخطوطة «مج ١» تماماً). وفي هذه المخطوطة وكذلك مخطوطة «ل» كُتب فيضا ٢٥، ٢٦ قبل الفيض ١٩، وكذلك الفيض ٢٤ قبل الفيض ٢٣. ونظراً إلى تشابه هذه المخطوطة بمخطوطتي «ل» و«مج ٣» صرفنا النظر عن هذه المخطوطة عند ذكر تطبيق المخطوطات، واستندنا إلى مخطوطة «ل» فقط.

(١٠) النسخة المطبوعة: التي نشرت بطباعة حجرية ضمن الرسائل التسع للملأ صدرت عام ١٣٠٢ هجري قمري في طهران، ولكن بسبب كثرة الأخطاء الطباعية وغير الطباعية صرفنا النظر عن هذه المخطوطة ولم نستند إليها. وهنا نذكر بعض أخطاء هذه المخطوطة:

الصفحة الأولى (٢٣٨ مجموعة الرسائل) كتب في السطر الثالث منها كلمة «والسلام» بعد «والصلوة» وقبل «النبى» - والسطر السادس حذفت كلمة «في» بعد «ما ألقى» - وجاء في السطر السابع من صفحة ٢٤٢ كلمة «موقوفها» بدلاً عن «موقوفة» وهذا خطأ - وفي السطر التاسع كتب خطأ «ليلقب» - وفي السطر الثالث من صفحة ٢٤٤ كتب «الليل الوشاء» بدلاً عن «الليلاء الوحشاء»، وفي السطر الخامس عشر من صفحة ٢٤٩ كتبت عبارة «مبدأ العقل» بدلاً عن «مُبدع العقل»، وهكذا... ويبدو أن مخطوطة «م ٢» استند عليها بوصفها المخطوطة الرئيسية ولكن من دون بذل أي دقة وتصحيح وحتى اهتمام؛ ولذلك تجاهلنا هذه المخطوطة بسبب وجود هذه الأخطاء الجسيمة.

* * *

الواردات القلبية^(١)

في معرفة الربوبية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

بعد الحمد لمُبدع النفس والعقل، والصلاة على النبي والأهل، يقول الفقير إلى^(٢) ربّ العالمين، محمد المشتهر بـ«صدر الدين»، جعل الله عين عقله مُكحلةً بنور الهدى، وكشف عنها غيم غمّ الطبيعة والهوى:

أيّها الطالبُ للسعادة المؤبّدة، والشائق^(٣) إلى مصادفة الصور المجرّدة، إنّي هاتف بك ببعض ما أُلقي إليّ^(٤) في روعي من وارد، وقُسم لي شربي منه^(٥) في المَصادر قبل^(٦) المَوارد، ونوديْتُ من سرّي في سيرِي، ولم أقلّد فيه غيرِي. امتثالاً لما رسمت وانقياداً لما حكمت، فأوردته في كلمات عقلية غريبة، عن نفثات روعية عجيبة، مودعة في عدّة فصول، هي للحقائق دعائم وأصول، كتبناها لكلّ ذكيّ زكيّ^(٧)، وأرجو صونها عن كلّ غبيّ^(٨) غويّ، وسمّيتها بـ«الواردات»^(٩) القلبية في معرفة الربوبية.

(١) مج ٢: + له ١ / ل: نسخة واردات قلبية من مصنفات ملاصدرا شيرازي.

(٢) ل: + رحمة. (٣) آس ١: بسائق.

(٤) آس ١: - إلى. (٥) آس ١: - منه.

(٦) آس ١: - قُبِّل. (٧) آس ١: زكّي ذكيّ.

(٨) آس ١: فنيّ. (٩) ل، دا ١ (حاشيه)، دا ٢: بالتسبيحات.

والله^(١) الهادي إلى طريق^(٢) الرِّشَاد، وبه الاعتصام، وعليه التوكُّل والاعتماد.

فيض [١]

الوجود أوَّل الأوائِل التصوريَّة، وأعرَف الأشياء الفطريَّة، زائدٌ في التصور على الماهيَّة، لا على ما هو صرف الإثنيَّة، وهو الوجود الحق، والقيوم المطلق، الذي هو هو، بل لا هو إلَّا هو؛ لأنَّ ما لا يكون بذاته موجوداً، لا ينفك عنه هلاكه الذاتِي وإن صار بالارتباط إلى الحقِّ مشهوداً. وليُذعن^(٣) أنَّه ذاتٌ قائمٌ بذاته، والوجودات الإثباتية نِسْبُهُ وإضافاتُهُ وشؤونُهُ واعتباراتُهُ؛ كأنَّ الوجود القيوميَّ ماهيَّةٌ في نفسها، وما سواه من الوجودات والموجودات لوازمُهُ المنتزعة عنها. فالأوَّل غنيٌّ عمَّا عداه، بل لا موجود سواه، يتقدَّس عن شريك ونظير، إذ ليس لصرف الشيء إلى الإثنيَّة مصيرٌ.

جلَّ عن الوهم والخيال، ورُفِعَ عن الإحاطة والمثال. الأذهان العالية والسافلة في القصور عن اكتناه ذاته متشابهة متشاكلة، لا تحيط^(٤) بحقيقة العقول والأفكار، ولا تُدرِكُهُ^(٥) البصائر والأبصار، لا يحومُ حوم جِماه حائم، ولا يروم تحقيقه^(٦) رائم، لا يلمس بالأخماس^(٧)، ولا يُدرِكُ بالحواسِّ. العقلُ عن دركه كالوهم معزولٌ، والكلُّ في حقِّه كُفَّةٌ أضاليلٌ. الدائر حولَ جانبه يحارُّ^(٨)، والطالب نور جماله يتقيَّد بالأسرار. لا يعلم كُنْهَهُ إلَّا الله^(٩)، ولا ينالُ بهذه البُغيَّة سواه، فبَطْنٌ عن عيون المحجوبين في عين ظاهريَّة، وظهر لقلوب

(١) م ١: والله والله.

(٢) آس ١: سبيل.

(٣) آس ١: ولنذعن.

(٤) دا ٢، آس ٢: يحيط.

(٥) آس ٢، مج ٢، ل: يدركه.

(٦) مج ١، آس ١، مس: بحقيقته/ مج ٢، م ٢: نحو حقيقته.

(٧) دا ٢ (حاشية): + المراد بالأخماس الأيدي، فإنَّ لكل كَفٍّ خمس أصابع واللمس بها يكون غالباً من شيء.

(٨) آس ١: يحار.

(٩) م ١: + تعالى.

العارفين في عين باطنيته؛ وليس ذلك إلا تجليه بصورة ما أراد إظهاره، وتنزله إلى مراتب الأكوان عند أسباله و^(١)أستاره. وليس حال ما يُطلق عليه السوى والأغيار، إلا كحال الأمواج على البحر الزخار^(٢)، إذ كل ما يرتسم^(٣) في العقول والأذهان^(٤) فهو ينبعث من حيز القوة والإمكان، فهو ممّا تصوّرت في حقّه فاصل، بل من كل ما يقال ويظنّ مزاييل، إنّيته أجلى^(٥) من أن يُستر^(٦)، وماهيته أخفى من أن تظهر^(٧)، وليس لجماله حجاب إلا النور، ولا لذاته نقاب إلا الظهور. ولم يمنع القلوب من الاستنارة والاستجلاء، بعد تزكيتها عن كدورات شهوات الدنيا، إلا شدة الإشراق^(٨) وضعف الأحداق.

كالشمس يمنعك اجتناءك وجهها فإذا اكتست برقيق غيم أمكننا^(٩) فسبحان من اختفى عن بصائر الخلق نوره، واحتجب وجهه عنهم لشدة ظهوره.

فيض [٢]

ذاته صفاته - جلّت أسماؤه وتقدّست آلاؤه - قديم أزلي، باقٍ سرمديّ، معلّل العِلل، فاعلٌ غيرُ مُنفعل، يُبدىء ما يشاء ويفعل ما يريد. وفيضه لا ينقص، وجوده لا يببّد. لا يشغله شأن عن شأن، ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(١٠). منشئ النشأة الأولى، ومُبدع الفطرة الثانية والدار الأخرى، رافعٌ من وحده إلى الجنة^(١١) العلّياء ومهبطٌ من جحده إلى قعر جهنّم السفلى، لا يصدر ما يصدر^(١٢) عنه عن همّة زائدة ولا طبيعة، بل هو عن القصد والطبيعة في رتبة

(٢) م ١: الذخار.

(١) مع ١، م ١، م ٢: - .

(٤) م ١: في الأذهان والعقول.

(٣) آس ١: يرسم.

(٦) مع ١، م ١: نستر.

(٥) مر: أجل.

(٨) آس ١: الإفتراق.

(٧) با ١، با ٢، مع ٢، ل، آس ٢: يظهر.

(٩) هزار ويكتب فب ٢٣٠، ج ٢، ص ٢٧ تا ٢٨ و ٣٨.

(١١) ل: + على.

(١٠) سورة الرحمن (٥٥)، آه ٢٩.

(١٢) آس ٢: - ما يصدر.

رفيعة. إذ كلّ قصد بصير لغرض مواصلاً، فقاصده به يصير كاملاً، فلا مقتضي لجوده، سوى وجوده الذي لا تضرب له الأمثال، نفعاً ينال، أو صيناً يقال؛ وكلّ جود يُرى عليه مدحُ وثناء، فهو عند العقلاء تجارةً وأخذُ وعطاء؛ ولأنّ الباعث للشيء على شيء مستخدِمٌ له بتحصيله، بل مستعبدٌ^(١) له في تكميله. ومَن الذي يستخدم المخدم المقصود، ويستعبد المعبود المسجود؟ فسبحان من فالتى^(٢) فاتحاً بيده مفاتيحُ الفواتح ومقاليد المساعي والمناجع، يتعاضم عن الدواعي والعِلل؛ لذلك قال: ﴿لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾^(٣). أظهر الأشياء بلا فكرة ولا رويّة، بل كما تنشأ^(٤) الأفكار من العقول الذكيّة. كيف، ولا تحتاج^(٥) الرويّة^(٦) إلى الرويّة، فما ظنك بخالق أفكار البريّة^(٧). فلا غاية له في فعل الوجود إلّا إفاضة الخير والجدود؛ بل ليس لجوده غاية سوى وجوده^(٨)، إذ هو غاية الغايات، ونهاية النهايات، إليه ينتهي كلّ موجود، وبه يُقضى^(٩) كلّ حاجة ومقصود؛ إنّما الغاية في فعله لما سواه من ذوي^(١٠) الفقر والحاجة وأولي المسكنة والفاقة^(١١) هو إيصال كلّ واحد إلى كماله، وإرواء كلّ وارد من مشرب جماله، إذ لم يخلق هذا الجسماني الفسيح والفلك الدوّار المسيح، إلّا لأمر عظيم خطير أعظم من هذا المحسوس الحقير.

فيض [٣]

عِلْمُهُ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ الْكَلِّيَّاتِ وَالْجَزْئِيَّاتِ، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾^(١٢). علمه الذي هو نفسُ ذاته علّةٌ لوجود مفعولاته، فأظهر كلّ

(١) آس ٢: مستعبد.

(٢) سورة انبياء (٢١)، آية: ٢٣. مقايسه كنيدي با اثولوجيا، ص ٦٧ «فبالبحري أن لا تكون نفسي المدبر الأوّل روية ولا فكرة» - «فليس يحتاج إلى إبداع بروية ولا فكرة».

(٤) آس ١: ينشأ.

(٥) آس ١، دا ٢، مع ٢، ا، م ٢: يحتاج.

(٦) همه نسخة ها جز «آس ٤١: الرويّة.

(٧) ل: الأفكار/ آس ١: البريّة.

(٨) ل: + ولا لجوده فاعل إلّا وجوده.

(٩) آس: ذو.

(١٠) دا ٢: بنفسي.

(١٢) سورة سبأ (٣٤)، آية: ٣.

(١١) مع: + و.

شيء بحكمته^(١)، ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾^(٢) بقدرته، وأوجد أعيان العالمين^(٣) برحمته؛ عَلِمَ الأشياء في قضائه السابق جملة وتفصيلاً، ثم نزلها بقدره^(٤) المعلوم تنزيلاً، رتبها بمقتضى مشيئته أحسن الترتيب، وخصصها على وفق عنايته بالتبديد والتقريب، أبدع المبدعات بقدرته فأبدى آزالها، وأنشأ الكائنات بحكمته^(٥) فسَمَّى آجالها، نَظَّمَهَا في سلك الزمان تقديماً وتأخيراً، وخلق كل شيء فقدره تقديرًا، ولم يحتج في ذلك إلى زمان ومكان، بل قال: ﴿كُنْ﴾^(٦) فكان. لأنه إذا بدأ^(٧) بإبداع^(٨) الأنواع، كان حصول الزمان والمكان^(٩) في حيز الامتناع، فكل ما تقدّم^(١٠) إيجاد الزمان والمكان، فحيطتهما له ليس في حدّ الإمكان، لا يحده المقدار، ولا تحويه^(١١) الأقطار، ولا تحيط^(١٢) به الجهات، ولا تكتنفه^(١٣) السماوات؛ وإنّه مستوٍ على العرش على الوجه المقدّس عن المماسّة والاستقرار والحلول والافتقار، فلا يحمله العرش، لأنه وحملته محمولون بلطيف قدرته ومقهورون تحت سلطنته في قبضته، وهو فوق الجميع وفوق العرش الرفيع فوقيّة لا تزیده^(١٤) قرباً إلى السماء، وبعداً من الثرى، بل ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ﴾^(١٥) عن العرش والسماء. كما أنّه ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ﴾ عن الثرى، وهو مع ذلك قريب من كلّ موجود، وأقرب إلى العبد من حبل الوريد^(١٦) ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(١٧)، تعالى أن يحويه^(١٨) مكان، كما تقدّس

-
- (١) آس ١، مر: لحكمته.
(٢) سورة طه (٢٠)، آية: ٥٠.
(٣) آس ٢: للعالمين.
(٤) آس ١، ل: بقدره.
(٥) آس ١: لقدرته (حاشية): لحكمته / مر: لحكمته.
(٦) اقتباس از سورة بقره، آية: ١١٧.
(٧) دا ٢: ابداء / مج ١، مج ٢: بداء / آس ١: ابداع / مس: بذع.
(٨) آس ١: بأنواع.
(٩) آس ١: - المكان.
(١٠) نسخة ما جز ١ مر: وآس ١٢: بقدم.
(١١) آس ١، مج ١، م ١، م ٢: تحيط.
(١٢) دا ١، دا ٢، م ١، م ٢، مج ١، ل: يزیده.
(١٣) سورة طه (٢٠)، آية: ١٥.
(١٤) سورة سبا (٣٤)، آية: ٤٧.
(١٥) آس ١، مج ١، م ١، م ٢: يحويه.
(١٦) اقتباس از سورة ق (٥٠)، آية: ١٦.
(١٧) مج ١: تحويه.
(١٨) سورة سبا (٣٤)، آية: ٤٧.

أن^(١) يحده زمانٌ، بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان، وهو الآن على ما عليه كان؛ لا يزال في نعوت جماله وجلاله منزهاً عن الزوال، مقدساً عن التجدد والانتقال، وفي صفات كماله مستغنياً عن زيادة الاستكمال. والعقول الصافية معتمدة في تلك الحكومة، لخلوها عن الأزمنة والأمكنة المحققة والموهومة. والأمور التدريجية بالقياس إلى العوالي والشوامخ كالدفعية. لا تغيّر فوق سُدرة المنتهى^(٢)، بل هو عالم الثبات والبقاء، فما ظنك بإله كل عقل ونفس، فهو من أن يقع في التغيّر والتجسّم أسمع^(٣) وأقدس.

ليس عند ربك صباح ولا مساء، ولا حدوث ولا فناء؛ فإذا لم يكن شيء في وقت موجوداً، فلأنه كان استعدادُه لقبول الفيض مفقوداً. والفاعل متى لم يكن على هذا المثال، لم يستحقّ عند الحكماء رتبة الكمال؛ فإن لم يتناول لاسم الفاعل بهذا المعنى وضعّ وفرض، فهو لدى العاقل الفاعل المحض، وكلّ ما كان من الأفعال بالأجسام لا ثباتاً، فهو عند العقل بعيدٌ أن يصير للباريء لاحقاً. وفعلٌ لا يحويه ظنٌ ووهمٌ، لا ضيرٌ إن لم يكن له عندنا اسمٌ، فلو عُرف بالاسم كلُّ مستمى، لساوى كتابُ الجاحظ كتابَ الشفاء، فسبحان خالق الزمان، ومكوّن المكان ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^(٤) والأمثال العليا.

[٤] فيض

واجب الوجود، مبدأ كلّ فيض وجود. وإنه - تعالى^(٥) - حيّ قادر، جبار قاهر، لا يعتره قصور ولا عجز ولا فتور، ولا يعارضه فناء ولا موت؛ وإنه ذو الملك والملكوت والعزّ والجبروت، له القدر والقهر والخلق والأمر، ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾^(٦). والخلائق مقهورون في قبضته، لا يشدّ عن

(١) مج ١، دا ١: من أن. (٤) سورة إسرائ (١٧)، آية: ١١٠.

(٢) اقتباس از سورة نجم (٥٣)، آية: ١٤. (٥) دا ٢: يقال تعالى.

(٣) مج ١، م ١: أسمع. (٦) سورة زمر (٣٩)، آية: ٦٧.

قبضته مقدور، ولا تعزب^(١) عن قدرته تصاريث الأمور، ليست لغيره رتبة الإبداع، بل شأن من سواء^(٢) التحريك والإعداد^(٣). فكل ما لم يصد^(٤) صدوره مانع، فهو بمجرد إمكانه صادر عن الصانع. وكل ما له شرائط في الإيجاد ووسائله، لا بد منها في الإعداد، فهي أمور مرهونة بأوقاتها، موقوفة على المواد وانفعالاتها. وكلما^(٥) حدث استعداد في عالم المواد، اتصلت به صورة أو هيئة من المبدأ الجواد. والجود المنقطع لا يليق بواهب العقل؛ إذ كما يسمى اتصاله جوداً، يُلقب انقطاعه بالبخل. فبالجود المتصل خلق الله هذا الخلق العظيم، الذي تسمعه وتراه بالتأخير والتقديم. وليس ملاك التقدم في مبدعانه الهولوي والزمان، لكن الذات والرتبة والشأن، فسبحان من تقدس فناؤه عن غبار الحدوث والفناء.

فيض [٥]

جواهر المفارقات علوم إبداعية، وذواتها صور عقلية، ليست كألواح عليها رسوم، أو كصدور فيها علوم. وكما أن للأوهام^(٦) والتخيلات^(٧) آثاراً في العالم الصغير الأدنى، كذلك للعلوم والتعقّلات^(٨) آثاراً في العالم الكبير الأعلى. فأول ما نثي به الوجود وانفتح منه باب الخير والجود جوهر قدسي واحد، لجميع الصور المحضة والدُّ؛ إذ لا مجال للكثرة أن تتكوّن^(٩) عن^(١٠) الباري^(١١) معاً، ولا سبيل للجسم أن يظهر عنه مبدعاً. وهو قلم^(١٢) الحق الأول، وناقش الحقائق والعلوم على ذوات^(١٣) المبادئ والعلل. وهو النور المحض الذي لا

(١) آس ٢: يعزب. (٢) آس ١: سواء.

(٣) آس ١: الانتزاع/ مج ١، مج ٢، م ١، م ٢: الإعداد.

(٤) آس ١: يصد. (٥) آس ١: كل ما.

(٦) ما ٢: الأوهام/ م ٢: للعلوم. (٧) آس ٢: للتخيلات.

(٨) آس ١: التعقّلات. (٩) آس ٢: يتكوّن.

(١٠) آس ٧: - عن. (١١) آس ١: للباري.

(١٢) نسخة ما جز ١: القلم. (١٣) ل: فزات.

تفاوت فيه، والجوهر^(١) الإبداعي الذي لا ضدّ ينافيه، لا يقع فيه التغيّر^(٢) والتحويل، ولا يجوز عليه الانتقال والتبدّل؛ مشرق أنواره، ظاهر آثاره، حارّ لما بدأ عنه، محيط بما تكوّن منه. وبعده الجواهر^(٣) العقلية القويمة، علل النفوس والأجرام الكريمة. فللفاعل على الفعل الشرف والفضل، وليس يحكم^(٤) بغير هذا العقل. ومتى سوّغنا مساواة النفس للعقل، أدّى^(٥) إلى مساواة^(٦) العقل للواحد العدل^(٧)، وما هذا إلّا فطريّ الفساد، حيث يؤدّي إلى انتقاض الوحدة وانتظام الانفراد.

فيض [٦]

فبدأ الباري بإبداع الصور المقدّسة عن تعلّق الأجرام، وثناها بالسابحات^(٨) الدائرات على^(٩) الاستمرار والدوام^(١٠). صوّر الأوّل عارية عن المواد، عالية عن^(١١) التهيؤ والاستعداد. والثواني محرّكات للأجرام الكريمة الشعاعية، مشوقات^(١٢) للذوات الثورية الإبداعية. والحقّ^(١٣) أنّ الكلّ مشتاقون إلى جمال ربّ العالمين، متواجدون في عظمة أوّل الأولين، مشغولون بالأعمال المقرّبة إليه، رقاصون^(١٤) في البارقات المزلفة لديه. هو الذي أدار رحاها، و﴿يَسِرُّ اللَّهُ بَـحْرَينَهَا وَمُرْسَـئَهَا﴾^(١٥) ولكن لكلّ منها وسط يقاربه، ومشوّق عقليّ يناسبه، وإلّا لما اختلفت الجهات والحركات. فتكثّرت العقول حسب تكثّر الأجرام الحية وتحرك الكرات. فسبحانّ القويّ القدير الذي قوّته أخرجت هذه

-
- (١) ل: الجوهر. (٢) دا ٢، مج ١: التغيّر.
(٣) دا ٢: الجوهر. (٤) ل: يحكم.
(٥) دا ٢: ادأى. (٦) آس ٢: - النفس... إلى مساواة.
(٧) آس ١، مر: - أدّى إلى مساواة... العدل.
(٨) آس: بالسابحات. (٩) مج ١، م ١: عن.
(١٠) آس ٢: الروام.
(١١) دا ١، دا ٢، مج ١، مج ٢، م ٢: على. (١٢) مج ١، م ١: مشوقات.
(١٣) آس ٢: أحلّ. (١٤) مر: قاصدون.
(١٥) سورة هود (١١)، آية: ٤١.

الأوائل^(۱)، وقدرته أبدعت هذه الوسائل، لتترقى^(۲) الهمم العالية إلى^(۳) أوجها وذرئها، ويتخلص من قيود الحضيض وخستها، بذكر مقامها الأصلي ونشأتها.

فيض [۷]

وآخر العقول الزواهر هو مبدأ عالم العناصر وكد خداها، به يدور رحاها، المبنى على طبقات أربع، مستديرة الأشكال بالطبع. فماؤها الفيض المنحدر من بحر القضاء على ميزاب^(۴) القدر، وحبوبها مواد الكائنات، ودقيقها صور المركبات: من المعادن والحيوان والنبات. والرحوي لا يزاوئ تحريك الرحي ولا يباشره^(۵)، بل لحظات عينه التي لا تنام تدبره، كما قال ﴿وَلِصْنَعِ عَلَيَّ عَيْنٍ﴾^(۶) ﴿وَأَصْنَعِ الْفَلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾^(۷) وتلاؤ وجهه الكريم سراج الذي ينيره^(۸) بأمر المبدع^(۹) العلیم. فمن أراد أن يقف على تركيب الرحي، فليخرج منها^(۱۰) مهاجراً، ولغبطة لقاء تاجراً، حتى يطلع على الرحي والرحوي الذي «أشرقت بنوره» الأرض السفلى. شعر^(۱۱):

آسیابان را ببینی چون از او بیرون روی

واندر اینجا هم بدیدی چشمت ار بیناستی^(۱۲)

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾^(۱۳) فيكون «لهم قلوب يفقهون بها»^(۱۴). والحركة

(۱) آس ۲: للأوائل.

(۲) آس ۲: ليترقى.

(۳) آس ۱: - إلى.

(۴) آس ۱، مر: و(بجای «على ميزاب»).

(۵) مر: يباشرته.

(۶) سورة طه (۲۰)، آیه: ۳۹.

(۷) سورة هود (۱۱)، آیه: ۳۷.

(۸) دا ۱ (زیرنویس): كما قال فأشرقت الأرض بنور ربها/ م ۱ (حاشیه)، دا ۲ (حاشیه): كما قال تعالى - وأشرقت الأرض بنور ربها بخطه رحمة الله عليه/ ل (حاشیه) كما قال تعالى أشرقت الأرض بنور ربها.

(۹) آس ۱: من المبدع.

(۱۰) آس ۲: منه.

(۱۱) دا ۲: بیت.

(۱۲) دیوان ناصر خسرو ج ۲، ص ۴۴۰.

(۱۳) سورة عنكبوت (۲۹)، آیه: ۲۰.

المأمورة في الآية المذكورة إنما هو سير الفكر الموجب لزيادة النور في قلوب العقلاء، لا سلوك الجسد المورث لظلمة الإعياء، وإلا فما دام الناظر في الرحي وظلمة الهيولى الليلاء الوحشا «لا يُبصر شيئاً سوى البخارات والغبار».

وحينئذ يقول: شعر^(١)

بگذار حدیث آسپائی، کورا

گندم همه مردم است و آبش خون است^(٢)

ومن هذا الرحي العلوي، تفيض^(٣) النفوس والصور على الهيولى، وبهذا الاعتبار سمي كدخداء^(٤) العنصریات، و[أب]^(٥) المادیات. وهو المعلم الشديد القوى، المؤيد^(٦) بإلقاء الرحي إلى الأنبياء، وإلهام الحق للأولياء، والرؤيا الصادقة للأتقياء. وهو «الرُّوحُ الْأَمِينُ»^(٧) المذكور في قول الملك الحق المبين. وهو الرسول الكريم، المعدود خصاله العميم، في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾^(٨). وهو جبرئيل على لغة السريانيين^(٩)، النازل^(١٠) على قلوب السالكين.

وبالجملة فكل ما سيجري في عالمنا هذا من الذوات والصفات والأفاعيل والحركات، يفيض عن هذا العقل الأخير بإذن الحق العليم الخبير، وهو بالحقيقة قلم الحق الأول، المبدع^(١١) لا يزال ولم يزل، والأرواح منا كالألواح، والكتابة تصوير الحقائق على الأرواح ورسم الطبائع على مواد

(١) دا ١: شعر/ دا ٢: بيت.

(٢) منسوب به خيام است. ر. ك: فرهنگ ایران زمین، ج ١٣، ص ٣١٦.

(٣) آس ١: يفيض.

(٤) همه نسخه ها جز مع ١٢ و ١٣: الكدخداء.

(٥) مع ٢، مع ١، م ١، ل: اباء المادیات. (٦) ل: والمؤيد.

(٧) سورة شعراء (٢٦)، آية: ١٩٣، مقايسه كنيد با كشف الأسرار، ج ٧، ص ١٥٣.

(٨) سورة نكوهر (٨١)، آيات: ١٩ و ٢٠ و ٢١. مقايسه كنيد با كشف الأسرار، ج ١٠، ص ٣٩٢.

(٩) آس، مر: الربانيين.

(١٠) آس ١: الناظر.

(١١) آس: المبدأ.

الأشباح. إذ قَلَمُ الحق ليس من^(١) أنبوبة ولا قَصَب، ولو حُ لا يكون من خشب ولا ذهب. فبتعديله صورنا في مواد النطف منقوشة، وبتقويمه بساط الأشكال^(٢) على بسيط الهيولى مفروشة، وكتب أعمالنا بقبضه^(٣) وبسطه منوطة، وصحائف أعمالنا بحلّه وربطه مربوطة. فهو المودع^(٤) بأمر بارئه تلك الصور في جواهر الأمهات، المظهر لها في طبائع الأسطقات^(٥). والمتّم ما يبدو منها من^(٦) نفوس الحيوان والنبات. فهم بأمره موكلون، ولأعمالهم متممون، ولكلّ منهم جزء مقسوم من عالم الملكوت، ونصيب معلوم من آثار الجبروت، بل في كلّ قطرة من قطر الأمطار ومع كلّ نقطة من مياه البحار ومع كلّ ورقة من ورق الأشجار ومع كلّ ساعة من ساعات الليل والنهار جزء من الملكوت يدبره، ونصيب من الجبروت يستخره. فلذلك صارت الطبيعة تُظهر - على تغاير الأيام وممر الزمان ومع كلّ لحظة من لحظات العيان وفي كلّ حيّز ومكان - كوناً لأمر جديد، لا يفنى نوعها ولا يبيد. وأنّ ما منها بادٍ بالفساد، تُكوّن^(٧) مكان مثله بالمعاد. فهي قوّة صادرة لما تقدّم في الوجود، كقوّة حركة الدولاب الذي يبدو عن قوّة محرّكة لها بالتأييد. فسبحان من مُبدع أبدع البدائع وصوّرها، وجلّ من صانع صنع الصنائع ونورها. ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٨)، إله الموجودات وربّ العالمين.

فيض [٨]

لا ميّت في عالم^(٩) الأثير، وإن كان الكلّ مسخرةً بزمّام التقدير. إذ هي مُكرّمة الذوات والصفات، مرفوعة عن أرجاس العنصريّات، فيها كواكب طالعة،

(٢) آس ١: الاستكمال.

(٤) آس ١: المودع.

(٦) ل: في.

(١) آس ١: - من.

(٣) ل: بقبضه.

(٥) مع ٢: اسطقات.

(٧) آس ١: يُكوّن.

(٨) سورة مؤمنون (٢٣)، آية: ١٤. ر. ك. كشف الأسرار، ج ٦، ص ٤١٤.

(٩) دا ١، دا ٢، مع ١، مع ٢، م ١، م ٢: في العالم.

وأنوار لامعة؛ روحانيون بذواتهم الشريفة، جسمانيون بأجسامهم اللطيفة، لكل منهم جنودٌ وأهوانٌ وحياةٌ وعرفانٌ، مربوطة^(١) بها النفس الكلية، بقوة عقلية تبدو من مشيئة إلهية وعناية ربّانية. كيف، ولو عرِيت الأفلاك من الحياة، كان خير الأجسام في حيّز الموات^(٢). وواهب العقل مزّين الأرض المظلمة بالحيوان والنبات، لا يليق بجوده البخلُ بالحياة على الأفلاك الدائرات، والكواكب السائرات. وقد قال أستاذنا^(٣) الأقدم: «يجب أن يُعتَقَد في السّماء ما هو أشرف وأكرم». والعجب كلّ العجب ممّن يتعجّب من هذا البحث القويم، الجاري على النهج المستقيم، ويقول في نفسه: كيف يكون الأفلاك أحياء ناطقة مطيعة شائقة^(٤) ولا رأس ولا ذنب ولا شهوة لها ولا غضب. فهذا المسكين المذبوح بلا سكين قتلُ سيوف الألفاظ والعبارات، جريحُ سهام المباني والإشارات، ما شاهد الحيوانات الأرضية إلّا ذوات الرؤوس والأذنان من الكلاب والذئاب^(٥). ولم يتوهم نفسه إلّا هذا^(٦) الهيكل المشكّل والمركّب المفصّل والقوى المتكثّرة والآلات، والأعضاء والأدوات؛ ولم يعلم أنّها غير داخلّة في مفهوم الحيّ الدّراك، فمنع من إطلاق الحياة على الأفلاك. فلو تفكّر في نفسه تفكّراً مُشبعاً وتأمّل فيها تأمّلاً مُقنعاً، لعلم أنّ نفسه العاقلة المعقولة حيّة قائمة ناطقة فاهمة غير ذات رأس وذنب^(٧) وشهوة وغضب. ولعلّه نسي قوله تعالى حمداً لما في السّماء: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(٨)، بالواو والنون. وقوله: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْنَهُمْ لَ سَجْدِينَ﴾^(٩)، وكيف يكون الجمادُ سابحاً وساجداً، ومسبحاً وممجّداً؟ وما وقع في بعض خطب أمير المؤمنين وسيد الموحّدين، عليه وعلى أخيه أزكى صلوات المسبحين، من قوله: «ثُمَّ فَتَقَّ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً

(١) دا ١، دا ٢، مج ١، مج ٢، م ١، م ٢: مربوط.

(٢) أس: الموات.

(٣) دا ٢: أستاذنا/ مج ١، م ١: أستاذنا أرسطاطاليس.

(٤) ل: شائعة. (٥) دا ١: والذباب / مج ٢، ل: والذباب.

(٦) أس ١: هذه. (٧) أس، مر: لا ذنب.

(٨) سورة انبياء (٢١)، آية: ٣٣. (٩) سورة يوسف (١٢)، آية: ٤.

من ملائكته. فمنهم سجد لا يركعون، وركوع لا ينتصبون، ومسبحون لا يسأمون، لا يغشاهم^(١) نوم العيون، ولا فترة الأبدان، ولا غفلة النسيان^(٢)، يؤبد ما ذكرناه، وينور ما قررناه. فالنفس الصافية علة دورانها وحافطة أزمانها، من زيادتها ونقصانها، فسبحان من صورها ودورها بالتدبير، وسخرها وقبدها بزمام التقدير.

فيض [٩]

الأفلاك^(٣) كلها أحياء ناطقون، وعشاق إلهيون، وعباد صالحون، ﴿وَلَا تُدَاوِدُ لَا يَقْضُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٤) يسبحون الليل والنهار وهم لا يسأمون^(٥)؛ لدوام تشويقاتهم بدوام الإشراقات العقلية على ذاتهم، وعدم شواغلهم عن طاعة جاعلهم^(٦) من الدواعي الشهوية والصوارف الغضبية، واستحالة التفاتهم إلى ما تحتهم من الكائنات المدرية والأجسام القدرية^(٧). على أنني أقول: ما يرتمي إلى نفوسها العاشقة المشوقة^(٨) : - من أشعة جلال الأزل، وأضواء كبرياء جمال الأول، وأنوار آثار اللطف والعناية، و^(٩) أسرار غرائب العاطفة والهداية - ما، يعوقها عن الالتفات إلى ذاتها النفيسة، فضلاً عما دُونها من الأمور الخسيسة. واعتبر هذه الحالة من نفسك مع شواغلك البدنية، من الأمور الإنسانية والدنيئة^(١٠)، متى جرّدت عنها نفسك، وبعثت منها حسك، وولّبت^(١١) وجه قلبك إلى الاستغراق بنور وجه ربك، كيف يمتلىء^(١٢) نوراً

(١) آس ١ : لا يغشاهم. (٢) مقاييس كنيذ با نهج البلاغة ٨ تا ٥ و ١٥.

(٣) ر. ك: مصطلحات فلسفي صدر الدين شيرازي، ص ٣١.

(٤) سورة التحريم (٦٦)، آية: ٦. (٥) اقتباس از سورة فصلت (٤١)، آية: ٣٨.

(٦) آس، مر: جاعلهم/ مس: فاعلهم. (٧) مج ١، ل: القدرية.

(٨) مج ٢: المشوقة. (٩) آس ٢: (بجای «من») و.

(١٠) آس ١: واللبنية.

(١١) (در نسخه ١٠٢٣ بخط مؤلف) ولّبت أي: أقبلت.

(١٢) تا ٢، مج ١، ل، آس ١: تمتلىء.

وحبوراً وفرحاً وسروراً، ويتأثر^(١) من نفسك هيكلك وبدنك، ويقشعر منك وجلدك، لما بينهما من العلاقة الشوقية والرابطة^(٢) الذوقية؛ وتجد من ذلك لذة لا تشبهها^(٣) لذة، وبهجة لا تماثلها^(٤) بهجة؛ إنما هو روح من الرياح الهابة بين يدي رحمته، وزيحان من الرياحين الناشرة في رياض نعمته، قذف في نفسك، وانعكس إلى معسكر حسك، فيشرق على الإنسان من أثر العقل ما يكون به حياة نفسه وقوة بدنه وكمال حسه. فانفعلت من النفس القوى السافلة، كما كانت هي تنفعل عنها وعن الجنة^(٥) العالية. فإذا كانت حال نفسك المجردة على هذا المثال - مع عوائقها عن آثار البهجة^(٦) والجمال، وانفصالها عن عالم الرتبة^(٧) والكمال -، فما ظنك بنفوس كريمة عظميه البراءة^(٨) عن المواد والعلائق، شديدة التجرد عن الأضداد والخلائق، مع عدم شواغلها المانعة، وانتفاء عوائقها القاطعة. اللهم بهج عقولنا بأعاجيب سرادقات العلين، وهيج أرواحنا بلذات أنوار المقرين.

فيض [١٠]

هيولى الأفلاك مصورة بالصّور اللائقة، ممتنعة الانتقال من السابقة إلى اللاحقة؛ فلها الحياة الدائمة والأجرام القائمة، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها من الدهماء والعجماء. فإن حركات الأفلاك ستؤول إلى فناء وقصور وهلاك وفتور، وإن بقيت^(٩) دهرأ مديداً وأمدأ بعيداً، لشرفها ونوريتها وثبات صورها وأنايتها^(١٠). وإنما صنّع البارئ الأجرام الرفيعة^(١١) على هذه الصنعة

(١) ل: يتأسر. (٢) آس ١: الربط.

(٣) آس ٢: لا يشبهها. (٤) مر، آس ١، مج ٢، ل: يماثلها.

(٥) آس ١: الحيجة/ مس: الجنة. (٦) مس: النتيجة.

(٧) آس ١، مر، دا ٢، مج ١، مر ١، ل: عالم الزينة.

(٨) آس ١: المبرأة. (٩) دا ٢: ابقيت.

(١٠) آس ١، مر: ايتها؟ (١١) دا ٢: الرفيعة.

من التبرؤ من^(١) الأضداد والأنداد، والتعري عن الكون المزاجي والفساد، ليكون دوام وجودها الإبداعي ما دام ثبات العالم الطبايعي دالاً^(٢) على سرمدية مبدعها^(٣) الحق وديمومية صانعها المطلق. لأن حقيقة الحق أن لا يمانعه ضد، ولا يمانله نذ. وإذ كانت عظام الأجسام على هذه الشاكلة من الثبات والقوام والبقاء والدوام، فما ظنك بصور لم تعرف تجسداً أتى يكون تنعمها خلوداً وتابداً. وأما ذوات الصور المتضادة من الطبائع المتفاسدة، فهي لفرط تباعدها وتفاصلها من خاص ما يوصف به جاعلها، لن يصلح للديمومية الشخصية، كالصور الأسطقسية^(٤). فتفكر يا أخي في خلق السماوات والأرض، وما فيها^(٥) من الرفع والخفض؛ لتعلم أن المبدع للكل بتمام قدرته، وبإلغ أمره وحكمته، كيف تتم نقصان هذا الصنف من الأجسام الطبيعية، بإعطائها الديمومية النوعية، فصير عالم الأرض والسماء، منتظماً بصنفي الثبات والبقاء، وجعل أحد الثباتين - وهو الأفضل - علة للآخر^(٦) وهو الأرذل، فظهر به طريقة الفعل والانفعال، بل حقيقة المبدأ والكمال.

فيض^(٧) [١١]

كل ما كان في الوجود^(٨) أقدم قدماً، فبحسب تقدمه كان في الشرف أرفع قدماً، وصار بالعكس أمر الإعادة، فما كان أخلف كان أنيل بالسعادة، إذ علة

(١) أس ١: عن. (٢) أس ١: والآ.

(٣) ل: مبدعه. (٤) ل: اسطقسية.

(٥) أس ١: فيها/ مر: عنهما (حاشية): يا عنها.

(٦) دا ٢: الأخرى. (٧) دا ٢: فيض فيض.

(٨) دا ٢ (حاشية): + الواجب الوجود - تعالى - كالدائرة، والهيولى كالمركز، وسلسلة البدء: نصف قطر من المحيط إلى المركز، وسلسلة العود نصف قطر من المركز إلى المحيط، سلسلة البدء: الواجب - تعالى - والعقل والنفس والصورة النوعية والصورة الجسمية. سلسلة العود: الهيولى، الجسم المطلق، النبات، الحيوان، العقل الهيولاني، العقل بالملكة، العقل المستفاد، الواجب جل شأنه. نقل من خطه.

الشرف والتميز، هي الدنو من العلي العزيز. ففي البدء كلّ ما^(١) تقدّم كان أوفر اختصاصاً، وفي العود كلّ ما تأخر فهو أقرب إلى أن يجد^(٢) من الهيولى خلاصاً. فيبتدىء سلسلة النزول من الأنوار والعقول، ثمّ النفوس والصّور بعد العقل الأنور؛ وهكذا يتدرّج الوجود في النّأي عن منبع الخير والجود، حتّى وصل إلى هيولى المتضادات ومادّة المتفاسدات؛ فيرتقي إلى العناصر والأركان، ثمّ إلى الجماد والنبات والحيوان. وآخر رُتب الحيوان وكمالها هو الإنسان، ولهذا جاء زبده العناصر والأركان. وإذا بلغ إلى درجة العقل المستفاد، فقد حصل التخلّص من الأضداد، فعنده يقف الجود، وبه تتصل دائرة الوجود، كما قيل في الفرس^(٣):

دو سر خط حلقه هستی بحقیقت بهم تو پیوستی^(٤)

ولنّما أطلّع واهبُ العقل من شجرة الأضداد بامتزاجها^(٥) ثمرة العقل المضيء في المعاد؛ لئلا يذهب^(٦) تلك القمامة^(٧) هدرأ^(٨)، وليصيب كلّ مخلوق^(٩) من السعادة قدرأ، وليعلم أنّ الغاية^(١٠) القصوى خلقة الإنسان وإن وجدت من فضالته سائر الأكوان، لئلا يفوت كلّ عنصر حقّه، ولا يقصر عن قابل مستحقّه. فانظر أيّها العارف في حكمة الصّانع البديع، وجود النافع المنيع، كيف بدأ^(١١) بالعقل وختم بالعاقل، وبينهما أمور متفاضلة^(١٢) متفاوتة بمراحل. وهل هذا إلّا

(١) آس ١: كلما. (٢) ل: يحد.

(٣) مج ١، مج ٢، م ١، م ٢، مر: + شعر.

(٤) در فرهنگ ایران زمین، ج ١٣، ص ٨٥ ضمن نامه ملاصدرا به میرداماد این شعر نیز آمده است. مرحوم آیت الله رفیعی قزوینی قبل از فوت بهنگام ملاحظه نسخه تصحیح شده اینجانب در حاشیه، آنرا از نجم الدین کبری (مرصاد العباد ومختصر المرساد) ذکر کرده اند.

(٥) مج ١: بامزاجها. (٦) آس ١، آس ٢: تذهب.

(٧) آس ١: القامة.

(٨) آس ١، مر: بدرأ/ دا ٢ (حاشیه): + القمامة: قم البيت كنسه، والقمامة بالضم: الكناسة، والجمع قمام، قم وقمت الشاة أكلت، والرجل أكل ما على الخوان، قم الخوان ما يؤكل عليه.

(٩) آس: - مخلوق. (١٠) م ١: غاية.

(١١) آس ١: بدی. (١٢) آس ١ (حاشیه): متفاضلة.

كالبنر المزروع، للنبت^(١) المرفوع، يتبدى أوله وهو لب، وينتهي بآخره وهو أيضاً لب. فالعقل الأول بذر العقلاء والألباء^(٢)، وما عداه من العقل سيقانه، والنفوس الكلّية أغصانه، والأجرام^(٣) الفلكية ساقاته وأفئانه، والبسائط^(٤) العنصرية أوراقه، والنفوس الأرضية أزهاره، والنفوس الأدمية نفائس أثماره، والعقول المستفادة لبوب^(٥) حبوبه^(٦) وأنواره. والروح المحمدي لب الباب، وللوجود خاتمة الكتاب، عليه وآله السلام من الملك العلام. فإرادتك يا إلهي أظهرت من الأضداد شجراً، وأطلعت من امتزاجها العقل المنير ثمرأ، فطوبى لمن لا يرى^(٧) سوى وصالك^(٨) إرادة، ولا يطلب غير لقائك سعادة.

فيض [١٢]

جلّ البارئ عن قصد الشرور، بل قصد بالإيجاد الخير المنشور؛ فإن تبع شر قليل بالاتفاق، فلأن إيصال الخير لا يدوم إلا على هذا السياق، فشر يكون إلى الخير مطرّقاً، إذا تأملت أنه كان خيراً مروّقاً؛ فلو أفاد الأضداد أجمع، كان جوده^(٩) قد انقطع؛ فالخير برضائه وأمره، والشر بقضائه وقدره، فلهذا أهمل مبدع العقل^(١٠) مع ما فيه من السّماح بعض الأشباح خلوة عن الأرواح. ولو لم يثر^(١١) من هذه الأضداد العقول المتصلة الأمداد، كان خطر الموات بالإضافة إلى الأحياء، كالعدم واللاشيء بالقياس إلى الأشياء؛ فالعالم إذا أطلق أنّ العالم ناطق حي، فليس مراده سوى الأفلاك^(١٢) شيء؛ إذ العديدم الروح من الجملة لا^(١٣) يستبين فيه من الحقارة والقلّة، فلعلّ ما في بدن الإنسان من الموات والكثافة، يربو على ما في جوف الفلك بالإضافة، ولخلوص^(١٤) السّماء من

(٨) ل: وصلك.

(٩) نسخه ها جز ١: وجوده.

(١٠) آس ١: الكل / مر: الخلق.

(١١) آس ١: لم يثر.

(١٢) ل: سوا الأفلاك.

(١٣) ل: إلّا.

(١٤) آس ١، مر: لخلوص.

(١) آس: بالنبط.

(٢) آس ١: والأولياء.

(٣) ل: والأجسام.

(٤) آس ١، مر: البسائط.

(٥) ما ٢: لب.

(٦) آس ١: حبة.

(٧) ما ٢: لا يرى.

أنواع الفساد، لزمته دار الأضداد. وإنما يتبين عندك حقارة الكوائن
الفواسد^(١)، إذا طالعت عظم الأجرام الخوالد.

فيض [١٣]

فالصادر عن الواجب إما محض الخير، وإما الخير المستولي على الشر.
مثال القسم الأول عالم العقل وعالم الأفلاك، إذ هما مبرّءان من^(٢) الشرور
والهلاك الناشئان من التضاد، وإذ لا تضادَ فيهما فلا فساد. ومثال القسم الآخر
عالم العناصر والأركان وعرصه^(٣) الهلاك والبطلان. وذلك إنّما يكون لأجل
النفع في أشياء أخرى، لا يُهمّلها^(٤) خالق القوى والقدرة؛ إذ لو لم يخلق لخلق
سربال الوجود، وقصّر رداء الجود، وبقي في كتم العدم عوالم كثيرة، ونفائس
جمّة غفيرة، بل أمثال^(٥) هذه الوقائع لازمة في الطبائع من مصادمات حركات
الأفلاك الموجبة للاستحالة والهلاك، على سبيل اللزوم والاستجرام^(٦) دون
الالتفات إليها من سُكّان عالم الأسرار، فإذن في تركِ خيرٍ كثيرٍ لِشَرٍّ قليلٍ شرٌّ
كثيرٌ لن يسوغ إهماله من المبدع العليم الخبير. مع ما علمت من أنّ هذا^(٧) الشرّ
اليسير بالنسبة إلى بسيط^(٨) الأرض حقيرٌ، مع حقارتها بالقياس إلى السماء^(٩)
الدنيا، المقهورة المطموسة تحت عالم الأنوار والأضواء الأسيرة في قبضة
الرحمان، ولا نسبة له إلى جناب الكبرياء، الباهر برهانه على الضياء. فقد لاح
أنّ الخيرَ مرضيٌّ، والشرّ عرضيٌّ، فإذن تصوّر ذرّة الشرّ في بحر أشعة شمس
عظيمة الخير لا يضرّها^(١٠)، بل يزيدها بهاءً وجمالاً وضياءً وكمالاً. كالشّامة
السوداء على الصورة^(١١) المليحة البيضاء يزيدها حسناً وملاحةً وإشراقاً
وصباحةً. ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(١٢) من تقصير عن الأفعال،

-
- | | |
|---------------------------|---------------------------------|
| (١) آس ١، مر: والفواسد. | (٧) مع ١، م ١: هذه. |
| (٢) آس ١: عن. | (٨) ل: بسط. |
| (٣) ل: عرصة. | (٩) ل: سماء. |
| (٤) مع ٢، م ٢: لا يهملها. | (١٠) آس ١: لا يضرّ. |
| (٥) مر: امثال. | (١١) ل: على صورة. |
| (٦) آس ١: الاستمرار. | (١٢) سورة صافات (٣٧)، آية: ١٨٠. |

وفتور فعله عن تصوير الأمثال والأشكال، وجلّ جنباً الحق عن أمثال هذا
الخيال المحال.

فيض [١٤]

لا شيء من القوابل والموادّ أخسّ وأوهن من هيلوى عالم الأضداد، بها
بلغت الخمسة مركزها، ونالت المنقصة حيّزها. إذ هي واقعة على حاشية
الوجود، نازلة في صفّ نعال مجلس الإفاضة والوجود، ولكنها شركة لانحباس
الحقائق الجسمانية، وشبكة لاصطياد النفوس الإنسانية. ولا شيء من الصور
الفائضة عليها من الوهاب أثقل وأكدر من التراب. فعالم الأجرام شبه كأس
خمر، يعلو صفوها ويسفل العكر^(١)، ولكن أنارها البارئ بالبشر، الذي معاده
المحلّ الأنور. ولو أمكن على غير هذا الوجه إيصال الجود، ما أخرجت هذه
الظلمة من العدم إلى الوجود، فللنفوس من هذه الظلمة يحصل دوام^(٢) الخلود
في النعمة. فواهب الوجود بالكرم والجود لو لم يمنّ بإيجاد الظلام، لما استمرّ
العالم على هذا النظام. فسبحانك يا أيها العظيم الجواد على التحقيق، ما
أحسن ما هديت السبيل ودللت على الطريق. فلو لم يكن جودك على هذا
المثال من الإحكام، ما كان لائقاً بك يا ذا الجلال والإكرام.

فيض [١٥]

القوابل السفليّة والموادّ، مختلفة في مراتب القوّة والاستعداد، والنفوس
الأرضيّة، والصور، متفاوتة في اللطافة والكدر، مترتبة في القرب والبعد من
الخالق الأكبر، والعدل هو تسوية الموادّ والأشباح بحسب الصور والأرواح.
فالرحمة الإلهيّة والعناية الربّانية أعطت كلّ ذي حقّ حقّه، وأفاضت على كلّ^(٣)
ذي قابل ما استحقّه^(٤)؛ كالشمس تفيض أنوارها على المقابلات القابلات
لأنّارها بلا بخل وتفتير ولا قصور وتفتير^(٥)؛ ثمّ تسقى^(٦) بماء واحد هو ماء بحر

(٤) دا ٢، ميج ٢، م ٢، ل: مستحقّه.

(٥) أس ١: ولا تفتير.

(٦) نسخه ها جز أس ١١: يسقى.

(١) أس ١: الفكر.

(٢) أس: الدوام.

(٣) أس ١: - على.

الجود^(١) المسجور وحياء عين الوجود الطهور، الذي لن يبرح من اسكوب^(٢) الفضل سائلاً مانلاً، ومن^(٣) منبع الجود والعدل طائلاً نائلاً ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ﴾ ^(١١) وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ^(١٢) ﴿١٢﴾^(٤)، أي ماء الفواعل العلوية، وماء القوابل السفلية، لتولد أنواع الصنائع، وأجناس البدائع. فلو كانت لمادة البصل قوة قبول الزعفران، ولحامل صورة الدفلى احتمال هيئة الأقحوان، لما ترك الواهب الأشرف الأفضل^(٥)، وما فاض عليهما الدفلى والبصل. بل خالق القوى والقدر، يقتضي^(٦) نظام الوجود على أفضل ما يمكن ويقدر، فلا تحسب عين الجود^(٧) والكرم وينبوع الوجود والقدم غائرة، بل تفور فائرة. وكيف^(٨) يضمن بالشيء النزر اليسير، من^(٩) الذي سيان عنده القليل والكثير. ولا يختلجن في صدرك أن البصل لم يكن^(١٠) زعفراناً، والقبصوم ضيمراناً^(١١)، والوهم عقلاً، والجاهل الظالم عالماً عدلاً^(١٢)، والشرير خيراً^(١٣)، والأبله نحريراً؛ إذ لو كان كذلك، لاضطرّ السلطان إلى صنعة الكنس، والحكيم المتأله إلى مباشرة الرجس، فإذا تحقق تنوع الاستعدادات^(١٤)، وتبين^(١٥) تباين الصور والأرواح في الدرجات فأعظم السعادات لأجود الاستعدادات. فتفاوت أفراد الإنسان في الشرف والنقصان إنما هو لاختلاف القوابل والمواد ودرجات القوة والاستعداد. والفاعل الحق والجواد المطلق ينشعب^(١٦) عنه كل أثر، وما أمره ﴿إِلَّا وَحْدَةٌ كُلُّهَا بِالبَصَرِ﴾^(١٧)، فسبحان من تنزه عن الفحشاء، وسبحان من لا يجري في ملكه إلا ما يشاء.

- | | |
|---|------------------------------------|
| (١) آس ١: جود/ ب: - الجود. | (٢) آس ١، مر، مس: اسلوب. |
| (٣) دا ٢: - من. | (٤) سورة قمر (٥٤)، آيتان: ١١ و ١٢. |
| (٥) ل: والأفضل. | (٦) مع ١: تقتضي. |
| (٧) ل: عين الوجود. | (٨) دا ٢: كيف. |
| (٩) مع ٢، م ٢: - من. | (١٠) م ٢: لو لم يكن. |
| (١١) آس ١، مع ٢، ل، مر: ضيمران/ دا ١ حاشية: الضيمران من ريحان البر والمكان الفارسي. ل: زير خيصوم لادن وزير ضيمران، ريحان آورده اند. | (١٢) مع ١، م ١، ل: خيراً. |
| (١٤) ل: الاستعدادات. | (١٥) م ١: فتبين. |
| (١٦) مع ٢، م ٢: ينبعث. | (١٧) سورة قمر (٥٤)، آية: ٥٠. |

فيض [١٦]

دأب الرحمة الإلهية، وسنة العناية الربانية، أن لا يمنع^(١) أمراً ضرورياً يحتاج إليه الأشخاص بحسب الطباع، ولا يبخل لشيء^(٢) نافع في مصالح الأنواع^(٣). بل هو ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾^(٤) فهدى، وأعطى لكل حي حقه فلم يتركه سدى، فلا جرم بنى للإنسان^(٥)، من المواد العنصرية بالوسائط النورية، هياكل كاملة البنيان مستوى الأركان على أفضل أنحاء وأتم استواء، ليكون^(٦) منازل للأرواح البشرية وحبائل^(٧) لاصطياد^(٨) العلوم التصديقية والتصورية. وفتح في هذه^(٩) الهياكل أبواباً شتى ومنافذ تترى، بعضها ينفذ^(١٠) إلى عالم الحس كالمشاعر الجلية، وبعضها ينفذ^(١١) إلى عالم المثل كالمدارك^(١٢) الخفية. وجعل على^(١٣) كل باب من هذه الأبواب قوة تدرك^(١٤) النفس نوعاً من الحقائق عند استعلامها، وآلة تنال^(١٥) شطراً من العجائب في استخدامها. وللنفس في ذاتها باب تنفذ به^(١٦) إلى عالم الملكوت، وتخرج منه إلى فضاء الجبروت؛ فإذا حصلت من هذه القوى والآلات مبادئ علومها من الأوائل والبدهيّات، ورغبتا تركيبات حذية أو رسميّة، وألفتها تأليفات اقترانية واستثنائية، اقتنصت^(١٧) النظريات من الأوليات، وانتقلت من الحسيّات إلى العقليّات،

(١) آس ١، مر: تمنع. (٢) ل: بشيء.

(٣) مج ٢، م ١، م ٢، ل: أنواع/ دا ١: الأعمال.

(٤) سورة طه (٢٠)، آية: ٥٠. (٥) آس ١: الإنسان.

(٦) مج ٢: ليكوم. (٧) آس ١: خبائل.

(٨) ل: الاصطياد. ر. ك: رسالة تصور وتصديق، ترجمه وشرح دكتور حائري يزدي.

(٩) آس ١: مر: لهله. (١٠) آس ١: تنفذ.

(١١) آس: تنفذ. (١٢) مج ٢: كالمدارس.

(١٣) مر: - على. (١٤) مج ٢: يدرك.

(١٥) مج ٢: ينال. (١٦) مج ٢: - به.

(١٧) نسخه ها جز ١، دا ٢، ل: اقتنصت.

مستعينة^(١) - في انحفاظها^(٢) عن الغلط في الأفكار والخطأ الحاصل من تعلّقها بعالم الهبولى - بألة مستمارة بالميزان^(٣) الذي يُعَيَّر به نقد البراهين^(٤) من زيفها، ويوزن به^(٥) مناقيل الأدلة من ميلها وحيفها، عند صيرفّي العقل الهادي إلى أصول الرأي وفروع النقل. فإذا جمعت^(٦) مع ذكائها^(٧) في العلم تعديلها في العمل، وأزاحت عن ذاتها أمراض الرذائل والعلل، فقد فارقت صورتها القوابل وشاكلت العقول الأوائل، في الإحاطة بالعقليّات والتجرّد عن الأجسام^(٨) والسفليّات.

فيض [١٧]

إنّ الإنسان لمنقسم^(٩) إلى سرّ وعلن، ونفس وبدن. أمّا نفسه فجوهر^(١٠) ربانيّ وسرّ سببحانيّ ولطيفة ملكوتيّة وشعلة^(١١) لاهوتيّة وكلمة روحانيّة وخلق ربانيّ وفعل غير زمانيّ ولا مكانيّ. بل الحرف^(١٢) المكتوب بالكاف والنون والأمر الوارد من مثال ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١٣)؛ وهو فعله الذي فعله بذاته، وأوجده^(١٤) بكلماته، وكلماته موجودة في مصنوعاته مسطورة في أرضه وسماواته^(١٥)؛ بها يتأمل الناظر إليها الواقف الحقّ القويم، ويعاين الصراط المستقيم. فتأمل هذا الكتاب المملوء^(١٦) من العلوم. وانظر إلى هذا الصراط الممدود بين الجنة والجحيم، لعلّك تنتبه^(١٧) من نوم الغفلة في مرقد الدنيا،

- | | |
|--|--|
| (١) مج ١، مج ٢، آس ١: مستغينة. | (٢) ل: انخفاضها. |
| (٣) آس ١: بميزان. | (٤) آس ١: يعتريه فقد البراهين. |
| (٥) دا ٢: - به. | (٦) آس ١: اجتمعت. |
| (٧) دا ٢: ذكائها. | (٨) مج ٢، م ٢: الأجرام. |
| (٩) دا ٢: منقسم. | (١٠) ل، آس ١، آس ٢: + إلهيّ. |
| (١١) دا ٢: شغلة. | (١٢) مج ٢: الحروف. |
| (١٣) سورة آل عمران (٣)، آية: ٤٧ / سورة بقره (٢)، آية: ١١٧ / سورة فصلت (٤١)، آية: ٦٨. | |
| (١٤) مج ١: أوجد / دا ٢: أوجده. | (١٥) آس ١ (متن): سماء (حاشية): سماوات. |
| (١٦) ل: الملو. | (١٧) مج ٢: يتبه / دا ٢: تنبه. |

فتنجو^(١) من ظلمات بحر الهول، وتنفك من أسر الطبيعة الظلماء وقواها المظلمة الوحشاء، وترقى^(٢) إلى المحلّ الفاخر والمكان الطاهر، بحيث لا يلحقك الفساد ولا تحنّ^(٣) إلى دار الأجساد. وأما بدنه فهو هذا الهيكل المركّب تراكيّب^(٤) السفينة، بها يقطع بحر الجسمانيّات، ويعبر إلى إقليم الروحانيّات، حدّق بصيرة فؤادك، وبرّق سويداء سوادك، إلى هذا الزبر المرموز، والسرّ المكنوز^(٥). فتبّاً لمن ظنّ^(٦) - من أصحاب الجدل^(٧) المتوسّمين بعلم الأصول المترسّمين بتمهيد القواعد والأصول - أنّ الإنسان هو هذا الهيكل المحسوس المنقوش والبدن المتخلخل «المنقوش» لا غير، زعماً منهم أن ليس لله عالم آخر وراء هذه الأجسام الدنيّة^(٨)، وليس له خلائق غير هذه الديدان والحيوانات العفنة. وكلا القولين زيغ عن الصواب، مستهدف^(٩) لسهام^(١٠) العتاب. بل الحقّ أنّ في الوجود عالماً آخر وفيه خلائق روحانيين، وأشخاصاً^(١١) إلهيين، إليهم رجى أنفس الناس إذا ظهرت عن الأدناس والأرجاس.

فيض [٨]

الإدراك على قسمين: مشهور ومستور. فالمشهور حسّي والمستور نفسي. والحسّي متى وقع^(١٢) فيه الازدياد، تضاعف له الضعف والفساد. والنفسي متى توافرت أمداده^(١٣) وأعداده، تكاثرت عدّة العقل وعتاده، وما فيهما إلّا مناسب ما كان عنه صادراً. فالحسّي ظلاماً خائراً، والنفسي ضياءً باهراً، لأنّ أحدهما سُلالة الصور المجردة، والآخر سُلالة الأجسام المكثّرة المغيرة^(١٤). فكمال

-
- (١) م ٢: فتنجوا. (٢) ل: ترقا.
 (٣) آس ٢: ولا يجري/ دا ١، دا ٢، مج ٢، ل، آس: ولا يحنّ/ مر: ولا تجي..
 (٤) آس ٢: تركيب. (٥) دا ٢، مج ١: المكنون.
 (٦) دا ٢: - ظنّ. (٧) دا ٢: الجدل.
 (٨) آس ٢: الدنيّة. (٩) ل، آس ٢: مستهدم.
 (١٠) آس ٢: سهام. (١١) آس ١، آس ٢: اشخاص.
 (١٢) دا ٢، مج ٢، م ٢، آس ١، مر، مس، آس ٢: وقعت.
 (١٣) آس ١، مر: ابداده. (١٤) مس: المغيرة/ آس: المعيرة.

النفس اتّصالها بالقدس وانتقاشها بهيئة الوجود الفائضة عن المبدأ المعبود. فكلّ ما كان تابعاً للهيولي بحال، يجب شخّ النفس منه على أميال، حتى تتصل^(١) بالمقلّ الفعال، وتتخلّص^(٢) عن التغيّر والزوال. إذ بانفصالها عن الهيولي تصير^(٣) من المكاره ناجياً، وتحلّ داراً يكون^(٤) للأبرار مناجياً، وهي الآن وإن لم تكن^(٥) في الهيولي بمحصور، إلّا أنّها من عشق توابعها كمأسور، فإذا فارقَتْ منها وفازت^(٦) بالخلاص، اتّصلت بسعادة الصور المصاص، وهي كما علمت من التجسّم بالبعد، بعيدة من الهيولي والضدّ، فنالت الفوز بالسعادة المؤبّدة، بإذن ربّ الصور المجرّدة، فاتّصالها بالعالم الروحاني والمعدن النوراني من أعزّ المطالب وأعظمها وأشرف المآرب وأفقمها^(٧)، من جهة أنّه عالم المعاد، لأنّه مسقط الميلاد، إليه رجعى نفوسنا الطاهرات وعقولنا الزاهرات. كما في الكتاب العزيز: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾^(٨)، فَإِنَّ ﴿وَالطَّيِّبَاتِ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾^(٩). والآنفس^(١٠) الخبيثة المغموسة في بحر الطبيعة رؤوسها منكوسة، أعينها مطموسة، أرواحها محبوسة حيث غمست، أشباحها مكبوسة أينما قمست^(١١)، فَإِنَّ ﴿الْخَبِيثَاتِ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾^(١٢).

فيض [١٩]

النفس الإنسانية لها قوى ومشاعر، وحواسّ ومدارك بواطن^(١٤) وظواهر. ويرشدك إلى انحصار المشاعر الباطنية في مدرك الصور الجليّة ومدرك المعاني

(١) ل: اتصل / دا ١، دا ٢، مج ٢، م ٢، مر: يتصل.

(٢) دا ١، دا ٢، مج ٢، م ٢، ل: مر: يتخلّص.

(٣) دا ٢: بصير / دا ١، مج ٢، م ٢، ل: مس، آس ٢، مر: بصير.

(٤) م ١، ل: مس. مس: تكون. (٥) نسخه ها جز آس ٢: يكن.

(٦) آس ١، آس ٢، مر: فاضت. (٧) ل: أفقها.

(٨) سورة فاطر (٣٥)، آية: ١٠. (٩) سورة نور (٢٤)، آية: ٢٦.

(١٠) مع ١: والنفس. (١١) ل: قمشت.

(١٢) اس: وإن. (١٣) سورة نور (٢٤)، آية: ٢٦.

(١٤) ل: وبواطن.

الخفية - كما هو مشهور وفي الكتب مسطور -، انحصار المحسوس في الصور والمعاني في العالم الهيولاني، ولألا لزم تعطل شيء في سوق الطبيعة وكساده، لكن ذلك معلوم فساد، فإن الجواد الذي أعطى كل شيء خلقه، كما لا يبخل بشيء عن مستحقة، لأن ذاته ينبوع الخير والرحمة والفيض والنعمة، وكيف يشح بإفاضة الذرات الدائرة في ضوء الشمس من يكون^(١) قرص الشمس ورغيف القمر من أقراص تنور^(٢) نوره. والنار الكبرى في مقعر الفلك شعلة من بحر مسجوره، فذلك لا يبذر بالإعطاء والإفادة والإفاضة والإجابة: ﴿إِنَّ الْبُذُرَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾^(٣) بل إحسانه بالكرم^(٤) وامتنانه بالفضل، إنما هو بالقسط والعدل.

فيض [٢٠]

مواضع جميع الحواس يجب أن تكون واقعة في الرأس، إذ موضعها من البدن موضع قلّة ناتئة، على قلعة عالية. وحرّاس القلاع يجب أن تكون^(٥) مشرفة عليها للصيانة والاطّلاع، كما قالت الحكماء: «الرأس صومعة الحواس»، إلا الحسّ اللمسي^(٦) المبتوث^(٧) في جملة البدن، المعرض للآفات والميخن، لحكمة جليلة خفية على بصائر كليّة.

فيض [٢١]

حامل جميع قوى^(٨) النفس الإنساني وخليفتها هو الروح البخاري الحيواني المنبعثة عن صفو الأخلاط أو لطافتها، انبعاث الأعضاء من كدر^(٩) الأخلاط وكثافتها، ينبوعها القلب الصنوبري الشكل المخروطي الهيكل. ومن ثمّ

(١) ل: تكون.

(٢) آس ١، آس ٢: ينور نوره/ مر ٢: حوره نوره.

(٣) سورة اسراء (١٧)، آية: ٢٧. (٤) آس ٢: - بالكرم.

(٥) مع ٢، آس ٢، مر ٢: تجب أن تكون، دا ١، دا ٢، مع ١، م ١، م ٢، ل: يجب أن يكون.

(٦) ل: الحسّ المبني. (٧) آس ١، آس ٢: المبتوث.

(٨) آس ١، آس ٢، ل: القوى. (٩) مع ٢: أكدر.

يتوزع^(١) على المواضع العالية والمسافة وينقسم^(٢) إلى النفسانية الصاعدة والطبيعية^(٣) الكبدية النازلة. وكل موضع يفيض إليه من سلطان نوره فهو حي، وإلا فليس من الحس والحركة في شيء. واعتبر بالسُّدِّ الواقعة في المجاري والأعصاب، كيف يورث الفلج والصرع كما يؤدي قلته إلى الماخوليا والاضطراب. وهذه الروح أحد موضوعات الطب الطبيعي الجسماني، كما أن^(٤) النفس الناطقة أحد موضوعات^(٥) الطب الإلهي الروحاني، الذي يبحث عنه الأنبياء والرسل المؤيدون بالوحي والإلهام، كما كانت الأطباء ممتحنين بالبحث والحدس التام^(٦). ومن هاهنا قيل تقريباً إلى أفهام المستعدين للمعرفة والإيقان: «إن الأنبياء أطباء النفوس، كما أن الأطباء أنبياء الأبدان». ونقل أيضاً من أهل الحكمة والشرعية: «أن النبي خادم للقضاء كما أن الطبيب خادم للطبيعة». فمن هاتين الروحين ينشأ العلم بالعالمين، وتحصل المعرفة بالإقليمين، أعني الملك والملكوت، المبدعين عن الحي الذي لا يموت، وبهذين^(٧) الرجلين قام العلمان، وانتصب العلمان: علم الطب الذي هو علم الأبدان، وعلم الإلهيات الذي هو علم الأديان. فالروح الجسمانية^(٨)، هي مطية تصرفات النفس الإنسانية الدراكة الفعالة^(٩)؛ بإذن واهبها، من الله مشرقها، وإلى الله مغربها، فتصرف بها في البدن البالية الفانية، ما دات لتصرفاتها باقية. فإذا انقطع قبوله لها خلت، ولخراب البيت^(١٠) ارتحلت. كما نظمه بعض^(١١) الفرس^(١٢):

جان قصد رحيل کرد گفتم: بمر و^(١٣) گفتا: چکنم خانه فرو می آید^(١٤)

(١) آس ٢: تتوزع.

(٣) دا ٢، ل، آس ١، مس، مر: والطبيعة. (٤) ل: كأن.

(٥) مر: موضوعات. (٦) ل: التمام.

(٧) دا ١، دا ٢: بهاتين. (٨) مر، مس: الجسماني.

(٩) مر: الفعالية. (١٠) آس: لخراب البدن.

(١١) آس ٢: + لي.

(١٢) آس ٢، آس ١، مس، مر، ميج ١، ميج ٢، مر ١، مر ٢ + شعر.

(١٣) آس: كه مرو.

(١٤) لوهنگ ايران زمين، ج ١٣، ص ٣١٥ ابن شعر را جزو كتاب خطي خيام ذكر کرده است.

فيض [٢٢]

إذا تحققت ما سردنا عليك، وفهمت ما ألقينا إليك، ووقفت على بعض الأسرار^(١) الحكيمية والحقائق العلمية في كيفية تدبير النفس للبدن، مع أن البدن كالثقل الكثيف^(٢) والنفس كالنور اللطيف. فكيف حصل بينهما إلف التدبير والتصرف وعشق المقارنة والاتفاق وألم المفارقة والافتراق، وكيف^(٣) يتصور الازدواج بين الظلمة والنور والحزن والسرور، والائتلاف بين العلوي الذي قال الله تعالى في شأنه تعظيماً لمكانه ﴿رَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾^(٤)، ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي عِتَابٍ﴾^(٥) والسفلي المشار إليها بقوله: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾^(٦)، إذ بينهما من المنافرة والمضادة في الماهية ما لا يخفى على أولي الفهم والروية. فتلطف الباري تعالى^(٧) بحكمته التامة، وأنعم بحسن عنايته العامة، بأن خلق من مادة النطفة البدن الكثيف، ومن لطافته القلب اللطيف، ومن صفو القلب الروح النابعة فيه^(٨)، التي هي في اللطافة والصفاء كالأفلاك، البعيدة عن الاختلاف الموجب للفساد والهلاك، وهيأها لاستيکار^(٩) النفس الناطقة واستعشاشها، تكميلاً لصلاح معادها ومعاشها، التي هي شعلة ملكوتية فائضة من نور الأنوار، فيضان النور من الشمس على الأبصار، من غير أن ينتقص شيء^(١٠) من الواهب الحي؛ وإذ تصوّرت بحسبك اشتعال الذبال المستعدة لقبول صورة النار من النار الشبيهة بالعقل الفعال، فتصوّر بحدسك^(١١) التهاب فتيلة النطفة المستعدة بواسطة زيت الروح الحيوانية، التي «يكاد يضيء ولو لم تمسه نار»^(١٢) لقبول النفس الإنسانية، التي هي شواظ من نيران ملكوتية، من واهبها الذي هو نور الأنوار

(٢) آس ٢: التنظيف.

(١) آس، آس ٢: أسرار.

(٤) سورة مريم (١٩)، آية: ٥٧.

(٣) دا آس، مس، آس ٢، مر: فكيف.

(٦) سورة مطففين (٨٣)، آية: ٧.

(٥) سورة مطففين (٨٣)، آية: ١٨.

(٨) م ١: إليه / ل: التابعة فيه.

(٧) مع ٢، م ٢: - تعالى.

(١٠) ل: سر.

(٩) ل: لاستيکار.

(١١) دا ٢: بحسبك.

(١٢) القياس از سورة (٢٤)، آية: ٣٥: «يكاد زينها يضيء ولو لم تمسه نار».

اللاهوتية. وهذا القدر من الحكمة والمعرفة مَذَقَةٌ من ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَةٍ﴾^(١) وهلالٌ من بدور سائرات، يُشْبِعُكَ وَيُرْوِيكَ، وَيُبْصِرُكَ وَيُقْوِيكَ، وَيُغْنِيكَ عن الإطنابات المذكورة في شرحها في المبسوطات.

فيض [٢٣]

دع الرَّاغِبِينَ في صحبتك والذَّاهِبِينَ إلى منادمتك والتعلّم من إفادتك؛ فليس ذلك منهم مالٌ، ولا يحصل فيك^(٢) بهم حال ولا جمالٌ، ولا يدفع بمجالستهم منك ملالٌ ولا كلالٌ. واعلم أنّ إخوان الجهر أعداء السرّ، وأولياء الجلوة^(٣) خُصماء الخلوة. إذا لقوك تملّقوك^(٤)، وإذا غبت عنهم سلقوك. من أتاكَ منهم كان عليك رقيباً، وإذا خرج عنك كان عليك خطيباً، أهل نفاق ونميمة، وأصحاب غلٍّ وخديعة، لا تغترّ^(٥) باجتماعهم عليك واحتشادهم لديك، فما غرضهم العلم والحال، بل الجاه والمال، وأن يتخذوك سُلماً إلى أوطارهم وحماراً في حمل أثقالهم وأوزارهم. إن قصّرت في غرضٍ من أغراضهم، كانوا أشدّ أعوان^(٦) عليك، ويرون تردّدهم إليك حقّاً واجباً لديك. ويتوقّعون منك أن تبذل عرضك ودينك لهم: فتعادي عدوّهم، وتنصر قرينهم وخليلهم، وتنتهض^(٧) لهم سفيهاً، وقد كنت فقيهاً، وتكون لهم تابِعاً خسيساً بعد أن كنت متبوعاً رئيساً. ولذلك قيل^(٨): «اعتزال العامّة مروءة تامّة». وهو قولٌ حقٌّ، وكلامٌ صدق، فإنّا نرى المدرّسين في زماننا كأنّهم في رُقٍّ دائمٍ وتحت حقٍّ لازمٍ ومثّةٍ ثقيلةٍ ممّن يتردّد إليه، فكأنّه يهدي تحفةً لديه، ويلقي حقّاً^(٩) واجباً عليه؛ وربّما لا يختلف إليه في الأدوار ما لم يتكفّل برزق له على الإدرار. ثمّ المدرّس المسكين والمولى الضعيف الدين لعجزه عن القيام بذلك من ماله، لا يزال يتردّد

- | | |
|-----------------------------|-----------------------------------|
| (١) سورة سبا (٣٤)، آية: ١٣. | (٦) آس ١: أعواناً. |
| (٢) ل: لك. | (٧) مج ٢: ينتهض. |
| (٣) دا ٢: الخلوة. | (٨) م ١: ولذا قيل / ل: ولذلك قبل. |
| (٤) مج ٢: بملّقوك. | (٩) آس ١: - حقّاً. |
| (٥) ل: لا تعتر. | |

إلى أبواب السلاطين، ويقاسي الذل والشدائد مقاساة الذليل المهين، حتى يكتب له^(١) بعد الإبرام التمام، على بعض وجوه الشحت بمال حرام^(٢). ثم يبقى في مقاساة القسمة على الأصحاب، والتوزيع على الطلاب: إن^(٣) سوى بينهم مقتته المبرزون^(٤)، ونسبوه إلى الحمق والجهالة والظلم والضلالة^(٥) والقصور عن درك مصارف الفضل والفتور عن القيام في مقادير الحقوق بالعدل؛ وإن فاوت^(٦) بينهم سلقه السفهاء بالسنة حداد، وثاروا عليه ثوران الأسود والآساد. فلا يزال^(٧) في مقاساتهم في الدنيا، وفي مظالم ما يأخذه ويفرقه^(٨) في العقبي. والعجب أنه مع البلاء كله والذاء جلّه تُمنّي نفسه العثور، وتُدليّه^(٩) بحبل الغرور أن في ما يفعله مريد وجه الله ومذيع شرع رسول الله^(١٠) وناشر علم دين الله، والقائم بكفاية طلاب العلم من عباد الله. لو لم يكن ضحكة للشيطان وسخرة لأعوان السلطان، لعلم بأدنى تأمل أن فساد الزمان لا سبب له إلا كثرة أمثال أولئك الفقهاء المحدثين^(١١) المحدثين في هذا الأوان، الذين يأكلون ما يجدون^(١٢) من الحلال والحرام، ويفسدون عقائد العوام باستجرائهم على المعاصي اقتداءً بهم واقتفاءً لأثارهم. فنعوذ بالله من الغرور والعمى، فإنه الذاء الذي ليس له دواء.

فيض [٢٤]

فالعالم ينقسم إلى عالمين، ويدور على قطبين هما منشأ الإقليمين: أحدهما القطب الجنوبي الذي يليه إقليم الملكوت الفائض من المبدع الحي الذي لا يموت. وأصحابه أصحاب اليمين، في سدر مخضود وطلح منضود^(١٣). والآخر

-
- (١) مع ١ - له / : تكتب له.
 (٢) آس ٢ : الحرام.
 (٣) ل : - ان.
 (٤) آس ٢ : المبدرون.
 (٥) ل : والظلاله.
 (٦) ل : فادت.
 (٧) ل : زال.
 (٨) ل : تفرقة.
 (٩) آس ١، آس ٢ : تدليله / مس : تدليسه.
 (١٠) دا ٢ : + صلى الله.
 (١١) همه نسخه ما جز ١١ : - المحدثين.
 (١٢) مع ٢ : ما يجدوا.
 (١٣) اقتباس از سورة واقعه (٥٦)، آيات : ٢٧، ٢٨ و ٢٩.

القطب الشمالي الذي يلبه إقليم ذوات الأجساد، المتوقفة الوجود^(١) على المادة والاستعداد^(٢). وأصحابه ﴿أَصْحَابُ الْمَالِ﴾^(٣)، تنالهم في المال وخامة العاقبة وسوء الحال، والاحتراق بنار القطيعة^(٤) والوبال، ﴿فِي سَوْرٍ وَجِيمٍ﴾^(٥) وظل من يَتَوَّجُ^(٦). وإلى كلا^(٧) العالمين ومجموع الإقليمين أشير بقول المبدع الخلاق: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾^(٨). ولكل من العالمين مشرق بدأ منه صبح أنواره، ومغرب ينتهي إليه نهاره.

فأما مشرق عالم الروحانيات فهو الموجود الأول وعلة العلل، عز سلطانه، وبهر برهانه. إذ من شمس عظمته انشق عمود غسق العدميات، واستبان شفق الوجود منتشراً في أهوية الهويات. ومن نور كبريائه انفلق بحر غياهب اللبسيات، واستنار نور صبح الجود من ماهية الأيسيات، فسبحان فالق الأصباح، ورب صباح الأرواح بنور الوجود، وإفاضة الجود. وأما مغربه فحيث ينتهي تلك الأنوار السارية، وهو النفس الناطقة البشرية. وأما مغربه فحيث ينتهي تلك الأنوار السارية، وهو النفس الناطقة البشرية، وأما مشرق عالم الجسمانيات فمن حيث تنكشف^(٩) تلك الأنوار وتتجسم^(١٠)، وتتكدّر^(١١) وتتجرّم، وهو السماء الأولى، و﴿سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى﴾^(١٢)، لكونه نهاية عالم الأرواح، وبداءة عالم الأشباح. وأما مغربه فحيث أكشف الأجسام الهاوية، وأكدر الأجرام النائية، فسبحان ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾^(١٣).

ثم لا يزال بمتزج هذه الأسطقسات والأركان إلى أن تنتهي آخر الأمر بيدن

(١) دا ٢: الجود/ ل: - الوجود.

(٢) مس: - وأصحابه أصحاب اليمين... والاستعداد.

(٣) سورة واقعه (٥٦)، آية: ٤١. (٤) آس ١، آس ٢: قطيعة.

(٥) سورة واقعه (٥٦)، آيات: ٤٢ و ٤٣. (٦) دا ١، مر: كلى.

(٧) سورة نحل (١٦)، آية: ٩٦.

(٨) مج ٧، م ١: ينكشف/ مس، ل: ينكشف/ آس ٢، مر: تنكشف.

(٩) مج ٢، ل: يتجسم. (١٠) مج ١، مج ٢، م ١: تنكدر.

(١١) سورة نجم (٥٣)، آية: ١٤. (١٢) سورة الرحمن (٥٥)، آية: ١٧.

الإنسان، ولا يزال بدنه يتصقّف ويتوحد، ويتنقّى ويردّد، حتّى ينتهي بروحه التي هي جسم لطيف، ينبعث^(١) من القلب في الأيسر من التجويف، وهي تشابه^(٢) جرم الفلك في صفاته ونقائه، ونوره وضيائه، وبعده عن التضاد المنشأ للفساد، فتصير^(٣) مرآة للنفس الناطقة، بها يدرك الوجود كلّ على هيئته ونقشه، وصورته^(٤) ورقشه، كلياً و^(٥)جزئياً. أمّا كليّاته ففي ذاته^(٦) العلّية، وأمّا جزئياته ففي تلك المرآة الجليّة. فإذا في الإنسان شيء كالملك، وشيء كالفلك. فمن حيث اعتدال مزاجه وعدم الأضداد، فقد شابه السبع الشداد، ومن حيث مفارقة صورته القوابل، يشاكل العلل الأوائل، فانظر إلى إتقان^(٧) حكمة المبدع كيف بدأ بالوجود من الأشرف فالأشرف حتّى اختتم بالأجسام، وافتتح بالأخس فالأخس حتّى انتهى إلى الأرض في الاختتام. ثم فتح فاتحة أخرى للإخلاص، بتنهيب ذهب الخلاص، وعكس الترتيب الأوّل من الأخس فالأخس، إلى النفس فالأنفس، حتّى بلغ به إلى أرواح هي كالأفلاك، ونفوس هي كالأملاك، إلى أن وصل إلى نفس خاتم الرّسل، وهادي السبّل، التي تشبه العقل الأوّل. والله سبحانه هو المبدأ والمنتهى، في البداية والرّجعى.

فيض [٢٥]

الإنسان وإن عُجِنَ من الصّلصال وابتليّ بالحمل والفصال، والطين لا يصفو بالضرورة، والحمأ المسنون لا يخلو^(٨) من الظلمة والكدورة؛ وكثرت عند جوهر النّير الأعطية والأغشية، وانبعثت^(٩) منه الدّواعي والأهوية، لكن إذا فضّله ربّه تفضيلاً، وعلمّه الأشياء جملةً وتفصيلاً، واختار البعد عن الشهوة والغضب، وقهر تشويشها^(١٠) بالعقل المهدّب، كان إلى نعيم الأبد ميثاقه^(١١) إذا خلّي عنه

(٧) م ١، ل: إيقان.

(٨) مع ٢، م ٢: لا يخ.

(٩) مع ٢، م ٢، ل: وانبعث.

(١٠) آس ٢: تشويشاً.

(١١) آس ٢: مشتاقه.

(١) آس ٢: تبعث.

(٢) م ١: شاه/ آس ٢: يشابه.

(٣) م ١٢، مع ٢، آس ٢: فبصير.

(٤) ل: صورة.

(٥) مع ١، م ١، ل: أر.

(٦) ل: فانها.

وثاقه، وإلى عالم السَّرمَد اشتياقه إذا حصل عن المادة افتراقه. فلا تُبالِ أنت بالموت، فإنَّك لا تموت ولا تفنى، كما قال تعالى: خلقتك للبقاء^(١) بل تنقلب من دارك، وتنساب إلى دار قرارك. بل الذي يُروِّعك^(٢) أثقالك الباقية بعدك، وأحمالك المفقودة من عندك، فاطرح وافرح، وقد قال عليه السلام: «نجا^(٣) المُخَفُّونَ، وهلك المُثَقَّلُونَ»^(٤)، هَوْنٌ على نفسك سكراته وغمراته، تتصوَّر^(٥) لقاء ربك ومرضاته، حُطَّ أوزارَ قفصِكَ وطرَّ طيرَانَا، وشَمَّرَ إزارَكَ وسير سيرانَا، وإلا فتَهوي في مكانٍ سحيق، وفجَّ غامر عميق^(٦) ونعم ما قال الشعراء^(٧):

تا چند زجان مستمند اندیشی تا کی زجهان پرگزند اندیشی
آنچه از تو توان ستد همین کالبد است یک مزبله گو مباش چند اندیشی^(٨)

فيض [٢٦]

النفس وإن كانت شديدة التوجّه إلى الطّبيعة وأوزارها، كثيرة التلوث إلى المادّة وأقذارها، إلّا أنّها بسنّخها^(٩) من عالم نوراني^(١٠)، وبجوهرها^(١١) من محلّ روحانيّ هو دار الوجود وأثر عين الخير والوجود، المجرّد عن ممازجة الموادّ وملازمة الفساد. فهي بحسب جوهرها شديدة الشرّ^(١٢) بالعود إلى المحلّ^(١٣) المعتاد، الذي يتحقّق به المعاد. فإذا^(١٤) انقشع عنها غيم غموم

(١) حديث قدسي. (٢) ل: يردعك.

(٣) دا ١، مج ٢، م ٢: نجى.

(٤) ل: المنقلبون حديث، ابن اثير، ج ١، ص ٣٤٣. المخفون: تندرونندگان، دوندگان.

(٥) مج ٢، م ٢، ل: بتصور.

(٦) اقتباس از سورة حج (٢٢)، آية: ٢٧: يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ.

(٧) مج ٢، م ٢: شعرا شعرا / م ١: شعرا فارسية.

(٨) فرهنگ ایران زمین، ج ١٣، ص ٣٢٠ به سنائی منسوب کرده است؟

(٩) آس ٢: سنّخها. (١٠) آس ٢: للنوراني.

(١١) آس ٢: جوهرها. (١٢) دا ٢: الشرّة / ل: الشر.

(١٣) ل: محل. (١٤) دا ٢: فاذا.

المُهْلِكَات، وارتفع عنها سحاب^(١) سموم المُتَلِفَات من المَلَكَات، أصبحت ظاهرة^(٢) بعد البدن غير دائرة بطول الزمن مرتقية من هبوط الأشباح إلى^(٣) شرف الأرواح، صاعدة من حضيض السفليين إلى أوج العوالي العلّيين، فظفرت بالمقصود، ووصلت إلى حضرة المعبود، وعانت الجمال الأحدي، وفازت بالوصول السرمدي. وقد يَشْكُ في بقاء النفس الإنسانية من يتمنى الخلود في هذه الخبرة القذرة، ويرجوا البقاء في هذه المدرة^(٤) الكدرة^(٥)، يطمع في حطامها، ولا يقنع إلا بتمامها، ﴿قَدْ يَسُؤُا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبِيسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾^(٦). فلهذا يودّون الإقامة ويكرهون العبور. كلاً بل يحبّون^(٧) العاجلة وشرورها، ويذرون الآخرة وسرورها، والأعين الناضرة والوجوه الناضرة^(٨). شعر^(٩):

عُيُونٌ مِنْ لُجَينٍ نَاطِرَاتٍ كَأَنَّ جُفُونَهَا ذَهَبٌ سَبِيكٌ
عَلَى قَصَبِ الزَّبْرِجَدِ شَاهِدَاتٌ بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ
رَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأْنَنُوا بِهَا، واجتهدوا ليلاً ونهاراً في طلبها مع علمهم بأنهم سيتركون غداً، ﴿أَبْخَسُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾^(١٠)، نسوا قول الله تعالى حكاية عن الغابرين الذائرين من أصحاب الجحيم: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ وَزُدُّوا مَقَامٍ كَرِيمٍ﴾^(١١).

فيض [٢٧]

قد أشرقت شمسُ اللاهوت على سطوح الأوكار^(١٢)، فخاب من آب إلى

-
- (١) ل، آس ٢: سحاب.
(٢) ل، آس ١: زاهرة.
(٣) آس ٢: على.
(٤) مج ٢، م ٢: الدرة.
(٥) دا ١، دا ٢، مج ١، ل: المكثرة.
(٦) سورة ممتحنة (٦٠)، آية: ١٣.
(٧) ل، آس ٢، مر ٢: تحبون.
(٨) القاسم از سورة قيامه (٧٥)، آيتان: ٢٠ و ٢١.
(٩) ل: حريّة.
(١٠) سورة قيامه (٧٥)، آية: ٣٦.
(١١) سورة دخان (٤٤)، آيتان: ٢٥ و ٢٦.
(١٢) آس ١، آس ٢: الأفكار.

عالم «البوار»^(١). فما هذا العكوف في ظلمات الأجسام، وعبادة الهياكل كالأصنام. فهلُمُّوا إخوان الحقيقة! بالتوجه إلى الباب الأكبر، والإقبال بالكليّة إلى^(٢) الجنب الأنور، فإنّه باب ما خسر طالبه، وجناب ما خاب آبه. فسلام على ذات طهرت من رجس الهيولى وظلمة الجهالات، وخُلصت من غسق الطبيعة وضلال الأوهام والخيالات، قرّبت من مبدئها بقطع مسالك الناسوت، وتجلّى لمرآتها^(٣) قدسُ اللاهوت ساحت^(٤) في أفضية الملكوت، و^(٥) انطبعت في فضها نقوش^(٦) الجبروت، أدركت المعدوم الذي فات، وعلمت المنتظر الذي هو آت، كانت تقرأ مكتوب أسرار الغد من عنوان اليوم، وتقطف^(٧) ثمار الغيب من صنوان النوم، وترى^(٨) موعود الله ناجزاً، ومكنونه بارزاً، تخلّصت عن^(٩) ثقل الأشباح، وفرحت وراحت بخفّة الأرواح، تركت القيود العشرة اللثام، وتبجّحت بصحبة العقول العشرة، الكرام، وهم خلاصة الوجود، المقربون إلى المعبود. فيا واهب الحياة ومحيي الأموات، ومُجري الأفلاك، ومالك الأملاك، خَلّصنا عن الدائرات البائداث، وألحقنا بالزاهرات العائداث.

فيض [٢٨]

أنفع ما ارتاضت به نفسك الشريعة القويمة، فإنّ الجاحدين بها في معزل عن دار السلامة ومعدن الكرامة. وأحقّ ما وجهت له همّك الحكمة المستقيمة. فإنّ المعرضين عنها في حسرة وندامة، ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُونٌ﴾^(١٠)، وقد ﴿رَأَى عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١١)؛ وذلك لتراكم جهالاتها، وكثرة غفلاتها،

(١) مقايسه كنيذ با سورة ابراهيم (١٤)، آية: ٢٨: دار البوار.

(٢) آس ١: علي. (٣) آس ١: لمرآت.

(٤) مج ٢، م ٢: ساحت. (٥) مج ١: أو.

(٦) ل: نقش. (٧) نسخه ها جز «آس ١»: تعطف.

(٨) آس: ويرى. (٩) ل: من.

(١٠) سورة مطففين (٨٣)، آية: ١٥. (١١) سورة مطففين (٨٣)، آية: ١٤.

ورداة أخلاقها وأفعالها، وسوء ملكاتها وأعمالها، فقد حلّ عليها غضب
الجبار، وطُردوا إلى عالم البوار، رُدَّت إلى أسفل السّافلين، وحرمت عليها جنة
العالين^(١)، عمياء عن مشاهدة الأنوار، صمّاء عن سماع أصوات الأبرار. رقاد
مراقد الغفلات، هُجوع مهاجع الجهالات، عواشق غواسق الهيولى، سواك
مسالك الجاهلية الأولى، وإنّما استلذّوا تعب الأجساد واستطابوا، لما ذهلوا عن
طيب النفوس وغابوا، ونعم ما قيل^(٢) في الفارسية: شعر:

بروح من بشوى زنده تات بنمايم كه از چه نوع مرا حظهای روحانیست^(٣)
وإنّما أجاز^(٤) العقل إجراء اسم اللذة على المحسوس^(٥)، لما كانت دالة
على النعيم^(٦) السرمدى المعدّ للنفوس. فازهد يا أخا الحقيقة^(٧) من تلوث
هذه الفانية القذرة، والاهتمام بهذه الشوهای العذرة، لا تُعمر هذه المقبرة
الظلماء، ولا تتوطن في هذه القرية الوحشاء فإن هَمَمْتَ بها ذُقت عذاب
الجحيم، وشربْتَ شرابَ الحميم. فاستعدّ للرحلة والانتقال، وانتفض^(٨)
للخروج عن العلائق والأثقال. فإن فعلت ذلك اختياراً، وإلا خرجت
اضطراً فاجهد في تحصيل ما أشارت إليه^(٩) الأنبياء، وتأمل الكتب^(١٠)
المنزلة من السماء، من الترغيب إلى النعيم، والتخويف عن الجحيم، ومدح
العالم الأعلى النورى وذمّ المنزل الأسفل العنصرى، فلعلك تنبّه^(١١) من نوم
الغفلة، وتستيقظ^(١٢) من رقدة الجهالة. فحتمّ عليك أن تتلافى أمرك^(١٣)، قبل
أن توافى عمرك، فتضرّع بالأسحار إلى عالم الأسرار، لعلك تنجو من
الهلاك، وتتصل بمالك الأملاك.

(٨) آس ٢: وانتفض.

(٩) ل: - إليه.

(١٠) م ١: كتب.

(١١) دا ٢: تنبّه.

(١٢) دا ٢: يستيقظ.

(١٣) آس ٢: مرّك.

(١) آس ١، دا ٢، مج ١: العالمين.

(٢) ل: ما قال.

(٣) آس ٢: حظهاست روحانى.

(٤) آس ٢: أجاد.

(٥) م: المحسوس.

(٦) ل: نعيم.

(٧) آس: في الحقيقة.

بَعْدَ نَفْسِكَ عَنْ مُؤَانَسَةِ أَرْيَابِ الْحِجَالِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الرِّجَالِ، وَلَا تَقْنَعْ بِمَجْرَدِ الْقَبِيلِ وَالْقَالَ عَمَّا يَرِدُ عَلَى قُلُوبِ أَصْحَابِ الْوَجْدِ وَالْحَالِ، فَلَا تَكْتَفِ مِنَ الْعِلْمِ بِالْقَشُورِ، وَلَا تَصْبِرْ بِالْقِرطَاسِ^(١) الْمَنْقُوشِ مِنْ ﴿رَقٍ تَنْشُورٍ﴾^(٢). أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ مِثْلَ الْمُقَلَّدِ بَيْنَ يَدَيِ الْمُحَقِّقِ، كَالضَّرِيرِ عِنْدَ الْبَصِيرِ الْمُحَدِّقِ، وَمِثْلَ الْحَكِيمِ وَالْحَشَوِيِّ، كَالْمُجَاهِدِ^(٣) وَالْحَكْوِيِّ. مَا الْمُقَلَّدُ غَيْرُ الْمُتَأَلِّهِ إِلَّا نِهْرَجَ^(٤) مَغْشُوشَ قِصَارَاهُ لَوْحِ مَنْقُوشٍ، يَقْنَعُ بِظَوَاهِرِ الْكَلِمَاتِ، وَلَا يَعْرِفُ النُّورَ^(٥) مِنَ الظُّلُمَاتِ، يَخْدُمُ ظَوَاهِرَ الْأَلْفَاظِ وَالْمُبَانِي، وَيَحْرَمُ عَنْ بَوَاطِنِ الْحَقَائِقِ وَالْمَعَانِي^(٦)، يَرُوي فِي الدِّينِ عَنْ شَيْخِ هِمٍّ، كَمَنْ يَقُودُهُ أَعْمَى فِي لَيْلٍ مَدْلِهِمْ، كَمَا قِيلَ: «أَخَذُوا عِلْمَهُمْ مَيْتًا عَنْ مَيِّتٍ، وَأَخَذْنَا عِلْمَنَا عَنِ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ». يَظُنُّ أَنَّ الْإِنْسَانَ شَبَحَ وَشَكَلَ، وَأَنَّ الْحَيَاةَ^(٧) شَرَبَ وَأَكَلَ، وَأَنَّ الدِّينَ صَلَاةٌ وَصُومٌ، وَأَنَّ الْعُمُرَ لَيْلٌ وَيَوْمٌ. وَلَا خَبَرَ لَهُ عَنْ يَوْمِ خُلِقَ قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ الْمَعْهُودِ، وَظَهَرَ حَيْثُ لَمْ يَظْهَرِ هَذَا الزَّمَانُ الْمَوْجُودُ، وَذَلِكَ الْيَوْمُ هُوَ الْيَوْمُ الدَّائِمُ الَّذِي لَا لَيْلَ فِيهِ وَلَا ضِيَاءَ، وَلَا صَبَاحَ وَلَا مَسَاءَ. شَغَلُوا بِالدُّنْيَا الدُّنْيَا، وَغَفَلُوا عَنِ الْمَرَحَلَةِ الثَّانِيَةِ. أَرْيَابُ الظُّوَاهِرِ بِأَجْسَادِهِمْ، خَادِمُوا أَهْلَ الْبَاطِنِ^(٨) بِفُؤَادِهِمْ، وَنَعَمَهُمْ بِالْقِيَاسِ إِلَى نَعِيمِ أُولِي الْأَلْبَابِ كَالْقَشُورِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللَّبَابِ. وَلِكُلِّ مَا يَطْلِبُهُ وَيُنَاسِبُهُ^(٩)، فَذَلِكَ كَالثَّيْنِ وَالتُّخَالَةِ لِلْحِمَارِ وَالْبَقَرِ، وَهَذَا كَلْبَابُ الْبُرِّ لِلْإِنْسَانِ وَالْبَشَرِ. وَكَمَا أَنَّ الْقَشَرَ صَائِنٌ لِلُّبِّ، وَالْوَرَقَ حَافِظٌ لِلْحَبِّ، فَكَذَا أَهْلُ الدُّنْيَا بِأَشْغَالِهِمْ^(١٠) مُحَامِلٌ يَتَحَمَّلُونَ الْمَشَاقَّ لِعِمَارَةِ الظَّاهِرِ، وَأَهْلُ الْعُرْفَانِ يَحَقِّقُونَ الْمَعَارِفَ

(١) آس ١: عَلَى الْقِرطَاسِ. (٢) اقْتِبَاسٌ مِنْ سُورَةِ طُورٍ (٥٢)، آيَةٌ: ٣.

(٣) آس ٢: فِي سَبِيلِ اللَّهِ. (٤) آس ٢: يَبْهَرُجُ.

(٥) دَا ٢: النُّورُ / مَج ٢: تُعْرِفُ النُّورَ.

(٦) آس ٢: - وَيَحْرَمُ عَنْ بَوَاطِنِ الْحَقَائِقِ وَالْمَعَانِي.

(٧) دَا ٢: الْحَيَاةُ / ل: الْحَيَاتُ. (٨) دَا ٢: الْبَاطِلُ.

(٩) آس ٢: يَنْاسِبُهُ وَيَطْلِبُهُ. (١٠) ل، دَا ٢: بِأَشْغَالِهِمْ.

وَيَصُورُونَ الْحَقَائِقَ لِعِمَارَةِ الْآخِرِ، لِيَحْفَظُوا عَنْ الشَّدَائِدِ: وَيَفْرُغُونَهُمْ عَنْ
مَزَاوِلِ الْخَبَائِثِ لِمَلَاذِمَةِ الْمَعَابِدِ، فِي تَحْصِيلِ حَقَائِقِ الْعَقَائِدِ، وَسُلُوكِ سَبِيلِ اللَّهِ
مَبْدَأَ الْأَوَائِلِ وَمُنْتَهَى الْعَوَائِدِ^(١).

فَدَعْ حَبِيبِي كُلَّ ذَلِكَ جَانِباً عَنْ أَبْوَابِ كَلَامِهِ وَفُصُولِهِ، وَزَوَائِدِهِ وَفُصُولِهِ،
وَارْجِعْ إِلَى رَأْسِ الْأَمْرِ وَهُوَ التَّدَبُّرُ فِي كَلَامِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، مُسْتَمِعاً إِلَيْهِمَا
بِقَلْبٍ فَارِغٍ وَفُطْرَةٍ صَافِيَةٍ، مُتَأَمِّلاً بِقَرِيحَةٍ عَنْ نَقُوشِ أَقَاوِيلِ الْمُبْتَدِعِينَ خَالِيَةٍ،
تَسْتَقْبِلُكَ^(٢) مِنْ كُلِّ صَوْبٍ أَشْخَاصَ الْحَقَائِقِ فِي أَجْمَلِ لِبَاسٍ، يَنْقُلُونَكَ^(٣)
بِالْتَّرْهِيْبِ^(٤) وَالْإِيْنَاسِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ قُرَّةَ أَعْيُنٍ^(٥) أَخْفِيَتْ عَنِ النَّاسِ. إِذْ بِمَجْرَدِ
الْكَلِمَاتِ الْمَزْخَرَةِ وَالْعِبَارَاتِ الْمَزِينَةِ^(٦) الَّتِي تَحْصُلُ^(٧) بِالتَّعَلُّمِ وَالتَّعْلِيمِ، لَا
يُمْكِنُ الْوُصُولُ إِلَى الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ، بَلْ بِالْعَمَلِ^(٨) وَالتَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ
وَالْأَوْلِيَاءِ، وَسُلُوكِ طَرِيقِ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ، فَالسَّلَامُ عَلَى صُورِ تَقِيَّةٍ نَقِيَّةٍ، مُخْلِصَةٍ
لِلْبَارِي بِمَوْدَّةٍ خَفِيَّةٍ.

(١) در حاشیه نسخه شماره ٣٧٠٨ مجلس شورای ملی کا وآس ٢ ومر: دا ١، آس، مر
(هامش): واعلم أن درجات الحكمة ثلاث: أولها ترك الدنيا، والثانية مشاهدة الأنوار،
والثالثة مراتب الفناء.

وَأَنَّكَ مَا لَمْ تَتَخَطَّ الْأَوَّلَى لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَى الثَّانِيَةِ مَصْعَدٌ وَأَنْتَ مِنَ الثَّالِثَةِ أَبْعَدُ؛ فَابْدَأْ بِتَرْكِ
نَفْسِكَ عَنْ مَوَاهِبِهَا، فَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّيْهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّيْهَا. وَاسْتَحْكَمْ أَسَاسَ الْمَعْرِفَةِ
بِالتَّطَوُّرِ، ثُمَّ أَرَقَّ دَرْنَهَا، وَإِلَّا كُنْتَ مَتْنِ اتَى اللَّهُ بِنِيَانِهِمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ، فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ إِذْ
أَتَيْهَا وَلَا تَشْتَمِلُ بِتَرْهَاتِ عَوَامِّ الصُّوفِيَّةِ مِنَ الْجَهْلَةِ، وَلَا تَرْكُنْ إِلَى أَقَاوِيلِ الْمُتَفَلِّسَةِ جَمْلَةً،
فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ مُضِلَّةٌ، وَالْأَقْدَامُ عَنْ جَادَةِ الصَّوَابِ مَزَلَّةٌ وَهُمْ الَّذِينَ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمُ بِالْبَيِّنَاتِ
لَمَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴿وَمَا كَانُوا بِهِمْ قَا كَانُوا بِهِمْ بِسْتَهْزَؤَاتٍ﴾ خَلِيلِي، وَقَانَا اللَّهُ وَلِيَاكَ شَرَّ
هَاتَيْنِ الطَّافَتَيْنِ، وَلَا جَمْعَ بَيْنِكَ وَبَيْنَ هَوْلَاءِ طَرْفَةِ عَيْنٍ، (مِنْهُ رَحْمَةُ اللَّهِ رَحْمَةً وَاسِعَةً).

(٢) آس ٢: يَسْطَبِّلُكَ. (٣) آس ٢: تَنْقُلُونَكَ.

(٤) دا ٢، مج ١، م ١، م ٢، ل، مر: بِالْتَّرْهِيْبِ.

(٥) آس ٧: مِنْ. (٦) آس ٢: الْمَرْتَبَةُ.

(٧) نسخه ها جز آس ٢: بِحَصْلِ. (٨) دا ٢: بِلِ الْعَمَلِ.

فيض [٢٠]

لا تُضَيِّعْ أنفاسك النفيسة، في استيفاء اللذات الخسيسة. وُلِدْتَ على الفطرة، فلا يهودنك أبواك. وخُلِقْتَ واضح الغرّة، فلا يسودنك أبواك. جُبِلْتَ حنيفاً، فلا تتمجّس^(١)، وأنزلت طهوراً فلا تتنجّس. إنّ الله عدلٌ وسوّاك فلا تنحرف، وتترك وصفاك فلا تنكسف. جنب نفسك عن سفساف الأمور، ولا تلتفت^(٢) إلى الأمانى والغرور، فإنّه قد ثبت لكلّ أمن^(٣) فوت وفي كلّ طرفة موت، اكتسب همّة عليّة، واقتنص^(٤) نفساً أبيّة، لا تنخدع بالدنيّات، ولا تنقد للسفليّات، استنكف عن الدنيا بما فيها، واتركها لأهاليها وبنيتها. لا تشتغل باكتساب حطامها، ولا تقصد^(٥) إلى جمع ثمارها وأكمامها. بل قصر نظرك على تصوّر الكلّيّات، وجرّد عقلك على تجريد العقليّات، حتّى تصلّ إلى حيث يكون تسيحك وتقديسك غاية أنسك وأعظم لذّة تجدها من نفسك. فعند ذلك تأنف من الغذاء الجسماني ولا تحرص^(٦) عليه، وتشتاق^(٧) إلى الرّزق السّماوي الرّوحاني، فتسير في روضة الملكوت، وحيث تصير حيّاً لا تموت^(٨). فطوبى لقوم^(٩) لا يعرفون فوق عشقه سعادة، ولا يريدون سوى^(١٠) لقائه إرادة، ولا يكذّرون بغسق^(١١) رجاء جنة وخوف جحيم منبع عشق وعين تسنيم، فترى العاقل يختار على النعيم الأبد عشق الواحد الفرد الصمد، فإذا وجد وتمّ عشق مولاه، فكيف تأسف همته إلى عشق من سواه. فسبحان من أذاق قلوب العارفين من لذّة الخدمة وحلاوة الميثاق ما ألهم قلوبهم عن ذكر^(١٢) الجنان، والالتفات إلى المحور الجسان. أنّه الجوارح عن الكسل، والنفس عن الملل، والعقل عن

(١) مع ٢: فلا يتمجّس. (٢) دا ٢: ولا تلتفت/ مع ٢: ولا يلتفت.

(٣) مع ١، م ٢: أن/ ل: أمس. (٤) ل: واقتنص.

(٥) نسخها ما جز امر: ولا تصدّ. (٦) ل: ولا يحرص.

(٧) ل: يشاق.

(٨) دا ٢، مع ١، مع ٢، م ٢، ل، أس ١، أس ٢: لا يموت.

(٩) أس ٢ ل: أس ١. (١٠) ل: سواه.

(١١) أس ٢ ل: لعق. (١٢) ل: ذكر.

الزلل، والروح عن الأمل ونسيان الأجل، والسرَّ عن رؤية العمل، حتى تنجو من النقصان والخلل، وتقرب إلى الله عزَّ وجلَّ.

فيض [٣١]

الإنسان في سنخه قابلٌ لجميع النشآت العقلية والنفسية، مستجمعُ العوالم الروحانية والحسية، له قابلية التلبس والوصول إلى أي شيء من الأنوار القيومية، والأضواء اللاهوتية، وجامعية الاتصاف بكل هيئة من الهيئات البدنية، والملكات الناسوتية^(١). فإن ساعدته السعادة^(٢) الأزلية، وما باعدته الشقاوة الجبلية؛ وصادفته أسباب الهداية والارتقاء إلى الدرجات، وما صادفته موجبات الشقاوة والانحطاط في الدركات، فأثرت فيه الدعوة بالآيات والتأديب، والتكليف بالطاعات والتهذيب، وقويت روحه بأغذيتها^(٣) وأشربتها الروحانية، وهي الإيمان والعبادة والمعرفة والزهادة، وتحفظت عن سمومها المهلكة المردية^(٤)، وهي الكفر والجهالة والمعصية والضلالة، واستعدت لاقتباس^(٥) أنوار التجلي من سرادقات الجلال، واستفاضت أضواء القدس من سُبحات الجمال، صارت مشعشة^(٦) بالأشعة الربانية، مستضيئة بالأضواء^(٧) الرحمانية، فانعكست على مملكة بدنه ومعسكر قواه الأنوار الواردة عليه عن مولاه^(٨)، فصارت القوى له في جميع^(٩) أوامره وزواجره طائعات، وسلوك سبيل الحق مشيئات، بل ما كانت له عائقات ﴿فَأُولَئِكَ يَدْعُ اللَّهُ سَعَاتِهِمْ حَسَنَتْ﴾^(١٠). وإن هاقه عن ذلك ما عُجِنَ في سنخه^(١١) من تراحم صفات سبعة وتراكم دواع

(٢) آس ٢: السعادات.

(٤) آس ٢: الرذية.

(٦) مج ٢، ل: مشعشة.

(١) دا ٢: الناسوتية.

(٣) دا ٢: بأغذيتها.

(٥) ل: لاقتباس.

(٧) آس ٢: بأضواء.

(٨) دا ٢: عن مولده/ مج ٢: من مولده/ م ٢: من مولاه.

(١٠) سورة فرقان (٢٥)، آية: ٧٠.

(٩) ل: جمع.

(١١) دا ٢: في سنخه.

شهوية وغضبية، ما زجره زاجرٌ عما يهته ويهواه، لغلبة صفات نفسه وهواه، وما صده صاّدٌ عن مشتهاه ومُناه^(١) فاتخذ إلهه هواه^(٢)، فأضلّه وما هداه، فبداه قيّده^(٣)، وأبواه هوداه؛ فأولئك هم الأشقياء المردودون المقيّدون بالسلاسل والأغلال، المحجوبون عن مشاهدة الأنوار، المُشار إليهم في القرآن الهادي عن الضلال^(٤): ﴿كَأَلَّا بَلَّ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٥) وقد ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾^(٦). نعوذ بالله من هذا النسيان، ونسأله التوبة والإقالة، إنه وليّ الإحسان^(٧).

فيض [٣٢]

طوبى لِقَوْمٍ سَلَكَوا سَبِيلَ الْوَحْدَةِ وَجَابُوهَا^(٨)، وسمعوا دعوة الحق فأجابوها، أصيبت لهم الآلاء فما طربوا، وضُبت عليهم البلايا فلم يضطربوا، وضعوا طابع^(٩) الصمت على مخزن اللهوات، وسدّوا^(١٠) بالجوع مجاري شياطين الشهوات، قرأوا^(١١) صحيفة الخطايا، فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا، واستلأنوا خشوع المضجع، حتّى ظفروا بكنز النجاة من دار الجزع، عبّروا جسور الهوى، حتّى نزلوا بفناء العلم والتقوى. ناموا أحياناً فذاهوا

(١) آس ٢: مثواه.

(٢) اقتباس از سورة فرقان (٢٥)، آية: ٤٣.

(٣) نسخه ها: قيّده. در حاشية نسخه «دا ٢» و«مر» آمده است: المراد باليدين قوّاته النظرية والعملية وبالأبوين الهيولى والصورة المشار إليهما في قوله ﴿يَكْسِبُونَ﴾: «كلّ مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ونصرانه ويمجسانه».

(٤) دا ٢، مج ٢، م ٢، ل، آس، مر: - الهادي عن الضلال. نسخه ها: قيّده. در حاشية نسخه «دا ٢» و«مر» آمده است: المراد باليدين قوّاته النظرية والعملية وبالأبوين الهيولى والصورة المشار إليهما في قوله ﴿يَكْسِبُونَ﴾ كلّ مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ونصرانه ويمجسانه.

(٥) سورة مطففين (٨٣)، آية: ١٤. (٦) سورة سبأ (٣٤)، آية: ٥٤.

(٧) آس ٢: - نعوذ بالله من هذا النسيان ونسأله التوبة والإقالة إنه وليّ الإحسان.

(٨) دا ١ (حاشية): الجوب القطع. (٩) ل: تابع.

(١٠) مج ٢، م ٢: وصدوا. (١١) آس ٢: قرأوا.

حياة^(١)، عاشوا أمواتاً فماتوا أحياء، أجساد أرضية بقلوب سماوية، وأشباح
فرشية بأرواح عرشية، كائنين بالجُثمان^(٢) بائنين بقلوبهم عن أوطان الحَدَثان،
لأرواحهم حول العرش تطواف، ولقلوبهم من خزائن البرّ إسعاف، يقول الجاهل
في منازل الخدمة سيّارة، وأرواحهم في فضاء القرب طيّارة، يقول الجاهل
بهم فقدوا، وما فقدوا، ولكن سمّت^(٣) أحوالهم فلم يدركوا، وعلا مقامهم
فلم يملكوا^(٤). صرفوا وكدهم^(٥) إلى اقتناء العلوم والخيرات، وجدّوا في
القيام بالطاعات والتضرّع في الخلوات، وأقبلوا على تصفية النفوس بتهذيب
الأخلاق، وانعزلوا عما توجه إليه أهل الآفاق، وضحكوا على^(٦) أهل الغفلة
ضحك العاقل على الصّبيان إذا اشتغلوا باللعب بالصولجان^(٧)، حتى تجرّدت
صُورهم عن علائق العالم الأدنى، وطهرت أنفسهم عن رجس الطبيعة ودنس
الهيولى. فعادوا إلى الوطن الأصلي، ووصلوا إلى الموقف الشامخ العقلي.
فإذا تخلصوا إلى معدن السرور ومقرّ النور عن عالم الزور والغرور وجناب
الدثور والثبور، امتزجوا بالروحانيّات، والتحقوا بالقادسات الزاكيّات، فتلقاهم
عشائر قدسيّة بالترحيب والتكريم، وهنّاهم أحباب إلهيّة بالتحيّة والتّسليم،
﴿يَحْيِيْنَهُمْ فِيْهَا سَلَامٌ﴾^(٨). لتجرّدهم عن شرور المواد وآفات الأجسام. فتاهت
أرواحهم في الملكوت، وكشفت لها حُجب الجبروت. فخاضوا في بحر
اليقين، وتنزهوا في زهر^(٩) رياض المتّقين، فصاروا سُكّارى من أنوار جلال
الأوّل وجماله؛ وبقوا حيارى من فرط حسنه وكماله، فأصبحوا في جمال
الذات هائمين. وأمّسوا بحق العبادة الذاتية قائمين، فأفاضوا ممّا شربوا جرعةً
للعطاش الطالبين. وألّاحوا^(١٠) ممّا وجدوا لمعةً لقلوب السالكين، فَحَيَّ مَنْ

(١) دا ٢، ل: فلذابوا احياء. (٢) ل: بالجسمان.

(٣) آس ٢: همت. (٤) مج ٢: نملكوا/ ل: يملكو.

(٥) دا ١ (حاشية): الوكد بالضمّ السعي والجهد.

(٦) مر: - وانعزلوا عما توجهت إليه أهل الآفاق وضحكوا على.

(٧) دا ٢: بالصولجان. (٨) سورة يونس (١٠)، آية: ١٠.

(٩) دا ٢: في زهو (حاشية): زهر. (١٠) ل: والأحواء.

شَرِبَ جُرْعَةً، وتَنَوَّرَ قَلْبُ من وجد منه لَمْعَةً. فنطقوا بما نطقوا نظماً ونشراً، وأظهروا به^(١) ما ظهروا به صحواً وسكراً. جزاهم الله عنا خيرَ الجزاء، ورضي الله عنا وعنهم يوم اللقاء.

فيض [٣٣]

قد أنكرت طائفةٌ من المتكلمين محبةَ الله وولايته^(٢) الخاصةً بالعلماء الراسخين والأبدال^(٣) المقرّبين، قائلين: «هل المحبةُ إلّا امتثال الأوامر»، لما يقرّر في أفهامهم القواصر، أنّها تستدعي مثلاً وخيلاً، يقتضي صوراً وأشكالاً. ولم يعلموا أنّ القوم قد بلغوا في رتب الذوق والإيمان إلى أتمّ من^(٤) المحسوس، وجادوا من فرط الشوق والوجدان بالأرواح والتفوس. بل لحصر عقولهم في عالم الشهادة لا يهتدون من الحق إلّا إلى مجرد مفهوم الوجود، ولا يتطرقون إلى حريم الشهود^(٥) المتجلّي في طيّ الغيب المنكشف للأرواح بلا ريب. فللكمال جمالٌ لا يدرك بالحواس، ولا يضبط بالنظر والقياس. اللهمّ لطف أسرارنا بإشراق المحبة في أرجائها، وشوّق أرواحنا إلى شهود جمالك بفنائها، حتّى تحيّر في سُبُحات وجهك وطاشت، ودهشت عند تجلّيات حُسينك وتلاشت. فحكم الشهود عليها بنفي الوجود وألزمها الإقرارَ بمن لا إله إلا هو الواحد القهار.

فيض [٣٤]

من لم يحصل له جذبة^(٦) من الحق، ﷻ، عن فكره وحسّه، لم يقدر على التخلص من صفات نفسه، ولم يحصل له^(٧) من المعرفة بالله والاطلاع على

(١) مع ٢، م ٢: - به. (٥) دا ٢: المشهود، آس، مر: الشهود.

(٢) مع ١: ولاية. (٦) آس ٢: جذبات.

(٣) مع ١، ل: والأبدال. (٧) آس ١، آس ٢: - له.

(٤) ل: - من.

الملكوت وتجلّي صفات ذي^(١) العزّة والجبروت، ما حصل لمن جذبه^(٢) الحيّ القيوم الذي لا يموت. فمواهبُ الله عزّ وجلّ، لا يقاس بها^(٣) كسبٌ ولا يحاذيها^(٤) عملٌ. فليس السالك الطالب كالمجذوب المطلوب، ولا المُعنى^(٥) المحبّ كالمنعم المحبوب. كم بين الاجتناء^(٦) والعناية، وبين الإنابة والهداية، قد فاوت الحقّ بينهما في العطاء والنصيب، فقال عزّ من قائل: ﴿اللَّهُ يَخْتِى إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾^(٧). لمّا فاجأ الحقّ سبحانه المجذوبين بالأمر العظيم الذي هالهم، أخذهم عنهم، فبقوا بلا هم. ودكّك جبال قلوبهم، ونقض بناءها^(٨) وهدم، ثمّ بناها بناءً ثانياً أعلى وأتمّ. فطهرهم^(٩) من الدّنس وصفاهم من الكدر، وجلّاهم بأحسن الجلاء ونور. فتصرّف فيهم المتصرّف في الملك والملكوت عالم الغيب والجبروت، فتكلّم بلسانهم كلاماً يريد ويختار، ويفعل على يديهم^(١٠) ما يشاء من الأفعال والآثار. فيتفطن منه الطالب أنّه إذا جاهد^(١١) وارتاض وتعاهد، يمكن أن تبدّل بشرّيته، وتزول ناسوتيته، فتفنى عنه الصفات الإنسانية، وتظهر فيه النعوت^(١٢) الربانيّة. وعند ذلك يفنى^(١٣) ما كان فانياً في الأزل، ويبقى^(١٤) ما كان باقياً لم يزل، ويعرف أنّ الذي كان يسمّيه^(١٥) غيراً، ما كان إلّا وهما وخيالا، والتوجه إليه لم يكن إلّا غيّاً وضلالاً، والموجود ما كان إلّا حقّاً. فينعدم^(١٦) في نظره الأكوان، ويبقى الملك الدّيان. فأولئك في الحقيقة عباد الرحمن، وغيرهم عبيد الهوى والهوان، وقد مدّح

(٢) ل: جزبه.

(١) ل: ذو.

(٤) نسخه ها: لا يحاذيه.

(٣) نسخه ها: به.

(٦) دا ٢، ل: الاحتباء.

(٥) آس ١: المغنى.

(٨) دا ٢، مج ١، م ١، م ٢، ل: بناها.

(٧) سورة شورى (٤٢)، آية: ١٣.

(١٠) ل: أهدىهم/ آس ١: - يديهم.

(٩) ل: فطهرهم.

(١٢) آس ٢: النفوس.

(١١) آس ٢: جاهدوا.

(١٣) آس ٢، دا ٢، مج ١، مج ٢، م ١، م ٢، ل: فنى.

(١٤) دا ٢، آس ١، مج ١، م ١، آس ٢: وينعدم.

(١٦) آس ٢: وينعدم.

(١٥) دا ٢، م ١، ل: تسميه.

الرحمن عباده بإضافتهم إلى اسمه الرفيع، ونالوا^(١) به الشرف المنيع، كما قيل في وصف حالهم نيابة عن مقالهم:

كَفَى شَرَفًا أَنِّي مُضَافٌ إِلَيْكُمْ^(٢) وَأَنِّي بِكُمْ أَذْعَى وَأَزْعَى وَأُغْرَفُ
إِذَا بِمُلُوكِ الْأَرْضِ قَوْمٌ تَشْرَفُوا^(٣) فَلِي شَرَفٌ مِنْكُمْ أَجَلٌ وَأَشْرَفُ

فيض [٢٥]

المحبة كسائر الوجدانيات ظاهرة الإنية، خفية الماهية؛ ومن اعتاد^(٤) أن يتصور حقائق الأشياء بتعريفات موصلة إليها من الحكماء، لا يجد من نفسه مجال أن لا يتكلم في تعريف الأمور الذوقية والوجدانية^(٥) وإن لم يكن ما ذكره من المعاني الحدية أو الرسمية، لغلبة تحقيق^(٦) الحقائق على نفسه وتنبه الطالب وإعلامه عن عقله وحده. فعرفها بعضهم بأنها ابتهاج بتصور حضرة الذات؛ وهذا تعريف بما يلزم المحبة في بعض الأوقات. وعرفها الطبيب بأنها مرض وسواسي هوائي، ينبعث عن خلط رديء سوداوي^(٧). وهو إنما يصلح - لو يصلح تعريفاً^(٨) - لبعض آحادها دون سائر أفرادها. وقال بعض أهل الذوق: إن المحبة صفة سرمدية وعناية أزلية. وقال بعضهم: إنها سرُّ الله تعالى أودع قلوب الموقنين وأفاض على أرواح المؤمنين. والقولان إشارة إلى المحبة الإلهية المفاضلة على خواص عباده بحسب العناية الأزلية^(٩). وما سنح على خاطر هذا

(١) آس ٢: وينعدم. (٢) ل: إليهم.

(٣) ل: يشرفوا. (٤) آس ٢: اعتمد.

(٥) ل: - والوجدانية. (٦) ل: تحقق.

(٧) م ١: سودائي. (٨) ل: تعريفها.

(٩) در حاشية دا ١، مر: «سئل الجنيد عن المحبة؛ فأطرق رأسه ورمقت عيناه، ثم قال: عبد ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلب طبعه، أحرق قلبه أنوار هيته، وصفا شربه من كأس وقده، وانكشف له الحيار من أستار غيبه وإن تكلم فبالله، وإن نطق فمن الله، وإن تحرك فبأمر الله، إن سكن فمع الله؛ فهو بالله ومع الله» (انتهى). وقال بعضهم: المحبة محو المحب بصفاته، وإثبات المحبوب بذاته. وقال آخر: أغصان تفرس في القلب. وقال آخر: المحبة نار حطبها أكباد المحبين. وقال آخر: المحبة سكر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه. إلى غير ذلك مما يجري هذا المجرى.

الضعيف وانشبح: أَنَّ المحبة وإن كانت معنى واحداً ومفهوماً فardاً، لكنها تختلف بحسب موصوفاتها وتفترق من جهة متعلقاتها، فترسم لذلك برسوم مختلفة مفترقة وتعاريف متعددة غير متفقة. فأما الإلهية فهي عبارة عن حقيقة واجبة وذات إلهية، إذا تعلقت بشيء مما سواه، توجب اصطفاؤه، وتقتضي^(١) إشارته إلى غيره، وإيصاله^(٢) إلى كمال نفسه وسره. وأما الكونية فهي^(٣) إن تعلقت بحال من الحالات وكمال من الكمالات، فهي عبارة عما هو مبدأ كمال ويأث لتحصيل^(٤) حال. وبهذا التعريف يشمل المحبة كل ما فيه كثرة وتفصيل وقوة وتكميل. ولهذا حكموا بسريان المحبة في جميع الموجودات وشمولها لقاطبة المهيئات، وإن لم تتعلق^(٥) بذلك فهي عبارة عن معنى روحاني يفني^(٦) المحب في محبوبه، ويفقد^(٧) الطالب في مطلوبه، انجذاباً إلى مطالعة كماله، وابتهاجاً بمشاهدة جماله. ولكونها أمراً ذوقياً روحانياً ومعنى شهودياً وجدانياً كلما يكون المدرك اللطف وأجل. يكون إدراكه أتم وأعلى. فهي بكمالها لا تكون إلا لأكمل الممكنات وسيد الكائنات وهو نبينا عليه وآله الصلاة والسلام من المفضل المنعام. بل^(٨) بكمالها وتامها لا تكون إلا لمبدع الأشياء والخالق لما يشاء. ولغيره آثار فائضة من بحر جوده، ورشحات [نائلة] من سحب وجوده.

فيض [٣٦]

﴿أَنَّى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾^(٩)، ومضت عليه برهة من الزمان ما كان مفهوماً مشهوراً. وهذه^(١٠) الدعوى غنية عن^(١١) البرهان، بل

(١) مج ٢، م ١، ل، آس ١، مر: يقتضي. (٢) ل: اتصاله.

(٣) نسخه ما جز (دا ٢، مج ١، م ١: + و.

(٤) ل: - لتحصيل.

(٥) دا ١، مج ٢، م ١، م ٢، ل، مر، آس ١، مس: لم يتعلق.

(٦) ل: تفنى.

(٨) دا ٢، مج ١، م ١، م ٢، ل: - بل. (٩) سورة انسان (٧٦)، آية: ١.

(١٠) م ١: من.

(١١) ل: هذا الدعوى.

مشاهدة بالعيان، فإنَّ البدن المخلوق من النُّطفة الكائنة من الطِّين اللازب المخمَّر بيد القدرة في أربعين^(١) والعجين الصلصالي المسنون، الَّذي مرَّت على طينته أعصرُ وسنون، كيف يكون قديماً غير مسبوق بزمان، خالياً عن التجدّد والحدثان؟ ثمَّ بعد مرور الأيّام والشهور، وكرور الأعوام والذهور، خُلِقَ ﴿مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾^(٢)، حاصلة على أوسط مزاج، بين يبوسة الأرض ورطوبة الهواء وحرارة النار وبرودة الماء، بل بين يبوسة المعادن ورطوبة النبات وحرارة الحيوان وبرودة آثار الجوّ من الكائنات. وهذا التوسيط^(٣) سُمِّيَ تعديلاً وتسويةً في القرآن، في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾^(٤) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾^(٥). وصف هو تعالى نفسه في هذه الآية بصفّتين مناسبتين لتعديل^(٥) مزاج الإنسان، إشعاراً بأنَّ هاتين الصفتين هما المقتضيتان^(٦) لخلقه من العناصر والأركان، ولولا الربوبية والكرم ما وُجد نوع بني آدم. ثمَّ أفاض عليه أنوار الحواسِّ^(٧) فاشتعل اشتعالاً قوياً، والتهب زيتها في فتيلتها التهاباً نورياً. فلمَّا انفتحت بصيرته وقويت سيرته، رأى تسعَ حقائق نيلية مكلّلة قباؤها، مسدولة جلبابها، لامع سرايها، مسدودة أبوابها، دائرة كؤوسها، ناكسة رؤوسها^(٨)، أمثال الطّاسات^(٩) المقيّبة، وأشباه^(١٠) الكاسات المضيّبة، فتحير وأنشد: شعر^(١١):

مائيم درين گنبد فيروزه اساس

جوينده رخنه اي چون مور^(١٢) اندر طاس

(١) مج ٢ + يوما. (٢) سورة إنسان (٧٦)، آية: ٢.

(٣) دا ٢، ل، آس: التوسط. (٤) سورة انفطار (٨٢)، آيات: ٦ و ٧ و ٨.

(٥) ل: تعديل. (٦) مج ٢، م ٢: المقتضين.

(٧) مج ٢: أنوار الحس.

(٨) اقتباس از سورة سجده (٣٢)، آية: ١٢.

(٩) آس ٢: طاسات. (١٠) مج ٢: أمثال.

(١١) ل: رهاهي/ دا ٢، مج ٢، م ٢، آس ٢، آس ٢: - شعر.

(١٢) دا ١: چه مور.

آگاه نه از منزل امید وهراس

سرگشته وچشم^(۱) بسته چون گاو خراس^(۲)

لأنه ما رأى في هذه الحقّة^(۳) مُشْعِباً^(۴)، وما أبصر في هذا الدير دياراً
أحداً^(۵)، سوى سبع كعاب، أمثال كواعب وأترابا^(۶) جائلة^(۷) بين هذه الحقائق،
تارة^(۸) بالتثليث والتسديس وطوراً بالمقابلة والاحتراق، فدهش وتوخش ثم
أنشد: شعر^(۹):

ما لعبت كانيم وفلك لعبت باز از روی حقیقتی نه از روی مجاز
بازیچه همی کنیم بر نطع وجود رفتیم به صندوق عدم يك يك باز^(۱۰)
فأحال الكائنات إلى الدّهر والطّبيعة، الّتي هي أخسّ^(۱۱) ما في الصّنيعة^(۱۲)،
وقصر نظره على^(۱۳) الأجسام والطّباع^(۱۴)، وما تعدّى^(۱۵) إلى نفائس عالم
الإبداع، بل نكر الصّانع المدبّر، وجحد البديع المقدّر، ففقد^(۱۶) المَلِك
وَصُواعه^(۱۷) فلهذا عبد الطاغوت وسُواعه، وتوهم صنيعه ندّه، فاتخذ وديده ودّه

(۱) مج ۲، م ۲: جیم.

(۲) ر. ك: فرهنگ ایران زمین، جلد ۱۳، ص ۲۰ - ۳۱۹ منسوب به خیام؟

مائیم در این گنید دیرینه اساس جوینده رفته ای چو مور اندر طاس
آگاه نه از منزل واومید هراس سرگشته وچشم بسته چون گاو خراس

(۳) م ۱: الخلفة/ آس ۱، آس ۲، دا ۱ (حاشیه)، مر، مس: الحلقة.

(۴) مشعبداً ر. ك: عبيد، ص ۲، سطر ۶:

مشعبد فلك از زیر حقه پیدا کرد هزار بیدق سیمین بدست سحر نما

(۵) مج ۲: واحداً. (۶) سورة نبا (۷۸)، آیه: ۳۳.

(۷) ل، آس: حایلة/ مج ۲، م ۲: حاملة/ مس: جالیه.

(۸) آس ۲: نازلة/ مج ۲: بین هذه تارة.

(۹) م ۱: شعرا شعر/ ل: رباعی/ دا ۲: - شعر.

(۱۰) خیام، ص ۱۸۳. (۱۱) ل: احسن.

(۱۲) م ۱: فی الطّبيعة. (۱۳) ل: عن.

(۱۴) مج ۲: والطّباع/ ل: والطّباع. (۱۵) م ۱: تعتدي.

(۱۶) دا ۲: لفقد.

(۱۷) التباس از سورة يوسف (۱۲)، آیه: ۷۲.

وهكذا أوساخ الدهرية، الذين انسلخوا عن الملة من جملة البرية، ومما تزين به أهل الإسلام برية.

فلما فُتحت بصيرته قليلاً، وتأمل تأملاً قليلاً، تحدّس أنّ هذه المتغيّرات الجارية على الكائنات، لا تتكوّن إلا من مكوّن غير متكوّن، ولا تتلوّن إلا من ملوّن غير متلوّن، فعثر على عيوبه واعترف بذنوبه، فاستغفر وتاب، وأقرّ وأتاب، وتيقّن^(١) علماً بالمبدأ الدائم والمقيم القائم. لكن تحيّر في حال العباد واضطرب فكره في مآل العباد، بل صرّح بنفيه^(٢) حيث درى أنّ الإنسان متكوّن من امتزاج ومزاج حاصل^(٣) فيما بين الأركان، فمهما فسد لا يرجى له عائدة، إذ ليس له ولغيره فائدة، فحكم بأنّه إذا مات مات، وسعاده ممّا قد فات، كما حكى الله عنه ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾^(٤)، مثل العشب والمرعى، فيصير^(٥) ﴿غُثَاءً أَوْ حُمُوقاً﴾^(٦) وآية^(٧) فائدة له في الابتداء، حتى يعادله في الانتهاء، وأنشد: شعر^(٨):

زآوردن من نبود گردون را سود وز بردن من جاه وجلالش نفزود
وز هیچ کسی نیز دو گشم نشنود کاین آمدن و رفتنم از بهر چه بود^(٩)
فلهذا السبب أنكر النبوة المنذرة بالبعث وفوائدها، وأصرّ صريحاً على منع نشر موائدها. وهذه طريقة أهل الهند والبراهمة، وعليها جرت الصابئة المذكورة في كتاب الله في مواضع جمّة، عبدوا الكواكب وجعلوها إلى الحقّ سبيلاً هادياً ودليلاً، ﴿قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾^(١٠). فحصر مدار إصرارهم ونهاية إنكارهم واستنكارهم^(١١) في تلك المقالة، على أنّ البشر لا يصلح للرّسالة، لاشتراك

-
- | | |
|---|--------------------------------|
| (١) آس ٢: تنفق. | (٢) م ١: بنفسه. |
| (٣) ل، آس ١، آس ٢: حاصلة. | (٤) سورة جاثية (٤٥)، آية: ٢٤. |
| (٥) مع ٢: فنصير. | (٦) سورة اعلیٰ (٨٧)، آية: ٥. |
| (٧) آس ٢: وآنه لا. | |
| (٨) ل: رباعي / دا ٢، آس ١، آس ٢، مس: - شعر. | |
| (٩) خيام، ص ١١٩. | (١٠) سورة اسراء (١٧)، آية: ٩٤. |
| (١١) آس ٢: استنكارهم. | |

أفراده في الحقيقة والماهية، فيستحيل تخصيص واحد دون آخر بخاصية النبوة. هذه غاية حجتهم الداحضة، ونهاية إنكارهم^(١) الغامضة. إلا أنها أوهن من بيت العنكبوت^(٢)، وأضيق مجالاً من جو الثابت، حيث يندفع بحرف واحد وكلمة يسيرة، و﴿كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ﴾^(٣)، وهي ما قال الله تعالى^(٤) في مُحْكَم آياته^(٥): ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٦). يعني أن نوع البشر وإن كانت^(٧) متماثلة الأفراد، لكنها متخالفة القوة والاستعداد، فلبعض النفوس مقدار عند الله، لا يعلمه أحد^(٨) سواه.

وأما الذي يحْكُم به العقل القويم، الناهج على الصراط المستقيم، هو ما تزيّن به أهل الإسلام، واعترف به أصحاب^(٩) الحكمة والكلام، من أنه لا بدّ في^(١٠) النبوة من جهتين: إحداهما نظراً إلى عناية المعبود بتكميل الناس في الشئانين؛ فإن من لم يُهْمَل أحمص^(١١) القدمين دون التعجير^(١٢)، ولم يضع تقويس الحاجبين بلا توتير^(١٣)، فبأن لا يُسَوِّغ الضنّة بإفاضة النبوة على روح من الأرواح البشرية مع كونه رحمةً للخلق والبرية، كان أولى وأليق وأحرى وأخلق. والثانية نظراً^(١٤) إلى احتياج العباد في أنور المعاش والمعاد إلى رئيس مطاع وأمير قاهر واجب الاتّباع. كيف والهيكل الإنسي الذي عالم صغير، متى لم يكن له مطاعٌ أميرٌ، يسوي كلّ واحدٍ من سكّانه وقواه على مكانه ومشواه، لخرب^(١٥) واضمحَلّ وانحلّ سريعاً، حيث أصبح كلّ واحد مطاعاً مطيعاً. بل لا

(١) آس ٢، مس: افكارهم. (٢) سورة عنكبوت (٢٩)، آية: ٤١.

(٣) آس ٢: + باذن الله / سورة بقره (٢)، آية: ٢٤٩.

(٤) مج ١: - الله / مج ٢: - الله تعالى. (٥) دا ٢: محكم كتاب.

(٦) اقتباس از سورة انعام (٦)، آية: ١٢٤. (٧) دا ٢: كان.

(٨) مج ٢: - احد. (٩) مج ٢: اهل.

(١٠) آس ٢: من. (١١) دا ٢: احمص.

(١٢) آس ٢، مر التعفر / مس: التعفر التعجير / آس ١: التعفر / دا ١: التعفر (حاشية): التعجير.

(١٣) آس ٢: توتير / مس توتير توتير / آس ١: توتر / دا ١ (حاشية): توتير، مر: وتر.

(١٤) آس ٢: - نظراً. (١٥) آس ٢: نخرب.

بَدَّ لِلْجَمِيعِ مِنْ أَمِيرٍ وَاحِدٍ يَنْتَهُونَ بِزَجْرِهِ. وَيَأْتَمِرُونَ بِأَمْرِهِ. ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١). وَإِذَا كَانَ أَمْرُ^(٢) الْعَالَمِ الصَّغِيرِ، لَا يَتَمَشَّى دُونَ قَاهِرٍ أَمِيرٍ، فَمَا ظَنُّكَ بِعَالَمِ الْعُنَاصِرِ الْمَثَارِ لِآثَارِ الْفِتَنِ الْمَكْمَنِ^(٣) لِأَنْوَاعِ الْمَفَاسِدِ وَالْمِحَنِ. فَقَدْ تَبَيَّنَ وَانْكَشَفَ أَنَّهُ لَا بَدَّ لِلْمَخْلُوقِ مِنَ الْهَادِي إِلَى كَيْفِيَّةِ تَحْصِيلِ الْمَصَالِحِ وَطَلَبِ الْمَسَاعِي وَالْمَنَاجِحِ، حَتَّى يَنْتَمَّ^(٤) الْعُنَايَةِ الْأَزَلِيَّةَ، وَيَكْمُلُ الْهَدَايَةَ الْإِلَهِيَّةَ.

فَالْحَقُّ الْحَقِيقُ بِالتَّحْقِيقِ وَالتَّصْدِيقِ أَنَّ الْحَقَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ الْخَلْقَ وَسَوَّاهُ، وَدَبَّرَ الْأَمْرَ وَأَجْرَاهُ، ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْمَرْثَى﴾^(٥) وَعَلَاهُ، كَانَ مِنْ أَفْضَلِ رَحْمَتِهِ وَأَتَمَّ جُودِهِ وَنِعْمَتِهِ وَكِمَالِ الْإِحْسَانِ إِلَى نَوْعِ الْإِنْسَانِ، بَلْ إِلَى سَائِرِ الْأَكْوَانِ مِنَ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ، أَنْ اخْتَارَ طَائِفَةً مِنْ عِبَادِهِ وَاصْطَفَاهُمْ وَقَرَّبَهُمْ وَنَاجَاهُمْ وَكَشَفَ لَهُمْ عَنْ مَكْنُونِ عِلْمِهِ وَأَسْرَارِ غَيْبِهِ وَأَخْبَارِهِ. ثُمَّ بَعَثَهُمْ إِلَى عِبَادِهِ لِيَدْعُوهُمْ^(٦) إِلَيْهِ وَإِلَى جَوَارِهِ، لِيَسْتَضِيئُوا بِأَنْوَارِهِ، لِكَيْمَا يَنْتَبَهُوا^(٧) عَنْ نَوْمِ الْجَهَالَةِ، وَيَسْتَيْقِظُوا^(٨) عَنْ رَقْدَةِ الْغَفْلَةِ وَالْكَسَالَةِ، وَيَحْيُوا^(٩) حَيَاةَ الْعُلَمَاءِ وَيَعِيشُوا^(١٠) عِيشَ السَّعْدَاءِ، وَيَبْلُغُوا^(١١) إِلَى كِمَالِ الْوُجُودِ فِي دَارِ الْخُلُودِ عِنْدَ الْمَلِكِ الْحَقِّ الْوُدُودِ، كَمَا ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ وَرَمُوزِهِ، وَأَشَارَ فِي صَحْفِهِ وَكُنُوزِهِ.

فَيْضُ [٣٧]

النَّفْسُ الْمَحْجُوبَةُ بِفُطَانَتِهَا الْبُتْرَى وَبِصِيرَتِهَا الْحَوْلَى، لَا تَهْتَدِي^(١٢) إِلَى مَعْرِفَةِ

(١) سُورَةُ حَشْرِ (٥٩)، آيَةُ: ٧.

(٢) م ١، ل: الْأَمْرُ.

(٣) آس، ل، دَا ٢: الْمَمْكُن.

(٤) دَا ٢، مَج ١، م ١، آس ٢: تَمَّ.

(٥) سُورَةُ حَدِيدِ (٥٧)، آيَةُ: ٤.

(٦) مَج ٢: لِيَدْعُوهُ.

(٧) دَا ٢، مَج ١، م ١، ل، آس ١، آس ٢، مَس: يَنْتَبَهُونَ.

(٨) دَا ٢، مَج ١، م ١، ل، آس ١، آس ٢، مَس: يَسْتَيْقِظُونَ.

(٩) دَا ٢، مَج ١، م ١، آس ١، آس ٢، مَس: يَحْيُونَ ل: مَحْيُونَ.

(١٠) دَا ٢، م ١، مَج ١، ل، آس ١، آس ٢، مَس: يَعْشُونَ/ مَج ٢: تَعْشُوا.

(١١) دَا ٢، مَج ١، م ١، مَس ٧ آس ١، آس ٢: يَبْلُغُونَ ل: يَبْعَثُونَ.

(١٢) آس ٢: يَهْتَدِي.

حكمة الرسالة، ولا تُدعِن^(١) للمتابعة، ولا تنقاد^(٢) للمطاوعة، بل تظهر^(٣) بالأنانية وطلب العلو والفرعونية. والذي يمنعها عن التقرمط والاستعلاء، ويردعها عن الغلبة والاستيلاء^(٤)، هو النور البارق القدسي، والبرهان النيرُ العرشي، الذي يأتلق به القلبُ في أفق الهدى، المعجز للنفس والقوى، الدالُّ على صدقه في الدعوى، المفيد لقوته العاقلتين النظرية والعملية، الهيئة النورية والقوة القهرية؛ حتى صارت الأولى قوةً قدسيةً متأيدةً بالحكمة الكاملة، والثانية قوةً ملكيةً متأيدةً بالقدرة الشاملة.

فيض [٣٨]

الأسبابُ الموجبة لخوارق عادات الخلائق الصادرة عن الأنبياء ثلاثةٌ بإذن مبدع الأشياء: صفاء ونقاء في النفس، وقوة نظرية قوية^(٥) في الحدس، وضعف سلطان المتخيلة من الحس.

أما الأول فهو أن جوهر النفس من سنخ الملكوت، والملكوتيون مؤثرة بالطبع في ذوات الجهات والسموت؛ إذ المواد والطباع مستخرة مطيعة طوعاً أو كرهاً لعالم^(٦) الإبداع. فالنفس التي شعلة من نارها تفعل^(٧) مثل آثارها، لكن على حسب طاقتها، كما أن الشعلة من النار تفعل^(٨) فعل النار من الإحراق وسائر الآثار، ولكن على قدر قوتها. وأول أثر يظهر من ذاتها هو بدنُّها ومعسكر قواها وآلاتها. وكل واحد من الإنسان يجد هذه الحالة من نفسها^(٩) بالوجدان. وإذا كان هذا واقعاً بالنظر الأول، فليجز وقوع نفس كبيرة وافية بتدبير مملكة أعرض وأطول، حتى يستوعب حكم تسخيرها وتدبيرها في انقياد الأجساد إلى

- | | |
|---------------------|----------------------|
| (١) آس ١، ل: يدعُن. | (٢) ل: ينقاد. |
| (٣) آس ٢: يظهر. | (٤) آس ٢: والاستغلا. |
| (٥) آس ٢: - قوية. | (٦) مج ١: العالم. |
| (٧) آس ٢: يفعل. | (٨) آس ٢: يفعل. |
| (٩) آس ٢: نفسه. | |

أن تعدى سلطانها إلى عالم الكون والفساد. وهذا كما انقلب إلى الهواء نار إبراهيم، بلإذن ربه القديم، حيث قال^(١): ﴿يَنَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٢). بل من^(٣) الجائز وقوع نفس عليّة جلّية يتعدى حكمها إلى فلق اليم، وإلى التصرف في الأفلاك بالخرق^(٤) واللم، كما كان الأول لموسى والثاني لمحمد المصطفى عليهما الصلاة والثناء.

فانظر إلى مراتب معجزات هؤلاء العظماء، من الرسل والأنبياء، لتستدل بها^(٥) على كمال أوصافهم ودرجات منازلهم عند خالقهم ومرسلهم، أما إبراهيم^(٦) فلما كان أَوْامًا حَلِيمًا، فأعطي إطفاء النار بماء حلمه تمامًا، حتى كانت عليه بردًا وسلامًا. وأما موسى فلما كان الغالب عليه حدّة الغضب وشدة اللهب، فأوتي استيلاء على البحر حتى ﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾^(٧) معجزة له على مضاد معجزة إبراهيم. وأما سيدنا وسيد الأنبياء والأصفياء، على جميعهم الصلاة والتحية والدعاء، فلما كان أعدل الأمزجة خلقًا، وأتم الناس وأكملهم^(٨) خلقًا، سلّط على الأفلاك الأشفاف، الخالية عن الأطراف، بالرتق والفتق، والصمّ والشق، لمناسبة الاعتدال ومشابهة الكمال. فدفع الأضداد بالأضداد، وقهر الأنداد بالأنداد، كما يفلح الحديد بالحديد وينجح. وهذا هو العدل القويم، والضراط المستقيم. وهذه الخاصية لجوهر النفس الموجبة للآثار الغريبة والأحوال العجيبة المخالفة للمألوف المعهود الموافقة للحقّ المعبود، ليست موكولة إلى اختيار الخليفة من بني آدم، بل هي موهوبة من بحر الجود والكرم. ومن هذا يُعلم خطأ من ظنّ أنّ النبوة كسبيّة، و^(٩) يُحكم بأنّها عطائيّة

(١) آس ١، آس ٢، ل: + على نينا وعليه التحية والتسليم.

(٢) سورة انبياء (٢١)، آية: ٦٩. (٣) دا ٢: - من.

(٤) م ١: بالخرق. (٥) مع ٢، م ٢: يستدل بهم.

(٦) آس ١٧: + ﴿يُؤْتِيهِمُ﴾. (٧) سورة شعراء (٢٦)، آية: ٦٣.

(٨) ل، آس ٧: أكملها. (٩) آس ٢: + لا.

موهبة. ولهذا قال أشرف أهل العالم: «فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِسِتَّةٍ»^(١)، وعد من^(٢) جملة الأوصاف الشيم، أنه أوتي جوامع الكلم، ثم قال: «وَلَا فَخْر»^(٣) أي بالكسبيات الاختيارية، لا بالموهبات الاضطرارية.

وأما السبب الثاني فهو أن القوة النظرية منقسمة إلى بالغة حد الكمال، وناقصة نازلة إلى رتبة الأردال. والبالغة تنقسم إلى ما يحتاج^(٤) إلى معلّم إنساني وآلة نظرية من علم قانوني، كما هو في أكثر الناس على تفاوت درجاتهم وتنوع استعداداتهم، وإلى ما لا يحتاج إلى تعلّم بشري ولا يفتقر إلى قانون نظري، بل تفهم الأمور الغيبية بلا توسط إنسان من عالم الأسرار، كما قال تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يَضُوءٌ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾^(٥)، وأما النفوس البشرية، الناقصة^(٦) في القوة النظرية، فتتنقسم إلى ما هو - أصلاً - لا يعقل، فهو واقع^(٧) في مقابلة^(٨) الأنبياء والرسول، ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾^(٩) وذلك لجمود فطرته وخمود قريحته وقساوة قلبه ورين طبيعته ﴿كَالْجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً وَإِنَّ مِنَ الْجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾^(١٠). وإلى ما يعقل ولكن بصعوبة وكلفة ومشقة وآفة، كما نرى^(١١) من المتعلّمين ما يمضي^(١٢) طول عمره في البحث والتكرار آناء الليل وأطراف النهار^(١٣)، ثم يرجع بخفي^(١٤) حنين،

(١) حديث، كنز العمال، ج ٥، ص ١٠٣. فضِّلْتُ على الأنبياء ستة، أعطيت جوامع الكلم ونُصِرْتُ بالعرب، وأحلَّت لي الغنائم، وجُعِلَتْ لي الأرض طهوراً ومسجداً - سفينة البحار،

ج ١، ص ٥٩٧.

(٢) دا ٢: + من (مكرر).

(٣) حديث، ابن اثير، ج ٣، ص ٢٠٢.

(٤) دا ١، دا ٢، مج ١، مج ٢، م ١، م ٢: لا يحتاج.

(٥) سورة نور (٢٤)، آية: ٣٥.

(٦) ل: ان قصد.

(٧) مس: دافع.

(٨) آس ١، آس ٢: مقابل.

(٩) سورة اعراف (٧)، آية: ١٧٩.

(١٠) سورة بقره (٢)، آية: ٧٤.

(١١) مج ٢، آس ومس: كما ترى.

(١٢) ل: والمضي / آس، آس ٢: من تمضي.

(١٣) اقتباس از سورة طه (٢٠)، آية: ١٣٠.

(١٤) دا ٢: يخفي / مج ٢، م ٢، ل: نحفي.

ويصير مطرَحاً للعار والشين. وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١﴾.

وأما السَّبب الثالث فهو أَنَّ القُوَّةَ المتخيَّلة قد تكون^(٢) عاصيةً في طاعة النفس متمنعة طاغية، وقد تكون^(٣) عاجزة لها طائعة، وقد تكون^(٤) متوسطة بين الإطاعة والعصيان والانقياد والطغيان. فالأول كما للعوام حيث تزيت لهم قباح صور المحسوسات الفانية، على حساب صور المعقولات الباقية، كما إليه أشير^(٥) في القرآن: ﴿أَفَنَنْزِلُ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾^(٦). والله^(٧) درّ حكيم الشعراء، حيث يقول^(٨):

همه اندرز من بتو این است که تو طفلی و خانہ رنگین است^(٩)
وأما الثاني فكما للنبي ﷺ حيث يحسن^(١٠) الصور والسوانح^(١١) الغيبية كما هي بلا خبط وتفريق، مثل التماثيل العينية بلا غلط وتزويق^(١٢)، كما قال عليه و^(١٣) آله السلام من المبدع البديء: أسلم شيطاني على يدي^(١٤). أما الواقعة في حدود الأواسط من الانقياد والعصيان، كما لموسى بن عمران، على نبينا وعليه السلام من الملك المئان، حيث كانت مانعة من رؤية عقلية لمولاه، معينة^(١٥) على تحصيل حقائق ما سواه^(١٦). وقوة هذه القوة وضعفها قد تكون فطرية، وقد

(١) سورة كهف (١٨)، آيتان: ١٠٣ و ١٠٤. (٢) آس ١، دا ١، م ٢، ل: يكون.

(٣) دا ١، م ٢، ل: يكون. (٤) آس ١: يكون.

(٥) ل: أشير إليه. (٦) سورة فاطر (٣٥)، آية: ٨.

(٧) مج ٢، م ٢: فلله/ مج ١: والله. (٨) مج ١، م ١: + شعر.

(٩) حديقه سنائی، ص ٤٣١، شعر ١٥. (١٠) دا ١، مج ٢، م ٢، ل: بحسن.

(١١) مس: السوانح.

(١٢) دا ١، م ٢، مر ١، مر ٢، آس ٢: تزويق.

(١٣) ل: + على.

(١٤) حديث، ابن اثير، جلد ٢، ص ١٩٣، شرح منثور، جلد ٧، ص ٣٣٣. مقايسه كنيد باين

حزم، ج ٤، ص ٣ ور. ك انسان كامل، ص ٤٠٤.

(١٥) آس ١: معينة. (١٦) آس ١: - ما سواه.

تكون كسبية، إذ هي جرمانيّة قابلة للذبول والتحوّل والانتقال بتقليل الطعام والشراب، وتكثير السهر والاضطراب. وكلّ ما يضادّ قوتها، يكسر شهوتها، ولهذا اعتادت الصوفية التعوّد في الخلوات، وارتاضت جَوَاب الفلوات رياضةً للجسد وهواه، ومجاهدةً مع قواه، ذبحاً لشموس النفس الشهواني، ونحرّاً لحقود الجمل الغضبي، تقرّباً بقرايينهما^(١) إلى قرية المشاهدة والمواجهة، ورتبة الكمال والمشافهة، ومن هاهنا زعمت الضعفاء من العقلاء أنّ النبوة كسبية. فالخاصية^(٢) الأولى موهيية، والباقيتان مكسوبيتان. فالحاصل أنّ النفس التي هي من جواهر الملكوت، ومن سنخ عالم الجبروت، متى تشبّعت بالمبادئ والعلل، في وصفي العلم والعمل، تفعل أمثال أفعالها^(٣) وإن كانت^(٤) أضعف منها وأنزل. وهذا كالحديدة الحامية المحمّرة، والزجاجة المملوءة^(٥) المصفرة. فالأولى تفعل^(٦) فعل النار من الإشراق والإحراق، لا تصافها بصفاتها^(٧)، والثانية تتلون^(٨) بلون الخمر المصبوب فيها، كما يحيى البدن بالروح ويخفّ بخفتها. ولا تتعجّب من عناية الخالق الرازق الوهاب، حيث ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٩)؛ ولا يَضَيِّقُ^(١٠) رحمته الكاملة، ولا تشخّ^(١١) سحابة^(١٢) جوده العاطفة الكافلة، فإنّ الفيض عامّ، والجود تامّ.

فيض [٣٩]

الوليّ الكامل والفاني المضمحلّ من طوى بساط الكون، وخلّص عن مضيق

-
- | | |
|--|--------------------|
| (١) آس ٢: يفرانها. | (٢) آس ٢: فالخاصة. |
| (٣) مر، م ٢: فعلها. | (٤) م ٢، مر: كان. |
| (٥) م ٢: المملوء. | (٦) آس ٢: يفعل. |
| (٧) آس ٢: بصفاتها. | |
| (٨) آس ٢، دا ١، دا ٢، مج ٢، م ٢، ل: يتلون. | |
| (٩) سورة آل عمران (٣)، آية: ٣٧. | |
| (١٠) دا ٢، مج ١، مج ٢، م ١: ولا تضيق. | |
| (١١) دا ١، آس ١، آس ٢، مس، مر، ل، مج ٢، م ٢: يشع/ مج ١: نشع. | |
| (١٢) م ١: سحاب/ دا ١: سحابة. | |

البون، وخرج من الأين والبين، ووصل وفنى في العين. فإذا بقي في^(١) المحو. ولم يرجع إلى الصحو، كان مستغرقاً في الحق، محجوباً وغافلاً به^(٢) عن الخلق. كما كان قبل الفناء محجوباً و^(٣)غافلاً بالخلق عن الحق، لضيق وعاءه الوجودي وامتناع قبوله التجلي الذاتي الشهودي. فالموجود في مقام الفناء والشهود، اضمحلت الكثرة في شهوده، واحتجب التفصيل عن وجوده، ما زاع بصره عن مشاهدة جماله وسبحات وجهه وكماله. فإذا رجع بالوجود الحَقَّاني الموهوب إلى الصحو، وعاد إلى التفصيل بعد المحو، وسع صدره الحق والخلق وانشرح، وقام بإنباء الحقائق^(٤) والعلوم وسمح^(٥)، صار متوسطاً بين التشبيه والتعطيل، ناظراً بعين الجمع إلى التفصيل. وهناك اجتمع الفرق، وارتق الفتق، واستتر النور في النور، وبطن الظهور في الظهور، ونودي من وراء سرادات العزة^(٦):

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ، زَائِلٌ^(٧)
 وإذا فرغ عن السير إلى الله وفي الله وعن الله، فانتصب في مقام الاستقامة والسير بالله، تستوي عنده^(٨) الخلوة والجلوة، والانعزال من الخلق والخلطة، غير محتجب برؤية الحق عن الخلق، ولا بملاحظة الخلق عن الحق، ولا مشتغلاً بوجود الصفات عن الذات، ولا بالذات عن الصفات، ولا محروماً بشهود الجمال عن الجلال، ولا بالجلال عن الجمال. و^(٩)في هذا المقام يطوي الزمان والمكان، ويتصرف في جميع الأكوان، تصرف النفوس في الأبدان^(١٠). ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١١)، والْمَنْ الْجَسِيمُ، ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ

(١) ل: من. (٢) ل، آس ١، آس ٢: - به.

(٣) ل: - و. (٤) ل: الخلائق.

(٥) آس ٢: بإنباء الحقائق وسمح. (٦) م ١: + شعر.

(٧) ليد، ص ٢٨. (٨) ل: عند.

(٩) ل: - و.

(١٠) دا ١: بالأبدان/ ل: لصرف النفوس في الأبدان.

(١١) سورة توبه (٩)، آيات: ٧٢ و ١١١.

عَلَيْهِ^(١). فسبحانك اللهم أعطنا فناءً يستلزم البقاء^(٢) الأبدي، ومحواً ينتج الصحو السرمدي، فيتم لنا الخلاص من مضائق الإمكان، والنجاة من طوارق الحدثان. فسقياً^(٣) لنفوس من الحق شعارها ودثارها، وعقول إلى الله مصيرها ومطارها.

فيض [٤٠]

قد أشير في هذه الرموز إلى كنوز لا يهتدي إلى معناها إلا مَنْ عَنَى نفسه بالمجاهدات حتى عرف المطلب، ونُبِّه في هذه الفصول على أصول لا يطلع على^(٤) مغزاها إلا من أتعب بدنه في الرياضات لكيلا ذاق المشرب. فإن أحللت العناية الربانية مشكلها، وفتحت بالهداية الإلهية معضلها، صرت طائراً في أفضية عالم الملكوت، وسابحاً في بحور حقائق اللاهوت. فاشكر ربك على قدر ما أهدى إليك من الحكم، واحمده على ما أسبغ عليك من النعم، واقتد بقول سيد الكونين ومرآة العالمين، عليه وآله من الصلوات أزكاها، ومن التحيات أنماها: «لَا تُؤْتُوا الْحِكْمَةَ غَيْرَ أَهْلِهَا فَتَضَلُّوْهَا، وَلَا تَمْنَعُوا أَهْلَهَا فَتَظْلِمُوْهَا»^(٥). فعليك بتقديسها عن الجلود الميتة، وعدم استيادها إلا للأنفس الحية. كما قررها وأوصى^(٦) بها الحكماء الكبار أولو الأيدي والأبصار، لعكوفهم على^(٧) الحظوظ الدنية، وانهماكهم في اللذات^(٨) البدنية، فإن وجدت من استقامت على سُنَنِ الحق طريقته، وحُمِدَت عند خواصّ الخلق سيرته، فآتِه^(٩) ما آتاك الله من فضله، واسلك^(١٠) به طريق الحق كما هداك الله من قبله.

(١) سورة آل عمران (٣)، آية: ٧٣. (٢) ل: بقاء.

(٣) آس ٢: فسقنا. (٤) مج ٢، م ٢: عن.

(٥) ر. ك: فيه ما فيه، ص ٧٠ «لا تعطوا الحكمة لغير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها عن أهلها فتظلموهم».

(٦) دا ٢: أوصا. (٧) مج، ل، آس: عن.

(٨) م ١: لذات. (٩) مج ١، مج ٢: فآته.

(١٠) ل: واسلك.

وَلْيَكُنْ هَذَا آخِرَ مَا أَرَدْنَا إِبرَازَهُ^(١)، ونهاية ما قصدنا إلغازه^(٢)، فإن وجدته مخالفاً لما فهمته أو اعتقدته، أيها الطالب بالذوق السليم، فلا تنكره وتذكر قوله تعالى: ﴿وَمَوْقٌ حَكْلٌ ذِي عَلِيمٍ عَلَيْهِ﴾^(٣). فافقهنَّ أنَّ معاني الحقائق لا تنحصر بحسب فهم كل ذي فهم، ورموز الدقائق لا تتقدَّر بقدر كلِّ عقل ووهم، وأيقننَّ أنَّ من احتجب بمعلومه، وأنكر ما وراء^(٤) مفهومه، فهو موقوف على حدِّ علمه وعرفانه، محجوب عن خبايا أسرار ربِّه وديّانه. وأستغفر الله لي ولَكَ وَلِمَنْ سَمِعَ وَوَعَى^(٥)، وَقَبِلَ الوصيةَ واتَّقَى.

* * *

(١) مج ١، مج ٢، م ٢: ليراده.
 (٢) (٤) آس ١: ماواه.
 (٣) مج ١: انقاده/ مج ٢، م ٢: العاره.
 (٤) (٥) آس ٢: دعى.
 (٦) سورة يوسف (١٢)، آية: ٧٦.

الفهارس العامة

فهرست الأحاديث الشريفة

- «أبیت عند ربّي يطعمني ويسقيني» ٨٧
- «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار وهم في حال العذاب...» ١٩٢
- «أسلم شيطاني على يدي» ٢٧٦
- «أظن السماء وحق لها أن تئطّ ليس فيها موضع قدم إلا وفيها ملك راکع أو ساجد» ٨٧
- «إن الله خلق الخلق في ظلمه ثم رشّ عليهم من نوره» ١٤٣
- «أنا والساعة كهاتين» ١٩٢
- «إني لأجد نفس الرحمان من جانب اليمين» ٨٧
- «ثم فتق ما بين السماوات العلى فملاهنّ أطواراً من ملائكته فمنهم سجدوا لا يذكرون» ٢٣
- «زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها» ٨٦
- «عذاب الكافر في قبره، يسلّط عليه تسعة وتسعون تئناً، هل تدرون ما التئنين؟
- تسعة وتسعون حيّة،...» ٩٠
- «فُضّلنا على الناس بستة» ٢٧٥
- «لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتضلّوها، ولا تمنعوا أهلها فتظلموها» ٢٧٩
- «لا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحببته فإذا أحببته كنت سمعه الذي به يسمع» ١٢٣
- «للمؤمن في قبره روضة خضراء، ويوسع له قبره سبعين ذراعاً...» ٩٠
- «من مات فقد قامت قيامته» ٩١
- «نجا المخفّفون، وهلك المثقلون» ٢٥٤
- «وضع الله على كتفي يده، فوجدت برد أنامله بين ثديي» ٨٧
- «ويل لمن تلا هذه الآية ثم مسح بها سبلته» ١٤٥

* * *

فهرست الأشعار

- | | |
|--|---|
| <p>۲۷۸ وكلّ نعیم لا محالة زائل
 كأن حفونها ذهب سبیک</p> <p>۲۵۵ بأن الله ليس له شریک
 وأني بكم أدعی وأرعی وأعرف</p> <p>۲۶۶ فلي شرف منكم أجلّ وأشرف
 که از چه نوع مرا حظهای روحانیست</p> <p>۲۵۷ تا کی ز جهان پرگزند اندیشی
 يك مزبله گو مباش چند اندیشی</p> <p>۲۵۴ گفتا چکنم خانه فرو می آید
 ۲۴۸ به حقیقت بهم تو پیوستی</p> <p>۲۳۸ وز بردن من جاه وجلالش نفزود
 کاین آمدن ورفتم از بهر چه بود</p> <p>۲۷۰ جوینده رخنه ای چون مور اندر طاس
 سرگشته وچشم بسته چون گاو خراس</p> <p>۲۶۹ از روی حقیقتی نه از روی مجاز
 رفتیم به صندوق عدم يك يك باز</p> <p>۲۶۹ که تو طفلی وخانه رنگین است
 ۲۷۶ همه اندرز من بتو این است</p> | <p>ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطل
 عیونٌ من لَجَینِ ناظرات</p> <p>على قصب الزبرجد شاهدات
 كفی شرفاً أني مضاف إليکم</p> <p>إذا بملوك الأرض قوم تشرفوا
 بروح من بشوی زنده تات بنمایم</p> <p>تا چند ز جان مستمند اندیشی
 آنچه از تو توان ستد همین کالبد است</p> <p>جان قصد رحیل کرد، گفتم بمرو
 دو سر خط حلقه هستی</p> <p>ز آوردن من نبود گردون را سود
 وز هیچ کسی نیز دو گوشم نشنود</p> <p>مائیم در این گنبد فیروزه اساس
 آگاه نه از منزل اُمید وهراس</p> <p>ما لعبتک انیم وفلك لعبت باز
 بازچه همی کنیم برنطع وجود</p> <p>همه اندرز من بتو این است</p> |
|--|---|

* * *

فهرست الأشعار العربية والفارسيّة

رقّ الزجاج ورقّت الخمر	فتشابها وتشاكل الأمر
فكأته خمر ولا قدح	وكأته قدح ولا خمر ١٥٤
وعين الرضا عن كلّ عيب كليله	وعين العداوة قد تبدي المساويا ١٤٩
این جفای خلق با تو در جهان	گر بدانی گنج زر آمد نهان
خلق را با تو چنان بدخو کند	تا تو را ناچار رو آنسو کند ١٤٩

* * *

فهرست الأشخاص

- أرسطاطاليس: ١٦١
الرسول ﷺ: ٨٦، ٨٧، ١٤٥
الشيخ الرئيس: ١٦١
فرفوريوس: ٧٤
محمد المصطفى ﷺ: ٧٤
النبي ﷺ: ٨٦، ٨٧

فهرست الكتب

- كتاب الشفا: ١٦٧، ٢٢٨
كتاب الجاحظ: ٢٢٨

فهرست أسماء الفرق والطوائف

(ح)	(ا)
الحكماء الأخيار: ١٤٦	الأئمة الأطهار: ١٨٢ ، ١٤٦ ، ١٨٢
الحكماء: ٧٤ ، ١٣١ ، ١٦٠ ، ٢٢٨ ، ٢٤٧ ، ٢٦٦ ، ٢٧٩	إبراهيم: ٢٧٤
	أصحاب الحكمة والكلام: ٢٧١
(د)	الأطباء: ٢٤٨
الدهرية: ٩٥ ، ٢٧٠	أمير المؤمنين: ٢٣٤
(ر)	الأنبياء: ٧٤ ، ٩٧ ، ١٤٦ ، ١٨٢ ، ١٩١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٧ ، ٢٥٧ ، ٢٦٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٤
الرُّسل: ١٨٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥	أهل الإسلام: ٢٧١
الرهايين: ٨٧	أهل الحكمة والشرعة: ٢٤٨
(س)	أهل الكهانة: ٨٧
السنية: ٩٥	أهل الهند والبراهمة: ٢٧٠
(ش)	أولياء الله: ١٤٤
الشيعة: ٩٥	الأولياء: ٧٤ ، ٨٧ ، ١٤٦ ، ٢٣٢
(ص)	(ج)
الصابئة: ٢٧٠	الجاحظ: ٢٢٨
الصابئين: ٩٥	جبرائيل: ٢٣٢

المجسّمة : ٩٥
 محمد المصطفى : ٢٧٤
 المشائين : ١٦١
 المعطّلة : ٩٥
 الملاحدة : ٩٥
 موسى : ٢٧٤ ، ٢٧٦
 (ن)
 النبي : ٢٦٧ ، ٢٧٦
 النصارى : ٩٥
 النواصبية : ٩٥
 (ي)
 اليهود : ٩٥

(ع)
 العرفاء المتألهين : ٧٤
 العقلاء : ٢٣٢
 العلماء الراسخين : ٢٦٤
 العلماء : ٢٧٢
 (غ)
 الغلاة : ٩٥
 (ق)
 القضاة : ١٨٢
 (م)
 المتكلّمين : ٢٦٤
 المجتهدين : ٩٥

فهرست المصطلحات

(أ)	(ت)
الأبد: ٩٥	التأخر: ١٣٤
إيليس: ١٤٣، ١٤٧	التقدم الزمني: ١٢٧
اتحاد العاقل والمعقول: ١٦١	التقدم بالطبع: ١٢٧
الأداة: ٧٨	التقدم: ١٣٤
الإدراك الحسي: ٢٤٥	التوحيد الحقيقي: ١٢٣
الإدراك النفسي: ٢٤٥	
الأزل: ١٣٥	(ج)
إسرافيل (النفس العليا): ١٣٦	جبرائيل: ١٣٦، ١٣٧
الاسم: ٧٨	
أصل كل سعادة حقيقة: ١٨٧	(ح)
الألواح القدريّة: ٨٤	الحدّ: ٨١
أم الكتاب واللوح المحفوظ: ٨٤، ١٨٢	الحركة: ١٣٢
الإنسان الكامل: ١٠٣، ١٨٢	حزب الشيطان: ١٤٤، ١٤٦
(ب)	حزب الله: ١٤٦
البرهان اللّمي: ١٦٠	الحقيقة المحمدية: ٨٣
البرهان: ٨١	الحياة الجسمانيّة: ١٩٠
البيطرة: ٨١	الحياة النفسانيّة: ١٩٠

السعيد الحقيقي : ١٨٧

سلسلة النزول : ٢٣٨

(ش)

الشقي الحقيقي : ١٨٧

(ص)

الصور العقلية : ٢٢٩

الصور المقدسة عن تعلق الأجرام
٢٣٠

(ط)

الطب : ٨١

الطبيعة : ١٤٢ ، ١٥١

(ع)

العقل والمعقول : ١٦١

عالم الأثير : ٢٣٣

عالم الآخرة : ١١٧

عالم الأرواح : ٢٥٢

عالم الأسرار : ٢٤٠

عالم الأشباح : ٢٥٢

عالم الأضداد : ٢٤١

عالم الأفاق : ١٠١

(د)

دار الوجود : ٢٥٤

الدمر : ١٣٥

الدمقنة : ٨٢

الديمومية الشخصية : ٢٣٧

الديمومية النوعية : ٢٣٧

(ر)

روح الأرواح وقلب القلوب : ١٢٢

الروح الأعظم : ١٧٩

الروح الأمين : ٢٣٢

الروح الأول : ٨٣

الروح البخاري الحيواني : ٢٤٧

الروح الجسمانية : ٢٤٨

الروح الحيوانية : ٢٤٩

روح القدس : ١٢٢

الروح القدسي : ١٩٤

الروح المحمدي : ٢٣٩

الرياضة : ٨٢

(ز)

الزمان : ١٣٢ ، ١٣٥ ، ٢٢٩

(س)

السرمد : ١٣٥

عالم الأمر: ٨٨ ، ١٠٥	عالم نوراني: ٢٥٤
عالم الأنفس: ١٠١	العبد الواصل والولي الكامل: ١١٢
عالم الخلق: ١٠٥	العدل: ٢٤١
عالم الدنيا: ١٠٣	عزرائيل: ١٣٦ ، ١٣٧
عالم الشهادة: ١٠٣	العقل الأشرف: ٨٣
العالم الصغير الأدنى: ٢٢٩	العقل الأول: ٢٣٩
العالم الصغير: ٩١ ، ١٠٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٢	العقل العملي والنفس الكاسية: ١٥٢
عالم العقل: ٢٤٠	العقل الفعال: ٢٤٦ ، ٢٤٩
عالم العقول المقدسة: ٨٤	العقل المستفاد: ١٨٥ ، ١٩٤ ، ٢٣٨
عالم العناصر: ٢٤٠	العقل النظري والنفس الفاكهة: ١٥٢
عالم الغيب: ١٠٣	العقل بالفعل: ١٥٥
عالم القدر: ٨٤	العلل المقارنة: ١٦٠
عالم القضاء: ١١٧	علم الأحوال: ٧٧
العالم الكبير الأعلى: ٢٢٩	علم الآخرة: ٨٣ ، ١١٧
العالم الكبير: ٩١ ، ١٠١ ، ١١٧	علم الأفعال: ٧٧
عالم الملك:	علم الأفكار: ٨١
عالم الملكوت الأعلى العقلاني: ١٧٦	علم الإلهيات: ٢٤٨
عالم الملكوت الأوسط النفساني	علم الإمامة والخلافة: ٩٥
السمائي: ١٧٦	علم الربوبي: ١٦٠
عالم الملكوت: ٢٤٨	علم الطب: ٢٤٨
عالم النفس: ٨٤ ، ١١٩	علم الطبيعة: ٨١
عالم النفوس الإنسانية: ١٦٦	علم الفتاوى والأقضية: ٩٥
	علم النبوة: ٩٥

علم النفس: ٩٦ ، ١١٧

العلوم الإبداعية: ٢٢٩

العلوم الحقيقية: ٩٧

علوم المشاهدة: ٧٧

(غ)

الغاية: ١٥٩ ، ١٦٥

(ف)

الفاعل المحض: ٢٢٨

الفلاحة: ٨٢

(ق)

القدر: ٨٤

القضاء: ٨٤

القلم الأعلى: ٨٣ ، ١٧٩

قلم الحق الأول: ٢٢٩ ، ٢٣٣

القلم: ٨٤

القوة الفكرية الإنسانية: ١٤٣

القوة المزاجية: ١٥١

القوة النامية: ١٤٢

القيامة الصغرى: ٩١

القيامة الكبرى: ٩١

(ك)

كدخدام العنصریات: ٢٣٢

كلمات الله: ١٢١

الكلمة: ٧٨

اللوح المحفوظ: ١٧٩ ، ١٨٢

اللوح: ٨٤

(م)

مادة كل شقاوة: ١٨٧

المبادئ البعيدة: ١٥٩

المبادئ القريبة: ١٥٩

مبدأ عالم العناصر: ٢٣١

المبدأ: ٩٦ ، ١٥٩ ، ١٦٥

المحبة: ٢٦٧ ، ٢٦٨

المشاعر الباطنية: ٢٤٧

المعاد: ٩٦ ، ٢٣٨

المعلم الشديد القوى: ٢٣٢

المكان: ١٣٠

الملك: ١٤٧

الملكة: ٨٩

الملوكوت الأدنى البشري الأرضي:

١٧٦

الموت الجسماني: ١٩٠

الموت النفساني : ١٩٠

ميكائيل : ١٣٦ ، ١٣٧

(ن)

نشأة الطبع والحس : ٨٨

نشأة العقل : ٨٨

نشأة النفس : ٨٨

النفس الإنسانية : ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ٢٤٦

٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٥٥

النفس الحافظة : ١٥٢

النفس الحيوانية : ١٥٢ ، ١٥٥

النفس الفاعلة : ١٥٢

النفس الكاسية : ١٥٢

النفس الناطقة : ١٣٦ ، ١٥٢ ، ١٨٥ ، ٢٤٢

النفس النامية : ١٥٢

النفس النباتية : ١٥٤

النفوس الكلية : ٢٣٩

نور الأنوار : ٢٤٩

(هـ)

الهيولى : ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٦

(و)

واجب الوجود : ٢٢٨

الوجود الحق : ٢٣٣

الوجود : ٢٣٣

الولي الكامل : ٢٧٧

فهرست مصادر التحقيق

- ابن سينا، حسين بن عبدالله (الشيخ الرئيس أبو علي سينا)
- الإشارات والتنبيهات، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف مصر.
 - الشفاء، الإلهيات، الطبيعيات، المنطق، باهتمام إبراهيم مذكور وتصحيح الأب قنواتي وسعيد زايد، افست كتابخانه آية الله مرعشي، القاهرة.
 - رسائل ابن سينا، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، ١٩٩٩م.
 - نجات، الهيات، چاپ دانشگاه (طبعة جامعة) تهران.
- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات مبارك بن محمد بن جزري
- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الراوي ومحمود محمد الطناحي. دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٣هـ. ش. ٢٠٠٤.
- أرسطو
- المنطق، حققه وقدمه له عبد الرحمن بدوي، بيروت، مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة، بيتا.
- أفلوطين
- أثولوجيا (أفلوطين عند العرب)، تحقيق وتصحيح، مقدمة عبد الرحمن بدوي، انتشارات بيدار، قم، ١٤١٣ هـ.ق.
- بهمنيار بن مرزبان
- التحصيل، تصحيح وتحقيق مرتضى مطهري، دانشگاه تهران، ١٣٧٥هـ. ش.
- الجويني
- الشامل، چاپ [طبعة] تهران.

جیلسون، اتین

- نقد تفکر فلسفی غرب، ترجمه احمد احمدی، سازمان مطالعه و تدوین کتب علوم انسانی دانشگاهها [مؤسسه دراسات وتصنیف کتب العلوم الإنسانية]، تهران، ۱۳۸۰ هـ.ش.

دانشگاه تهران

- فهرست کتابهای اهدایی آقای سید محمد مشکوة جلد سوم.

الرازی، فخر الدین أبو عبدالله محمد بن عمر

- المباحث المشرقیة، تحقیق وتعلیق محمد المعتصم بالله البغدادي، بیروت، ۱۴۱۰ هـ.ق.

الرازی، نجم الدین (دایه) ابوبکر بن محمد

- مرصاد العباد، تصحیح وتحقیق دکتر محمد امین ریاحی، شرکت انتشارات علمی وفرهنگی، تهران، ۱۳۷۱ هـ.ش [۱۹۹۲].

الرضی، سید شریف

- نهج البلاغة، تصحیح الشیخ محمد عبده، الطبعة الرَّحمانية، مصر.

- السنائي الغزنوي، أبو المجد مجدود بن آدم.

- حديقة الحقيقة، تصحیح محمد تقی مدرسی رضوی، دانشگاه [جامعة] تهران، ۱۳۷۷ هـ.ش [۱۹۹۸].

ژیلسون، اتین

- نقد تفکر فلسفی غرب، ترجمه احمد احمدی، سازمان مطالعه و تدوین کتب علوم انسانی دانشگاهها، تهران، ۱۳۸۰ هـ.ش.

السبزواري، حاج ملا هادي

- شرح منظومه، بخش منطق، چاپ سنگی.

- مجموعه رسائل، تعلیق وتصحیح ومقدمه سید جلال الدین آشتیانی، انجمن اسلامی حکمت وفلسفه ایران، تهران ۱۳۶۰ هـ.ش.

سنائي غزنوي، أبو المجد مجدود بن آدم
- حديقة الحديقة، تصحيح محمد تقي مدرسي رضوي، دانشگاه تهران،
۱۳۷۷هـ. ش.

السهورودي، شهاب الدين يحيى
- مجموعه مصنفات شيخ اشراق، ج ۱ و ۲، حكمة الإشراق، المشارع
والمطارحات، مؤسسه مطالعات و تحقيقات فرهنگي، تهران، ۱۳۶هـ. ش.

الشيرازي، صدر الدين محمد بن ابراهيم
- الحكمة المتعالية في الأسفار الأربعة العقلية (الأسفار الأربعة)، انتشارات
بنیاد حکمت إسلامي صدر، تهران.

- الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية، انتشارات بنیاد حکمت إسلامي
صدر، تهران.

- الحكمة العرشية، انتشارات مولی، تهران.

الطباطبائي، محمد حسين
- نهاية الحكمة، تصحيح وتعليق محمد تقي مصباح يزدي، انتشارات الزهراء،
تهران، ۱۴۰۵هـ. ق.

فروريوس

- ايساغوجي، ترجمه ابن عثمان دمشقي.
القفطي، ابوالحسن علي ابن القاضي الأشرف
- تاريخ الحكماء، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، ۱۹۹۹م.

قبصري، داود

- شرح فصوص الحكم، چاپ سنگي (طبعة حجرية)، تهران، ۱۲۹۹هـ. ق.

القونوي، صدر الدين

- نصوص، باهتمام ابراهيم بن احمد اللاريجاني، چاپ سنگي، طهران،
۱۳۱۵هـ. ش.

اللاهيجي، عبد الرزاق (فياض لاهيجي)

- شوارق الإلهام في شرح تجريد الكلام، مكتبة الفارابي، طهران وأصفهان، ١٣٨٤ هـ

مجلسي، علامه محمد باقر

- بحار الأنوار، دار الكتب الإسلامية، تهران، ١٣٧٦ هـ-ش [١٩٩٧].

مصباح يزدي، محمد تقی

- تعليقات بر نهاية الحكمة، انتشارات الزهراء، تهران، ١٤٠٥ هـ. ق.

مطهری، مرتضی

- خدمات متقابل اسلام وايران، مجموعه آثار، ج ١٤، انتشارات صدرا.

چاپ پنجم، فروردین ١٣٨٠ هـ. ش.

مولوي الرومي

- مثنوي معنوي، تصحيح نيكلسون، بنياد نشر ابجد، تهران، ١٣٨٠ هـ. ش.

ميدي، أبو الفضل رشيد الدين

- كشف الأسرار وعدة الأبرار (تفسير خواجه عبد الله انصاري)، تحقيق على

اصغر حکمت، انتشارات امير كبير، تهران، ١٣٦١ هـ. ق.

پژوهي، يحيى

- مقاله مباني فلسفي رابطه وحی واعجاز، نشریه دانشکده ادبیات وعلوم

انسانی دانشگاه تبریز، شماره ١ و ٢، سال ١٣٧٠.

- عرفان نظري، دفتر تبليغات اسلامي حوزه علميه قم، ١٣٧٢ ش.

المحتويات

إكسير العارفين في معرفة طريق الحق واليقين

٧	إكسير العارفين في معرفة طريق الحق واليقين
٧	١ - تقييم الحكمة المتعالية
١٢	(٢) الحركة الجوهرية
١٥	(٣) المعاد الجسماني
٣١	أسلوب الملاء صدرًا:
٣٥	الجزء الأول:
٣٨	الجزء الثاني
٤٢	الجزء الثالث
٤٤	الجزء الرابع
٦٥	تعريف المخطوطات
٦٦	أسلوب التصحيح

إكسير العارفين

في معرفة طريق الحق واليقين

٧٣	[المقدمة]
----	-----------------

الباب الأول

[في كمّيّة العلوم وقسمتها] [وفيه خمسة فصول]

٧٧	الفصل الأول: في تقسيم العلم مطلقاً وهو قسمان: دنيويّ وأخرويّ
----	--

٧٨	الفصل الثاني: في أقسام علم الأقوال بحسب ما يتعلق به
٨٠	الفصل الثالث: في أقسام علم الأعمال
٨١	الفصل الرابع: في علم الأفكار وهو أربعة أقسام
٨٣	الفصل الخامس: في علم الآخرة
٨٧	تفريع عرشي

الباب الثاني

في معرفة النفس التي هي قابلة للعلوم

(وفيه عشرة فصول)

٩٥	الفصل الأول: في بيان سبب تعوقها عن البلوغ إلى الغاية
٩٧	الفصل الثاني: في العلم الذي هو فرض عين الإنسان ولا بدّ لوجوده البقائي من تعلّمه
٩٩	الفصل الثالث: في أنّه بأيّ شيء ينال سعادة الآخرة ويدرك لقاء الله تعالى
١٠١	الفصل الرابع: فيما به يتوسّل إلى معرفة الآفاق والأنفس
١٠٤	تأييد استبصاري
١٠٥	الفصل الخامس: [في بيان «الكتاب الناطق»]
١٠٧	الفصل السادس: في معرفة الخلافة الإلهية في العالم الأرضي
١١١	الفصل السابع: في أنّ للإنسان عالماً آخر
١١٣	الفصل الثامن: في دلالة كتاب النفس على كتاب الله وكلامها على كلامه
١١٦	الفصل التاسع: في أنّ عالم الملكوت الذي هو باطن هذا العالم على قياس ملكوت عالم الإنسان الذي هو باطنه وغيب شهادته
١١٨	تنبيه
١١٩	تنبيه آخر
١٢١	الفصل العاشر: في تأييد القول في كيفية الوصول إلى العالم الربوبي ومشاهدة آياته الكبرى وملكوت السماوات العلى بمفتاح معرفة النفس الإنسانية ومطالعة آياتها الصغرى وملكوت الحواس والقوى

الباب الثالث

في أحوال البداءات [وفيه عشرة فصول]

- الفصل الأول: في أقسام البداءة والأولية ١٢٧
- الفصل الثاني: في ماهية المكان ١٣١
- الفصل الثالث: في ماهية الزمان ١٣٢
- تنبيه آخر ١٣٣
- الفصل الرابع: في البداءة والنهاية بحسب الوجود والهوية ١٣٤
- الفصل الخامس: في بدء وجود الإنسان ١٣٦
- إشارة ١٣٨
- الفصل السادس: في سجود الملائكة لآدم عليه السلام ١٤١
- الفصل السابع: في ماهية إبليس والشياطين ١٤٣
- الفصل الثامن: في أنّ إلهام الملك ووسوسة الشيطان يقع في النفوس على وجوه وعلامات أربعة ١٤٥
- وارد كسفي ١٤٧
- الفصل التاسع: في وجه الحكمة في خلق الشياطين ١٤٨
- الفصل العاشر: في ذكر المحصول من هذه الفصول ١٥٠
- طلوع نور جمعي من أفق سرّ حكمي ١٥٤

الباب الرابع

في معرفة النهايات [وفيه عشرة فصول]

- الفصل الأول ١٥٩
- إعلام وتنبيه ١٦٥
- الفصل الثاني: في الإبانة عن ماهية الغاية الأخيرة التي يتوجّه إليها الإنسان وشرحها ١٦٦
- الفصل الثالث: في أنّ منشأ احتباس النفس في الدنيا والمرتبة السفلى

١٦٩	وحرمانها عن الارتقاء إلى العالم الأعلى هو البدن العنصري
١٧١	نكتة وإشارة
١٧٣	نكتة أخرى
١٧٤	نكتة أخرى
	الفصل الرابع: في العناية الإلهية للإنسان وحبله المتين وعروته الوثقى
	التي إذا تعلقت النفس بها واستمسكت، قامت من عثراتها وزلاتها
١٧٦	الطبيعية والنباتية والحيوانية
١٧٨	الفصل الخامس: في بيان آيات الآفاق والأنفس
١٨٣	حكمة أخرى
١٨٤	حكمة أخرى
١٨٦	الفصل السادس: في بيان أصل السعادة وأصل الشقاوة الحقيقيتين
١٩٠	الفصل السابع: في ماهية الموت
	الفصل الثامن: في معنى المغفرة وتحققها من فضل الله تعالى كما وعدها
١٩٣	عباده وبشرهم بها
١٩٤	كشف وتحقيق
١٩٤	تأييد فرقاني
١٩٥	تأويل قدسي
	الفصل التاسع: في الإبانة عن قيام النفس بذاتها واستقلالها في الوجود
١٩٩	وبقائها بعد بوار البدن الدنيوي
٢٠٢	الفصل العاشر: في تعلق هذه الأبواب الثلاثة بعضها ببعض

الواردات القلبية في معرفة الربوبية

٢٠٧	الواردات القلبية في معرفة الربوبية
٢٠٨	التعريف على الملأ صدرا
٢١٢	تعريف المخطوطات
٢٢٣	الواردات القلبية في معرفة الربوبية

۲۲۴	فیض [۱]
۲۲۵	فیض [۲]
۲۲۶	فیض [۳]
۲۲۸	فیض [۴]
۲۲۹	فیض [۵]
۲۳۰	فیض [۶]
۲۳۱	فیض [۷]
۲۳۳	فیض [۸]
۲۳۵	فیض [۹]
۲۳۶	فیض [۱۰]
۲۳۷	فیض [۱۱]
۲۳۹	فیض [۱۲]
۲۴۰	فیض [۱۳]
۲۴۱	فیض [۱۴]
۲۴۱	فیض [۱۵]
۲۴۳	فیض [۱۶]
۲۴۴	فیض [۱۷]
۲۴۵	فیض [۱۸]
۲۴۶	فیض [۱۹]
۲۴۷	فیض [۲۰]
۲۴۷	فیض [۲۱]
۲۴۹	فیض [۲۲]
۲۵۰	فیض [۲۳]
۲۵۱	فیض [۲۴]
۲۵۳	فیض [۲۵]

٢٥٤	فيض [٢٦]
٢٥٥	فيض [٢٧]
٢٥٦	فيض [٢٨]
٢٥٨	فيض [٢٩]
٢٦٠	فيض [٣٠]
٢٦١	فيض [٣١]
٢٦٢	فيض [٣٢]
٢٦٤	فيض [٣٣]
٢٦٤	فيض [٣٤]
٢٦٦	فيض [٣٥]
٢٦٧	فيض [٣٦]
٢٧٢	فيض [٣٧]
٢٧٣	فيض [٣٨]
٢٧٧	فيض [٣٩]
٢٧٩	فيض [٤٠]

الفهارس العامة

٢٨٣	فهرست الأحاديث الشريفة
٢٨٤	فهرست الأشعار
٢٨٥	فهرست الأشعار العربية والفارسية
٢٨٦	فهرست الأشخاص
٢٨٦	فهرست الكتب
٢٨٧	فهرست أسماء الفرق
٢٨٩	فهرست المصطلحات
٢٩٥	فهرست مصادر التحقيق
٣٠٣	المحتويات